المنهل

AL MANHAL

مجلة العرب الأدبية الثقافية

العدد (٥٩٣) المجلد (٦٦) العام [٧٠] رمضان وشوال ١٤٢٥ هـ - أكتوبر ونوفمبر ٢٠٠٤ م

مسابقة المنهل الثقافية

قسيمة المسابقة داخل العدد



الاعلام والعولمة

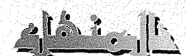
في التراث حقائق وأوهام

المسرح السياسي واشكالياته

الرسائل الكونية بين المعطيات والحقائق

رمضان هجرة الى الله

لاتناقض في القرآن الكريم



مجلة للآداب والعلوم والثقافة

تصدر في المملكة العربية السعودية - جدة عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

أسسها المغفور له

عبدالقدوس القاسم الأنصاري

عام ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م

ملكها ورأس تحريرها

المغفور له

نبيه عبدالقدوس الأنصاري

من العام ١٤٠٣ هـ/ حتى ١٤٢٤ هـ

غلاف العدد

مما قل

تحية شهر الصيام

{شهر رمضان الذى أُنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان} قرآن كريم..

تبديت للنفس لقيمانها
لذاك تبنّتك وجدانها
وتنثر بين يديك الزهور
تحييك اذ كنت ريحانها
اذا لحُتَ هبَّ نسيم السماء
فأنشَر في النفس ايمانها
فلا غرو إن عظّمتك النفوس
وان رتّلت لك ألحانها
ولا غرو ان قابلتك بشوق
وان نظمت لك تحنانها
فانت ربيع الحياة البهيج
تنضر بالصفو أوطانها
وتُسعدُ بالذكر سكانها
وتنعش بالفكر قطانها
وأنت بشير القلوب التى
يعرفها «الله» رحمانها
وأنت (الطبيب) القدير الذى
يعالج بالصوم أحزانها
وأنت (المربي) القدير الذي
يشذب بالجوع طغيانها
أليس الطعام يطغى النفوس
وانت اذا جئت ميزانها
وان الشهور (عيون) الزمان
وكنت بوحيك (أنسانها)
فأهلا وسهلا بشهر الصيام
يسل من النفس أضغانها
وأهلا وسهلا بشهر الصيام
ينقى عن النفس أدرانها
وأهلا وسهلا بشهر الصيام
يشعشع في الروح عرفانها

«عبدالقدوس الأنصاري»

رمضان المبارك ١٣٥٦هـ
نوفمبر ١٩٣٧م

المركز الرئيسي

جدة الشرفية ص.ب ٢٩٢٥
رمز بريدي ٢١٤٦١
برقيا: المنهل
فاكس: ٦٤٢٨٨٥٣
تليفون: ٦٤٢٧٨٣١ ٦٤٣٩٧٦٥
٦٤٣٢١٢٤ - ٦٤٢٥٦٨٧
الرياض: ص.ب ٢٩٠
تليفون: ٤٥٤٢٤٣٢

سعر النسخة:

السعودية ١٠ ريالات - قطر ٨ ريال - المغرب ٩ دراهم - مصر ٣ جنيهات تونس ٨٠٠ مليم - الكويت ٦٠٠ فلس - عمان ٦٠٠ بيسه - الامارات ٨ دراهم البحرين ٧٠٠ فلس - موريتانيا ١٠٠ أوقيه - الأردن ٥٠٠ فلس.

أما بعد

(التجديد .. سُنّة الحياة)

الحياة خُلقتْ لتكون في حركة دائمة، تجدد نفسها بنفسها ..
الشمس تشرق وتغيب .. القمر يظهر ويختفي..
الفصول تجدد ثوبها كل ثلاثة أشهر من العام.
أشهر العام فيها: أشهر حرم لها خصوصيتها .. وفيها شهر للصوم .. وشهر للحج .. ومواسم للعيد ..
الأنهر ، البحار، المحيطات، كلها تجدد نفسها.
إذن، التجديد سنة الحياة، وأساس استمراريتها..
والجمود والرتابه قتل لكل شيء.
هذه السُنّة السارية الماضية في الكون كلّه ، لماذا لا نحاكيها نحن البشر..؟!!
لماذا لا نفيد منها..؟!!
على مستوى الدول والجماعات في محيط عالمنا العربي، وعلى مدى نصف قرن مضى، كم نسبة التجديد والجديد في حياتنا؟!!
ماذا صنعنا..؟! ماذا اخترعنا..؟!
ماذا اكتشفنا ..؟!
على مدى نصف قرن ويزيد، ماذا أضفنا لأنفسنا وللبشرية؟!
على مستوى الأفراد، جدول حياتنا لم يتغير ...!!
تتعاقب فوق رؤوسنا : الساعات، والأيام، والشهور، والسنون، ونحن لا نفيد درساً من هذا النسيج المتعاقب المتتالي..
حكمة الخلق فينا أن نضيف جديداً ..
ان نعمّر الأرض ونستعمرها ..
ان نضبط حركتنا في اتجاه ترس الحياة الدائر دوما.
إذن؛ تتغيّر حياتنا كلها ..
إلي الأفضل والأجمل والأحسن ..
أليس كذلك ؟!!
إذن ... نحاول ...

المحرر

المشرف العام
أ.د/ عبدالرحمن الطيب الأنصاري

رئيس التحرير
المدير العام
زهير نبيه عبدالقدوس الأنصاري

عزيزي القارىء
عزيزتي القارئة

هذه المجلة تحمل في العديد من صفحاتها آيات قرآنية كريمة وأسماء الله الحسنى فضلا عن أحاديث نبوية شريفة الرجاء المحافظة عليها.

اشارة

تحتفظ هيئة التحرير بالحق في تحديد أولويات النشر ويخضع ترتيب مواد المجلة لاعتبارات فنية لا علاقة لها بالموضوع أو مكانة الكاتب ويشترط في الاسهامات عناصر الجدة، العمق والرصانة العلمية، للمجلة الحق في عدم نشر المواضيع التي تراها غير مناسبة للنشر دون الالتزام بإعادة الموضوع لمصدره، كما يرجى الاشارة لمصادر المادة بصورة واضحة.

العنوان البريدي :
E-mal: AL-Manhal@Al-manha.Com.sa
عنوان موقع الإنترنت :
URL: WWW.AL-Manhal.Com.Sa

فهرس العدد

الاشتراكات

جدة ت: ٦٤٣٢١٢٤
قيمة الاشتراك السنوى للمؤسسات الحكومية ٢٥٠ ريال.
قيمة الاشتراك للأفراد ١٥٠ ريال

وكالات التوزيع

الشركة السعودية للتوزيع/ جدة ٨٠٠٢٤٤٠٠٧٦ – وكالة الأهرام للتوزيع/ القاهرة ٥٧٤٧٠٤٤ – الشركة التونسية للصحافة/ تونس ٣٣٢٤٩٩ – الشريفية للتوزيع/ الدار البيضاء ٤٠٠٢٢٣ – شركة الامارات للطباعة والنشر والتوزيع/ أبوظبي ٤٥٦٥٠٠ – دار الثقافة للطباعة/ الدوحة ٤١٤١٨٢ – وكالة التوزيع الأردنية/ عمان ٦٣٠١٩١ – دار اقرأ للنشر/ الخرطوم ٤١٨٠٩ – الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات د.م.م/ الكويت/ ٢٤٢١٤٦٨ – مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف/ البحرين/ المنامة ٥٣٤٥٥٩.

الاعلانات:
يراجع بشأنها
الادارة ت: ٦٤٣٢١٢٤



طبع بمطابع شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر ـ جدة تليفون: ٦٣٩٦٠٦٠ ـ فاكس: ٦٣٩٤٠٩٥

فقرات مستلة

بالعربي الفصيح

«الخلاف لا يفسد للود قضية»

زهير نبيه عبدالقدوس الأنصاري
رئيس التحرير

هناك نوعان من الخلاف .. خلاف يقوم على أساس علمي تظهر فيه الحجج وتتضح البراهين.. ويكون المراد منه الوصول الى الحقيقة في أبين صورها.. ويرتضى الطرفان فيما توصلا إليه بعد ذلك .. فينفض عراك المناقشة ليظل الود كما هو ويكُنّه كل طرف للآخر.

وخلاف لا غرض منه سوى الخلاف في حد ذاته وهو الاختلاف بعينه .. ولعل ذلك يدخل في دائرة الجدل من أجل الجدل أو السفسطة .. وهذا نقف عليه كثيراً، ويكاد يصدمنا يومياً .. فالذين يظهرون انهم يعرفون، نجدهم أبعد الناس عن المعرفة اليقينية.. وهؤلاء كُثُرٌ .. والذين يفتون بما لا يعلمون أكثر..

هنا تستبين أهمية المقولة .. (من قال لا أدرى فقد أفتى).. إذ يكون ذلك قد أغلق باباً من الخلاف لابد من غلقه .. وحفظ وداً لابد من حفظه .

ونعود إلى ما بدأناه .. إن الخلاف لا يفسد للود قضية.

فنقول بالعربي الفصيح .. نعنى ذلك الخلاف القائم على أسس تدعمه وليس الخلاف بعامة أو على إطلاقه.. حتى يظل الود متصلا في زمن نبحث فيه عنه.

ومعلوم أن للخلاف أدبه وأدبياته.. ومن أبجديات هذه الأدبيات ان يعطي كل واحد منا الآخر الفرصة الكاملة لابداء رأيه، وطرح فكره، وعلينا جميعاً ان نحسن أدب الانصات.. والانصات ـ معلوم ـ انه درجة فوق السماع.. إذ هو استيعاب مدرك، وبوعي كامل لمقولة الآخر.

وبعد تبادل الرأي، على المتحاورين الاتفاق على ما ينبغي الاتفاق عليه، ثم يبقى بعد ذلك لكل واحد رأيه وقناعته فيما اختلف فيه.

ورغم كل هذا يظل الاحترام والتقدير متبادلا بين كل الاطراف.. ذلك ، لان للحوار والتناظر غرضاً اسمى، وهو التوصل الى ما يفيد ويصلح..

وهذه بدهيات يعلمها الجميع، لكن الاشكالية الكبرى في تطبيقها والعمل بها، وهذا ما نعانيه حقيقة.

واذا كان لكل واحد ان يدخل قاعة المؤتمرات وقد اختمرت في ذهنه قناعات ظنها هي الحق بعينه، ولا حقّ غيرها، فمن الأفضل لمن هذا فكره ومعطيات فكره بل من الاجدر والأجدى ـ للمصلحة العامة ـ ومن أجل الوطن وغاياته العظمى أن يعيد صياغة فكره ثانية ليتناغم مع ما ينتجه

العقل الجمعي للامة.

خطرت على مخيلتى هذه الخاطرة وانا اتابع ندوات وجلسات (ملتقى الحوار الوطنى) الذى عقد بمدينة الرياض.

وما ظهر على السطح خلال تلك الجلسات من مناقشات وخلافات حول هوية المثقف خاصة والثقافة في بلادنا عامة .. ولن اتطرق هنا لقرارات وتوصيات هذا الملتقى فقد اشبعتها وسائل الاعلام المرئية والمسموعة والمقروءة تفحصاً وتمحصاً.. فقط اريد ان اشير الى ان الحوار الثقافي بين الاجيال هو المطلب الجاد لنصل الى وضع خريطة موضوعية لثقافتنا السعودية التى أنتظر منها الكثير ومن مثقفي بلدي الاكثر ليصل صوتنا الثقافي الابداعي الى الخارج موضوعيا ومرتباً ومعطاءً.

والثقافة أمرها عجب ..!!

إذ المتحاورون في الثقافة ـ وهم بطبيعة الحال أعلم بمضمونها ـ عليهم الالتزام به.

العربي الجاهلي أمسك بعصا رمحه يقطع ويزيل عن جسمها النواتئ ليجعلها مستقيمة لا اعوجاج فيها.. ولما سئل عن فعله هذا قال (أثقف رمحي)..

تلك هي الثقافة في مضمونها الفطري الأولي .. ان نقطع الناتئ، ونعالج المعوج، وصولا الى الغاية الامثل وهي الاستقامة..

وهذا المضمون الاولى للثقافة ينسحب على كل معطيات حياتنا، مادية ومعنوية، روحية وعاطفية، نفسية واجتماعية، علمية وأدبية، اقتصادية وسياسية.

واذا كان ذلك العربي الجاهلي قد (ثقف رمحه) فانه يتحتم علينا ان نثقف كل شيء فينا ولنا.

كم ظن البعض منا أن الثقافة هي مجموع المعارف الانسانية التى يختزنها الانسان، فهو في عرفهم مثقف، حتى وان كان جاف الطبع، غليظ النفس، لا ينطوي على خير او معروف..

لكن الثقافة منهج للسلوك الرفيع السامي، المتنامي خيراً وفضلا .. وليس الأمر عندي هنا أن اجرد المفاهيم والمصطلحات، بقدر ما نحدد غاية نظن الجميع منا يتغياها، ويقوم عليها ناصبا، باذلا جهده.

وتلك الغاية هي هذا (الوطن).. وهذا (المواطن).. ومن حقهما على كل المشتغلين بأمر الثقافة وتحريرها ان يكونا هما الهم الاكبر والأول والأوحد.

أقول ذلك، لان المثقف ابن هذا المجتمع، وقانون (البنوّة والأبوّة) قانون ترابط وثيق، لحمته وسداه (البّر).. واذا كان (المثقف) هو الخلاصة الفكرية للمجتمع ـ أو هكذا يفترض ان يكون ـ فان الناتج الحقيقي من هذه (الخلاصة الفكرية) هي طموحات تتنزل الى ارض الواقع.. نبتة طيبة تزرع في تربة طيبة.

أما أن يهرب المثقف عن مجتمعه، ويبتعد عنه، بحيث لا يدري عنه شيئاً، ويبنى لنفسه قصراً من الهلاميات تسبح في الفضاء الخارجي، فذاك ابن غير بار بمجتمعه.

واذا كان المهندس المعماري يفضل التعامل مع معطيات البيئة ومنتجاتها في تنفيذ معماره، لانها الافضل والانسب، بالمثل فان معطيات بيئتنا (الدينية والاجتماعية والفكرية) هي خير ما يبنى عليه صرح مجتمعنا..



صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز يفتتح الملتقى الأول للمثقفين السعوديين

الملتقى الأول للمثقفين السعوديين خطوط وملامح

صاحب السمو الملكى الامير سلمان بن عبد العزيز في كلمته التى ألقاها في افتتاح (الملتقى الأول للمثقفين السعوديين) حدَّد الخطوط العريضة لمنهجية (الثقافة) في المملكة العربية السعودية، في ماضيها وحاضرها، بل وطبيعة خطوط سيرها في مستقبلها.

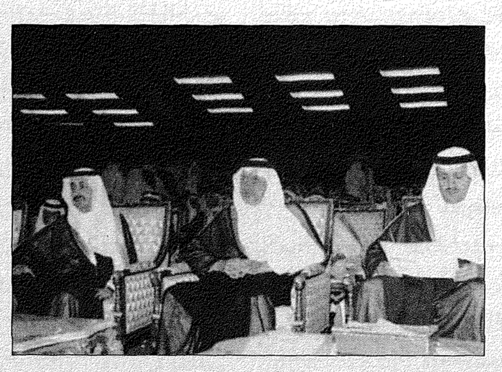
اذن، دعونا نضع أيدينا على بعض النقاط المحددة في كلمة سموه حيث يقول:

** أنتم لم تأتوا من فراغ، بل هناك رواد سبقوكم.. ويجب ان نعتز بماضينا وثقافتنا وروادنا.

** المملكة ثقافتها مؤصلة ومترابطة الاجيال، متواصلة الانحاء.

** الاسلام في كل معطياته (العقدية - التعبدية - الحضارية - الاجتماعية - السياسية.. الخ) هو مرتكز الدائرة في كل ثقافتنا.

** هذه المملكة لها خصوصيتها، حيث الحرمين الشريفين وينبغي احترام هذه الخصوصية.



صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل



** ضرورة التلاقي والتلاحم مع ثقافات العالم وأخذ أفضلها وأحسنها.

** الاسلام مزج بين كل الثقافات في بوتقته.

** ثقافتنا ثقافة الوسطية، وتنبذ : الغلو والتزمت والافراط والتفريط.

هذه محاور يمكن ان نلتقطها بوضوح من مجمل كلمة سمو الامير سلمان.. والقراءة المتأنية لهذه الافكار لا شك تمنحنا أبعاداً أكثر عمقاً في تأصيل (العملية الثقافية) التى انعقد هذا الملتقى من أجلها.

حقيقة، جميل أن تلتقى هذه الكوكبة المتنورة من علماء وأدباء ومفكري ومثقفي المملكة، ليتناقشوا ويتفاكروا ويتحاوروا في الثقافة وأمر الثقافة، وجاء هذا الملتقى في وقت كان الجميع يتوق لمثل هذا التجمع، وهذا الحوار، واللقاء في حد ذاته محمدة.. ثم ان ينتج الحوار آراء وافكار ومقترحات، مهما تكن درجة الالتقاء أو الاختلاف فيها، فانها تمثل رؤية متقدمة لابعاد تأتى بعدها تالية لها ينتفع منها الوطن والمواطن.

أوراق العمل التى قدمت في الملتقى في مجملها كانت جادة، وقدمت رؤى وأفكاراً



ينبغي الوقوف عندها.

لا يخفى على الجميع ان بلادنا ـ بخاصة ـ ولخصوصيتها الدينية المميزة لها ـ معرضة لهجمة شرسة ، غاية في الشراسة، هجمة تقاطعت فيها مصالح ومطامع واحقاد مجموعة من الدوائر الاجنبية.

والظرف يتطلب اللقاء والتوحد بوعي وادراك عميقين.

في كلمته للمؤتمر اشار صاحب السمو الملكي الامير سلمان بن عبد العزيز الى ان ثقافتنا لم تأت من فراغ، بل هي ذات نسب متصل، حملها الاولون، وتسلمها التالون لهم، وهكذا تتوالى الاجيال، وهذا الملمح يعنى بوضوح للقائمين بأمر الثقافة ان يظل هذا التوالي المتلاحق المتماسك متعمقاً ومتجذراً في بؤرة وعيهم لا يغادرهم.. ذلك لان الثقافة المنقطعة عن رحمها تظل مسخاً مشوها لا قيمة له.

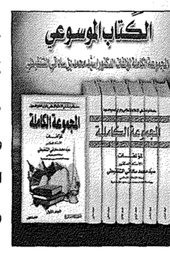
وإشارة ثانية في حديث سموه تمنحنا بعداً اضافيا، وهي الداعية لضرورة التلاقي والتلاقح بين الثقافات، وأن نأخذ منها أحسنها وأفضلها، وهكذا فعل الاقدمون فينا .. والامم تبني مجدها وعزها بحسن قراءة تراثها، وبعقلانية قراءة الآخر.

المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور الشنقيطي تطرح دراسات في الإعلام الإسلامي والرأي العام والدعوة

أصدرت دار الحضارة بالرياض عملا موسوعياً رائداً يضم بين دفتيه ٦ مجلدات ضخمة بعنوان (المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور الشنقيطي .. سلسلة دراسات في الإعلام الإسلامي والرأي العام والدعوة). يحمل العمل العشرات من الدراسات والأبحاث التى تساهم في تأصيل الإعلام الإسلامي ودعمه ليصبح نواة لقاعدة أصلية تنطلق منها إلى الجمع بين النظرية والتطبيق.

العمل يرصد أهمية الدراسات المتخصصة، وحاجة الأمة الى علماء متخصصين، وقادة نابهين في كافة مجالات الحياة حتى تتبوأ المكانة اللائقة، وتحقق المجد المنشود.

والمؤلف وهو خبير وباحث له العشرات من الدراسات الجادة والمتميزة في هذا المجال باعتباره عالماً متخصصاً في هذا الباب، ورائداً في ساحات العلم والعلماء، له باع طويل في خدمة علوم الشرع والمنافحة عنها وتأصيل الدراسات الإعلامية من خلال رؤية إسلامية ثاقبة، لذا فإن كتاباته سهلة العبارة، جزلة الأسلوب، مدعمة بالدليل الشرعي، ومستندة الى واقع عملي قابل للتطبيق، ليجمع بين النظرية والتطبيق وبين الدراسة والممارسة العملية.



غلاف الكتاب

يضم الكتاب بين دفتيه جملة أبحاث تأصيلية في الإعلام الإسلامي والرأي العام والدعوة والرقائق. حاول صاحبها أن يؤسس النظر فيها على كتاب الله وسنة الرسول {صلى الله عليه وسلم}، وما صح من فهم سديد لنصوصهما من العلماء الربانيين الموثوقين من سلف هذه الأمة. إضافة الى ما ثبت بالدليل الصحيح من نتاج فكري حديث حول موضوعاتها أثمرته جوانب التطور المختلفة في شؤون الحياة.

والعمل الموسوعي بما يرصده من وثائق وأبحاث يعد مرجعاً علمياً مهماً في ميدانه ليؤكد أن المسلمين أقدر الناس على العطاء العلمي المتميز، بفكر ثاقب ونظر سديد وأسلوب رائق مما

يثبت مرة أخرى أن إحسان الصلة بمصادر النور: القرآن والسنة له أثره البالغ في تكوين الشخصية العلمية الإسلامية المتميزة، وأساس متين للتأصيل العلمي في فروع المعرفة المختلفة، ويؤكد أن الوحي بشقيه هو ما يجعل المنطلق منه في البحث من أقدر الناس على تجلية الحقائق وأكثرهم قبولا عند من ينتفعون بما قدم من عطاء مستمد منه لما في ذلك من قدرة على الإقناع وبرهان ساطع لمن ينشدون الإقناع المؤسس على البرهان والدليل.

وهذا العمل الموسوعي يحمل صورة فريدة ودعوة صادقة الى إحسان الصلة بالوحي بشقيه وحثاً للباحثين في التخصصات العلمية المختلفة إلى أن يؤسسوا دراساتهم وأبحاثهم على الكتاب والسُّنة.

«كل يبكي من ليلاه»

صدر في مكة المكرمة عن دار القبلة للنشر والتوزيع (الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ) كتاب «كل يبكي من ليلاه» للأستاذ/ ابراهيم عبد العزيز الدعيلج.

والكتاب مزيج من القصص القصيرة والحكايات والحوارات بأسلوب هزلي فكه اعتمد على اللغة الخفيفة المكثفة، ليعالج الموضوعات التى أثارها، ويتناول الموضوعات الاجتماعية الحية والمتحركة التى عايشها المجتمع العربي والخليجي بصورة خاصه ومازال يعايش بعضها، التقطها المؤلف من هذا المجتمع، وما يعانيه الانسان من هموم وما يشكو من متاعب.

يقول المؤلف عن فحوى كتابه «هذه نفثات ولواعج كنت سفحتها على الورق - في معية الصبا - لأرتاح، لأنها تصور آلاما وآمالا في حياتي ولا انفكاك لها من حياة الناس، وتصور جوانب اجتماعية وثقافية وإنسانية لتلك المرحلة تتعاقب على كثير منها الأجيال. وقد ينفع الله ببعضها بعض أبناء اليوم».



غلاف الكتاب

اذا كان المعروف عند الناس أن كل واحد يبكي على - ليلاه - لأنها بعيدة المنال لا يستطيع الوصول اليها فهذا الكتاب يعكس لنا الصورة ويبين حالة الانسان وقد حصل على - ليلاه - التى كان يبكي عليها فانقلبت عليه الحاله من وضع البكاء عليها إلى البكاء منها.

والكتاب يقع في أربعمائة صفحة من الحجم الوسط.

الشاعر الكبير/ محمد حسن فقي .. إلى جوار ربه

فقدت الساحة الأدبية قامة من قاماتها السامقة، واسما لامعا من أسمائها بعد أن رحل عنها الأستاذ والشاعر الكبير/ محمد حسن فقي الذى انتقل الى رحمة ربه تعالى يوم السبت ١٨ شعبان ١٤٢٥هـ الموافق ٢ أكتوبر ٢٠٠٤م عن عمر يناهز الثالثة والتسعين.



ولد الشاعر والأديب/ محمد حسن فقي في مكة المكرمة في ١٣٣٢/٦/١٧هـ وتعلم بها في مدرسة الفلاح وبعد تخرجه منها عُهد إليه بالتدريس فيها، وكانت مصادر المعرفة لديه متنوعة بتنوع وتعدد من يقرأ لهم مثل طه حسين والعقاد والمازني وجبران خليل جبران ثم كانت بداياته مع عالم الفكر والأدب فبدأ بنظم الشعر وكتابة المقال الأدبي.

وعلى الرغم من قراءاته في كل الجوانب الأدبية وأخذه من كل جزء من الثقافة بنصيب من القديم والحديث إلا أنه يقول «أنا لا أريد أن أكون صورة لأي أديب، بل أريد أن أكون صورة لنفسي، لأفكاري، لشاعري وخوالجي».

تولى الفقيد العديد من الأعمال المهمة في الدولة منها:

- رئيس تحرير صحيفة «صوت الحجاز» خلفا للاستاذ/ عبد الوهاب آشي.
- عمل محررا في وزارة المالية والاقتصاد الوطني ثم رقي الى وظيفة رئيس ديوان التحرير بنفس الوزارة حتى وصل الى مفتش عام وزارة المالية والاقتصاد الوطني ثم مديراً عاما لوزارة المالية والاقتصاد الوطني.
- بناء على رغبة سامية من جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز - رحمه الله - تم تعيينه سفيرا للمملكة العربية السعودية في أندونيسيا.
- أوكل إليه جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز - رحمه الله - بتأسيس ديوان المراقبة العامة ثم استقال من هذا المنصب لأسباب صحية.
- عُين بعد هذا المشور الحافل بالعمل رئيسا لمجلس ادارة البنك الزراعي.

هذا ويعد الأستاذ/ محمد حسن فقي - عليه رحمة الله - أول مدير عام لمؤسسة البلاد الصحفية وعُيِّن أيضا مستشاراً للمجلة العربية.

أهم انجازاته في الأدب :

خلّف الفقيد مجموعة كاملة لشعره - فقد كان من أغزر شعراء العربية انتاجا - تجاوزت سبعة مجلدات قد تصل الى أكثر من خمسين ألف بيت شعري، بالاضافة الى ديوان «قدر ورجل» و«مجموعة الرباعيات» و«نظرات وأفكار في المجتمع والحياة» و«هذه هي مصر» و«الفلك يدور».

هذا الى جانب مجموعة كبيرة من المقالات الأدبية التى نشرت في شتى الصحف والمجلات المحلية والخارجية.

حصل الفقيد على عدد من الجوائز والأوسمة في مناسبات عديدة.

رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جناته وغفر الله لنا وله و«إنا لله وإنا إليه راجعون».

في الهمّ العربي

هذه زاوية نفتحها لقراء المنهل ومحبيها.. يسجلون فيها أفكارهم وآراءهم ومقترحاتهم، في الشأن العربي العام، إذ هو همّ الجميع، وهو الوطن الاكبر للجميع.. الجميع يحلم أن يراه فوق الثريا..

بلد الرافدين

من الغريب والمؤسف معا أن نكون في بداية القرن الـ ٢١ وفي بلد الرافدين وخيرات الطبيعة، بينما يبحث الجميع في هذا البلد عن كسرة خبز وشربة ماء!؟

إنه من المؤسف حقاً ان نرى العراقيين ذلك الشعب العريق، يعانى من كل هذا الظلم والذل والحرمان والمجاعة والبؤس، على الرغم من انهم يعيشون في بلاد الرافدين.

العراق بلد الأمجاد والحضارات والتاريخ زهرة الطبيعة وثراء العلماء .. كل هذه الثروات (بترول ـ طبيعة ـ أنهار ـ علماء ومفكرون) .. اصبح يشهد هذه المآسى المؤلمة القاسية على أراضيه، كل تلك علامات جادة تشهد على مدى تدهور الحالة التى وصل اليها حال العراق وأهل العراق.

إن هذه الصورة تجسد بشكل جلى البؤس الذى أصبح يعيش فيه العراقيون بعد الاحتلال (الأنجلو أمريكى).. تحت شعار الحرية والديمقراطية (قتل ونهب واغتصاب واهدار للكرامة).

إذاً أين هي الحياة الكريمة؟!

تبقى دائما وأبداً صرخة لقمة العيش (كسرة خبز وقطرة ماء) هي الحلم.!؟

أهذه هي الحرية!! ربما حرية (الأعمى) ماذا ينتظر المحتل من شعب اغتصبت أرضه وانتهكت آدميته امام اعينهم ؟!

انه الارهاب الذى طال الأبرياء والبسطاء.

وصدق قول الشاعر:

بلادى وان جارت علي عزيزة
وأهلي وإن ضنوا علي كرام

لله دركم يا أهل العرق.. كأنما كتب عليكم استبدال طغيان صدام بطغيان الاحتلال!

وما أحداث الاكراد ببعيدة.

وما أحداث أبو غريب ببعيدة

هناك سؤال يطرح: الى متى نظل نعيش تحت وَهْم : أننا مستهدفون وانها مؤامرة علينا!

لماذا لا نضع انفسنا امام المرآة (مرآة الذات) التى تقول بأن مجتمعاتنا العربية لازالت تعيش مع الاحلام.

علينا ان نواجه هذا الواقع المر الاليم بواقعية وعقلانية شديدة الفهم المدرك بوعي وفطنة.

لابد ان نتعلم من دروس التاريخ وما احداث ١٩٤٨م عنا ببعيدة.

إذا الشعب يوما أراد الحياة .. .. ..

أبو كريم
- مصر -

رأي .. وتعقيب (٢)

القاهرة المعزية .. المنصورية منطلقا

بداية أشكر لمجلة المنهل الغراء ما تقدمه لقراء العربية في كل مكان من موضوعات شيقة ومتنوعة وأود أن أنوه برد الأستاذ/ عمر السعيدي على الأستاذ/ عبد الناصر خلاف بخصوص قوله أن المعز الفاطمي انطلق من جيجل لفتح مصر وبناء مدينة القاهرة وهو قول مردود لأنه لا يستند الى أي حقيقة، كما انه وخلافا لما ذكره الأستاذ السعيدي فإن المعز لم يقرر فتح مصر وهو في المهدية.



وتعميما للفائدة وتأكيداً للحقيقة، وتعريفا بمرحلة مهمة جدا من التاريخ الاسلامى في هذه المنطقة (الشمال الإفريقي وخاصة تونس) أود تقديم التوضيحات التالية:

«إن الدولة الفاطمية تأسست سنة ٢٩٧هـ على أنقاض الدولة الأغلبية، وقد اتخذ العبيديون (الفاطميون) عاصمة الأغالبة القيروان عاصمة لهم، في بداية حكم عبيد الله المهدى، الى أن قرر الخليفة بناء عاصمة جديدة، حيث أسس مدينة «المهدية» وهى مدينة سامرة، على ساحل البحر المتوسط، متصلة بالبحر على هيئة كف متصلة بزند، وأحاطها بسور عظيم، وعندها قال قولته المشهورة:

«الآن أمنت على الفاطميات، يعني بناته وأزواجه»[١].

وبعد وفاة المهدي سنة ٣٢٢هـ (عن سن ٦٣ سنة قضي منها ٢٥ سنة في الحكم)، حيث خلفه أخوه القائم بأمر الله (من ٣٢٢هـ الى ٣٣٤هـ) في المهدية أيضا وخلفه من بعد وفاته ابنه المنصور بالله (سنة ٣٣٤هـ - ٣٤١هـ) وهو الذى قرر العودة الى القيروان التى ولد بها سنة ٣٠٢هـ، وبنى بجوارها مدينة «المنصورية» وجعل لها أسوارا وعدّة أبواب هي باب زويلة وباب الفتوح والباب القبلي والباب الشرقي وهي الأبواب التى ستطلق لاحقا على بعض أبواب القاهرة المعزية، وكذلك باب كتامة تكريما لقبيلة كتامة التى أخلصت للحكم الشيعي.

وقد توفي المنصور وعمره ٣٩ سنة وحكم

سبع سنوات فقط وعرف كثيرا من المتاعب والفتن لعل أبرزها ثورة أبى يزيد مخلد بن كيداد المشهور بـ «صاحب الحمار» الذي قاوم الدولة الشيعية مدة عشرين عاما ، وألقى عليه القبض وأعدم سنة ٣٣٩هـ بالمهدية كما أقسم المنصور بذلك. وبعد وفاة المنصور خلفه ابنه وهو أشهر الخلفاء العشرة للدولة الفاطمية - المعز لدين الله الفاطمي، وهو الخليفة الرابع (تولى الحكم سنة ٣٤١هـ الى ٣٦٥هـ) تاريخ وفاته أي أنه قضى في الحكم ٢٤ سنة منها ١١ سنة في المنصورية عاصمة والده المنصور بالله، ومنها انتقل الى القاهرة سنة ٩٦٧م، (وليس من المهدية) ومن المنصورية ومن كامل افريقية .

أخذ المعز معه مالا يحصى ولا يعد من الأموال والحلي وجل ثروات البلد حتى إنه اضطر الى إفراغ البلاد من الدواب والبعير والابل والخيول لنقل الجوارى الحسان والاموال وكل ما خف حمله وغلا ثمنه، وترك الخزائن وكل البلاد فارغة لمن تولوا بعدهم.. والحكم باسمهم من قادة قبيلة صنهاجة كبرى القبائل البربرية المسلمة وبذلك بدأ عهد الدولة الصنهاجية أو الزيرية بقيادة بلكين ابن زيرى حيث عاد أهل تونس وباقي بلدان الشمال الإفريقي الى المذهب السني المالكى في اليوم الموالي لرحيل المعز، وقد انتسب أهل أفريقية (الشمال الإفريقي) مبكرا للمذهب السني (مذهب الإمام مالك) أى مذهب أهل المدينة الذى نشره الفقيه العالم أبو الحسن على بن زياد رضي الله عنه (المتوفي سنة ١٨٧هـ) وهو الذى ذهب الى المدينة المنورة ودرس المدونة من الإمام مالك ونشر المذهب المالكي على كامل بلدان الشمال الافريقي وتولى من بعده نشر المذهب المالكى تلامذته الذين أصبحوا أعلاما كبارا وقضاة وقادة في القصر الأغلبي في القيروان واشهرهم قاضي القضاة الفقيه الإمام سحنون بن سعيد، والبهلول بن راشد وعيسى بن مسكين وأسد ابن الفرات الذى قاد الجيوش من ميناء مدينة سوسة لفتح صقلية في عهد زيادة الله الأغلبي سنة ٢١٢هـ.

تلك معان وتوضيحات أراها ضرورية بخصوص مرحلة من أهم مراحل تاريخ إفريقية (بلدان المغرب العربي اليوم) الإسلامي. لعلها تزيد قراء العربية في أرجاء الوطن العربي الإسلامي تعارفا وتواصلا، في هذا الزمن الصعب، الذى يدعو الى مزيد من التواصل والتعارف.. ولمثل هذا دامت «المنهل» وأسرتها الموفقة والله الموفق.

أ. جعفر الأكحل
رئيس تحرير مجلة «الميثاق» - تونس

الهوامش :

(١) رحلة التيجاني .

(٢) خلاصة تاريخ تونس / ح.ح. عبد الوهاب.

القرآن والتاريخ وتواضع العلماء

درست التاريخ القديم لشبه الجزيرة العربية عام ١٣٨٧هـ على يد الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الطيب الأنصاري بكلية الآداب بجامعة الملك سعود (الرياض سابقا) وبالتحديد في السنة الأولى، فكان مما قرره الدكتور الأنصاري في منهجه أن القرآن الكريم لا يعتبر مصدراً لهذا التاريخ إذ أن ما ورد فيه من أخبار عن الأمم القديمة لا يعدو أن يكون للعظة أو الاعتبار.



غلاف العدد

صورة من المقال

وفي عدد مجلة المنهل (٥٩١) لشهري ربيع الأول والثاني ١٤٢٥هـ وشهري مايو ويونيه ٢٠٠٤م، قرأت التحول في فكر استاذي التاريخي، إذ نشر مقالا «بحثا» بعنوان «القبائل البائدة كما أرخها القرآن الكريم» ص ٦٤ ـ ٦٨، يشير في مقدمته الى البلبلة بين المثقفين خاصة «أولئك الذين لا يستطيعون النظر في الأمر وتحرير الرأي فيه».

والقرآن الكريم كمصدر تاريخي للأمم الغابرة، تحدث عنه الدكتور الأنصاري ضمن الحقائق التالية:

١ ـ استمد منه الإطار الزمني لتلك الأمم لأنه الأصدق: حيث يقول: «إن كثيرا مما جاء فيه ينفرد به عن التوراة، وخاصة عندما يتحدث عن عاد وثمود»، وأسند الفضل في ذلك للمفسر الإمام الطبري عندما نقل تراث عصره عن ثمود، معلقاً على ذلك بأن الطبري

كأنه «بإلماحته هذه كان يريد أن يستند بما يأتي به الأخبار من أخبار، وما يختزنه القصاص والأخباريون».

٢ ـ يرد الدكتور الأنصاري على من يقول إن القرآن يستفاد منه لأشياء أخرى غير التاريخ، بأنه يشعر «أن التاريخ إنما هو حدث وزمان ومكان»، مع إثباته بأن القرآن يتحدث عن الحدث بكل التفاصيل وعن الزمان بأدوات التاريخ المعتادة مثل قبل، بعد، قروناً بين ذلك كثيرا، أما المكان فيمكن استنتاجه من السرد التاريخي للحدث، بل ويذكره القرآن كما هو الحال في الربط بين ثمود والحجر.. وهذه هي أركان الاحتجاج بالقرآن مصدراً تاريخياً لأحداث كثيرة تتمشى مع ما وصل إلينا من أخبار عنها غير سبيل القرآن أو قد تختلف عنه كما يضيف د. الأنصاري.

٣ ـ الترادف التاريخي: ويكشفه الباحث في آية واحدة هي الآية ٨٩ من سورة هود التى يقول فيها تعالى: **{ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد}** ويتساءل بتقريرية عما إذا كان المدينيون معاصرين لقوم لوط في الزمان أو مجاورين لهم في المكان؟ ويرجح ذلك والله أعلم.

٤ ـ المكان : المتمثل في القرى، يستشهد بقوله تعالى: **{ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد}** (سورة هود آية/١٠٠)، وأذكر هنا أن أستاذي الدكتور الأنصاري وجهني قبل عدة أعوام بأن أقوم برحلة جوية بطائرة هيئة المساحة السعودية الجيولوجية لمشاهدة هذه القرى شمال غرب المدينة المنورة، وقال ـ كما أذكر ـ إن آثارهم موجودة ـ يقصد القبائل البائدة ـ كأنها زالت أمس فقط. وهنا أتوقف

عبد المؤمن بن عبدالله القين

جدة

عند مصطلح السرد التاريخي الذى جاء في بحثه المنشور الآن بمجلة المنهل، لاضيف عليه كلمة «الحاضر» إن لم تكن «الحضاري» إذ أن لفظ (منها قائم) في الآية الكريمة يثبت صحة ملاحظته وأنها لا تزال ـ أي القرى ـ حاضرة أو حضارية إذا ما اعتبرنا أن الحضارة هي القرآن الكريم الذي جاء فيه التحديث فغير حياة العرب الجاهلية ونقلهم من البداوة الى سيادة الأمم وقيادتها، قال تعالى: **{ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون}** (الأنبياء آية/٢) ، وإن الاستشهاد بما ورد في كتاب مقدمات العلم الحديث، يضيق به المجال هنا[١].

ويمكن من خلال اقتراح الدكتور الأنصاري تأمل وملاحظة هذه القرى والوقوف عليها لأخذ العبرة والعظة بعد ذلك، حيث إن أهل هذه القرى حينما كذبوا أنبياء الله أخذهم الله بالبأساء والضراء، قال عز وجل: **{وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضَّرعون * ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مسَّ آباءنا الضراءُ والسراءُ فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون * ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون}** (سورة الاعراف آية/ ٩٦).

٥ ـ الجمع بين القبلية والترتيب الزمني لهذه الأقوام: حيث ينتبه الباحث الى ما وراء قوله تعالى: **{وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ***

وقوم ابراهيم وقوم لوط * وأصحاب مدين وكُذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير} (الحج آية/ ٤٢ ـ ٤٤).

يقول الأستاذ الدكتور الأنصاري: «وهنا نجد ثبتا وتسلسلا واضحاً بالقبلية والترتيب الزمني منذ نوح الى موسى».

٦ ـ الإطار الزمني لتاريخ هذه الأمم وتاريخ الجزيرة العربية: حيث يشير الى قوله تعالى: **{وعادا وثمود وأصحاب الرس وقروناً بين ذلك كثيرا}** (سورة الفرقان آية/ ٣٨)، ويخلص أستاذنا الى أن التسلسل الزمني في هذه الآية ليس مترابطاً أمة تلو أخرى، لكن هناك (قروناً بين ذلك) فكم هي هذه القرون؟ ويثير بتساؤله هذا القضية التى يجب أن يبحثها ويحققها علماء ما قبل التاريخ أو ما قبل الكتابة.

ويستنتج من قول الله تعالى: **{وقروناً بين ذلك كثيرا}** (الفرقان/٣٨) ، حقيقتين ثابتتين، الأولى هي: أن ثموداً قوم صالح هم أصحاب الحجر، والثانية أن وجودهم كان في الألف الثالثة قبل الميلاد وربما قبل ذلك.

ويصل الى تسلسل الأمم البائدة على النحو التالي :

١ ـ قوم نوح .
٢ ـ قوم هود (عاد).
٣ ـ قوم صالح (ثمود).
٤ ـ قوم ابراهيم + قوم لوط .
٥ ـ قوم شعيب (مدين).
٦ ـ موسى عليه السلام (فرعون وقومه).

ويختم الدكتور الأنصاري بحثه بإيراد نصوص الآيات القرآنية مواضع شواهد البحث، في كل من سورة الأعراف، هود، ابراهيم، الحج، الفرقان، غافر، الفجر.

ويمكن للباحث أن يضيف الى ما ورد في بحث أستاذنا الفاضل من السور السابقة ما ورد في سورة الحجر من أخبار قوم لوط التى جاء فيها ـ بصفة خاصة ـ لفظ (التوسم) بمعنى التفرس والتأمل كما يذهب الشيخ حسنين محمد مخلوف في تفسير وبيان كلمات القرآن الكريم ص/ ٢٦٦، في قوله تعالى: **{إن في ذلك لآيات للمتوسمين}** (الحجر/ ٧٥)، وهذا التوسم في الأرض لتتبع آثار قوم لوط الذين أخذتهم الصيحة، ويشمل الدقة في الملاحظة والرؤية وهو أمر يعتمد عليه علم الآثار في التحري والاستقصاء، ويستفيد ـ بدوره ـ من علوم أخرى كالفلك والأنواء «الأرصاد»، اللذين يجتمعان معه في قوله تعالى: **{له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى}**[*] (طه/٦)، وقد فسر مخلوف (وما تحت الثرى) بأنه ما وراء التراب أو ما وراء الأرض (ص ٣١٢)، ولا شك أن العموم في الآية هو المقصود لا الخصوص فالثرى يضم تحته الكنوز والمعادن والثروات والله أعلم.

أما لفظ الآثار ـ بصفة خاصة ـ فقد ورد في قوله تعالى: **{إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين}** (يس/١٢).

وخلاصة القول إن أستاذنا الجليل وهو الباحث المتميز في آثار الجزيرة العربية التى اكتشف من خلال جهوده فيها قرية الفاو ـ على سبيل المثال ـ وبحثه مدار النقاش إنما يأتي تصديقاً لقوله تعالى: **{ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء}** (النحل/٨٩).

إن موقف الإسلام يرفض ـ والحالة هذه ـ موقف الغربيين المستشرقين الذي ينفون فيه أن يكون القرآن

كتاب تاريخ ، وهذا ما يؤكده الدكتور الأنصاري في مقدمة بحثه، فضلا عن اعتبار نفر من هؤلاء المستشرقين التوراة كتاب تاريخ في حين أن التوراة - كما يعرف هؤلاء ويقرون به - والإنجيل محرفان، أما القرآن فقد تكفل الله بحفظه من التحريف، قال عز وجل: **{إنَّا نحن نزلنا الذكر وإنَّا له لحافظون}** (الحجر/٩).

رؤية إعلامية :

إن الخطاب التاريخي القرآني، هو أحد المحاور التى يستطيع الإعلام بخطابه عبر مختلف قنواته إثبات دلائل قدرة الله على بقاء بعض قرى الأقوام البائدة لتقوم الحجة على من يقول إن القرآن الكريم ليس كتاب تاريخ فيه (الحدث والزمن والمكان)، هذا في المكان الأول ثم تأتي المكانة الثانية للقرآن وهى العظة والاعتبار.

وفي هذا العرض من المفيد أن نشير الى علاقة الإعلام بالتاريخ والآثار، فهي علاقة قديمة قدم الإنسان نفسه حيث استطاع أن يخلد مجده وتاريخه وتشريعاته من خلال الوسائل الإعلامية قديماً وحديثا، قديماً في مسلّة حمورابي - مثلا - والشعر الجاهلي العربي، وضرب النقود منقوشة عليها صورة الزعماء والملوك كما لدى اليونانيين... الخ.

وحديثا في الوسائل الإعلامية المتطورة سواء منها المسموعة أو المقروءة أو المرئية.. ويدين التاريخ - بصفة خاصة - والتراث - بصفة عامة - للإعلام بالفضل، إذ أنه يحفظ أحداث التاريخ ووثائقه فهو - بعبارة أخرى - أرشيف له، ليس لأربعين سنة خلت، كما يذهب بعض الباحثين[٢]، ولكن - إذا أراد الإعلام - لأكثر وأعمق من ذلك بكثير حتى الوصول الى تاريخ الأمم البائدة وإنسان الكهوف أيضا، بحيث يكون في هذا التوجه ما يفيد الجمهور المتلقي علمياً وحضارياً.

لذا فمن المفيد أن يكون السرد التاريخي لتاريخ الأمم البائدة وغيرها ممن أتى بعدها وحتى يومنا هذا، في وسائل الإعلام في سياق تاريخي حضاري - كما تقدمت الإشارة إليه - وأقصد بكلمة «حضاري» أي ما ورد في كتاب الله عز وجل الذى لم يقتصر الخبر الإعلامي فيه على الماضي بل الحاضر والمستقبل، فالثبت والتسلسل يشملهما أيضاً، مثل:

١ - قوله تعالى: **{لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر}** (الحشر/١٤)، ففي الماضي تشهد آثار اليهود أنهم لم يقاتلوا المسلمين إلا في قراهم المحصنة[٣].

ويبرز الإعلام بالصورة الفوتوغرافية والتلفازية في أيامنا هذه مناظر الجنود الإسرائيليين (الجبناء) المدججين بالسلاح داخل دباباتهم ومصفحاتهم ومن ورائها جدر المباني، كيف يقتلون صبية الحجارة، ولم يبلغ الحرج بعد ضمير العالم فيهتز وينتفض لنجدة هؤلاء الصبية الشجعان الذين أدركوا رمزية الحجر في نفسية الصهاينة الغزاة لما يثيرذلك في نفوسهم من كراهية لمنظر الحجر لأنه يذكرهم بقتل داود لجالوت بمقلاع الحجر، وهنا نصل الى تعريف وفهم السياق التاريخي الحضاري لهذه الظاهرة الإعلامية، وهو سياق يختلف فيه الحدث بين الماضي والحاضر والمستقبل كما يفيد تدبر أيتي سورة الحشر (٢، ١٤) والله أعلم.

٢ - الحوار الذي يجري بين أصحاب النار وأصحاب الجنة وكل منهما لا يشعر بما يشعر به الاخر، وهو من قبيل التمثيل بالحوار الذي يدور الآن عبر الفضائيات التلفازية أو ما يطلق عليه علم الدعاية

«بالاعلام التفاعلي» فقد يكون المراسل في منطقة حرب أو كارثة بيئية أو حريق... الخ، ويتحدث عبر الفضاء، مع مذيع النقل في الاستوديو، أو مع أي إنسان في مكتبه أو منزله بحيث يتحدث معه دون الشعور بما يشعر به المراسل من خوف ورهبة يفرضهما الموقف والموقع الذي ينقل منه رسالته الاخبارية، وربما يدفع ثمناً لهذا النقل حياته فيقتل برصاصة أو صاروخ طائشين والشاهد على هذا الحوار قوله تعالى: {**ونادى أصحابُ النار أصحابَ الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله**} (الأعراف/٥٠).

٣ - المضامين الإعلامية المغرضة: وهي حوالي أحد عشر مضموناً وقد وردت في القرآن الكريم متضمنة عدداً من ألفاظ ومصطلحات الإعلام مثل: القول، السمع، النبأ، السر، النجوى، إطفاء نور الله بالأفواه، الكذب، الإشاعة، ليّ اللسان... الخ.

مما يضيق المجال لتفصيله وسينشر إن شاء الله في دراسة مستقلة، وإنما أشير إليها هنا لأنها من الأمور المهمة في القرآن الكريم والتى اشتملت على خبر الماضي والحاضر والمستقبل معاً، ويتوفر فيها الثبت والتسلسل بالنسبة للحدث، أما المكان والزمن بالنسبة لأحداث المستقبل فعلمهما عند الله، ويمكن توثيقهما ضمن الثبت والتسلسل حين وقوع الأحداث فيهما، والله أعلم.

توصية

يمكن للإعلام التنسيق مع أساتذة التاريخ والاثار ومع الهيئة العليا للسياحة طرح فكرة الإطلاع على آثار الأمم البائدة في شبه الجزيرة العربية، واكتشافات أستاذنا الدكتور الأنصاري والتى من أبرزها قرية الفاو، وأن تطرح هذه الفكرة على مائدة البحث والدراسة لإعطاء الموضوع حقه وبالتالي أبعاده الثقافية والاقتصادية والدينية التى يرتكز عليها مفهوم السياحة في القرآن الكريم، حيث وردت كلمة السياحة، في سورة التوبة بقوله تعالى: {**فسيحوا في الأرض أربعة أشهر**}، وفي قوله سبحانه {**التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين**} (التوبة/١١٢).

فالسائح هو الماجد أو الصائم حسب تعريف الشيخ مخلوف/ ص ٢٠٥، وقيل هو طالب العلم.. ولا شك أن في السياحة ما يتعلم منه الإنسان فضلا عن الترويح عن النفس بالطرق السليمة البريئة، ولست بحاجة الى التعرض للعلاقة بين الاقتصاد والسياحة فأمرها معروف لا يجهله أحد-

وأخيرا، لقد أتاح لي بحث أستاذنا الدكتور الأنصاري فرصة المشاركة في هذا الأمر المهم من عدة زوايا أهمها الإدلاء بما لدي من تصور وبعض الأفكار في مجال العلاقة بين الإعلام والتاريخ والاثار، تلك العلاقة الحضارية القرآنية التنويرية الحقة، ذات الدلالات الإعلامية العديدة التى من أهمها إبراز القيمة الحضارية للقرآن المتمثلة في عجائبه التى لا تنتهي حتى قيام الساعة حيث يشتمل على خبر ما قبل وما بعد، أي «القبلية» و«البعدية» في المضمون الإعلامي الإخباري نفسه، كما أطلق عليها الدكتور الأنصاري في بحثه القيم.

وإنه لمن الملاحظ أن يتداخل التاريخ من حيث المكان (بين يديها) و(ما خلفها) مع الموعظة، وذلك في

قوله تعالى: {**فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين**} (البقرة/٦٦)، وذلك عند الحديث عن أصحاب السبت بقوله عز وجل: {**ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين**} (البقرة/٦٥).

فلدى الباحث - أيضا - موقع حاضر (بين يديها) وموقع خلفي مجاور - على الأرجح - (ما خلفها). وقد يكون (الخلف)[٤] زمنا مثل (البعدية) لكنه آني الترتيب أكثر من (البعدية) التى قد تتميز بوجود فترة - ولو قصيرة - تفصلها عن (القبلية) فما هو الجواب الصحيح خاصة أن الخلف يعني الإنسان فرداً وجماعة وهو عكس السلف كما هو معروف؟ وقد ورد بهذا المعنى في قوله سبحانه: {**فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب**} (الأعراف/ ١٦٩)، وقوله تعالى: {**فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات**} (مريم/ ٥٩).

أما الموعظة المشار إليها في آية البقرة - سالفة الذكر - فتتمثل في مسخ نفر من اصحاب السبت قردة خاسئين، ويذكر الحافظ ابن كثير أن تفصيل القصة موجود في سورة الأعراف في تفسير قوله تعالى: {**فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين**} (البقرة/ ١٦٦)، كما ورد المسخ الى قردة وخنازير في قوله تعالى: {**مَنْ لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير**}، أما قرية هؤلاء فهي قرية «أيلة» القريبة مَنْ مدين والطور.

ولا يظن ظان أن القردة والخنازير مخلوقون من المسخ، فالمسخ لا يتعدى ثلاثة أيام - كما يقول ابن كثير - ثم يموت الممسوخ - ولكن القردة والخنازير مخلوقون وحدهم كأي خلق آخر، وليس الإنسان متطور عن القرد كما تذهب نظرية داروين، وهنا تبرز حضارة القرآن في الرد على داروين وأمثاله من خلال سرد تاريخي حضاري أو «معاصر» نسبة الى عمر نظرية داروين نفسها.

الهوامش :

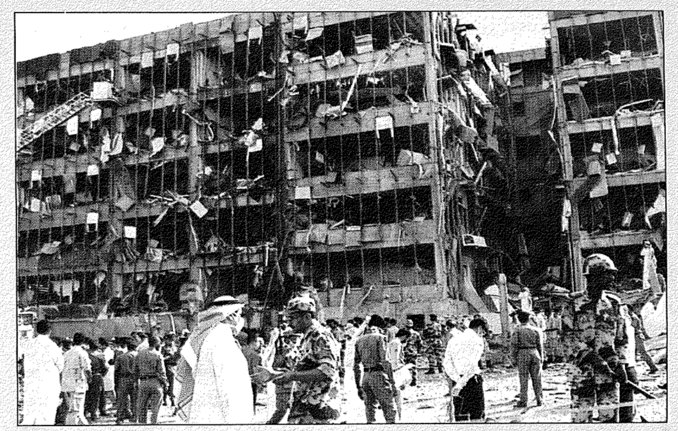
(١) انظر د. نبيل على الثقافة العربية وعصر المعلومات (عالم المعرفة) العدد ٢٧٦/ مطابع السياسة الكويت، ٢٠٠١ ص ص ٣٤٥ - ٣٩٧.

(٢) توماس جولد شتاين، المقدمات التاريخية للعلم الحديث، ترجمة: احمد حسان عبد الله (عالم المعرفة)، العدد (٢٩٦)، مطابع السياسة، الكويت، ٢٠٠٣م، أنظر: الفصل الرابع «هبة الاسلام» ص ص ١٠٩ - ١٤٤.

(٣) مثل حصون اليهود في بني قريظه التى ظنوا أنها مانعتهم من الله حينما أخرجهم الله على يد رسوله (صلى الله عليه وسلم) من ديارهم، قال عز وجل: {هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله} (الحشر/٢).

(٤) جاء في تفسير البيضاوي أن معنى (لما بين يديها وما خلفها) أي «لما قبلها وما بعدها من الأمم».. أو لما يحضرها من القرى وما تباعد عنها، أو لأهل تلك القرية وما حواليها، أو لأجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما يلحق منها».. ففي هذا التفسير ثلاث معان لـ (خلف) كما هو واضح. انظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص ٦٧.

[*] فسر الدكتور زغلول النجار (وما بينهما) السحب المحملة ببخار الماء - التلفزيون السعودي، القناةالاولى، (برنامج الأرض والكون، ١٤٢٥/٤/١٥هـ - ٢٠٠٤/٦/٢م، وعلم الارصاد الجوية هو العلم المعنى بدراسة السحب والرياح وغيرها.



قال عليه الصلاة والسلام :

«أبى الله أن يجعل لقاتل المؤمن توبة»

حرمة النفس فى الإسلام

لقد صان الاسلام حرمة النفس الإنسانية، وجعل عقوبة العدوان على الانسان المؤمن دخول جهنم خالدا فيها كما قال الله تعالى: ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدّ له عذابا عظيما﴾ (سورة النساء آية/٩٣).

بل حرّم الاسلام العدوان على النفس الإنسانية بصفة عامة وجعل العدوان عليها عدوانا على الانسانية جمعاء، حيث إن العدوان على النفس يمثل إهداراً لحق الانسان في حياة آمنة وهو أيضا فتح لباب الشر بين الناس، قال الله تعالى: ﴿من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا﴾ (سورة المائدة آية/٣٢).



أ.د. أحمد عمر هاشم
عضو مجمع البحوث الإسلامية - القاهرة

نرى في هذه الآية الكريمة أن الله تعالى وضح أن المعتدي على النفس الواحدة كأنه اعتدى على الناس جميعا لأنه أهدر حق النفس بصفة عامة، وأشاع الرعب والفزع، وقضى على الأمن والاستقرار.

ولم يأمر الاسلام بالتفتيش على قلوب العباد بل إنه يحكم بالظاهر، فمن قال كلمة الايمان وهي كلمة التوحيد فلا يجوز لأحد أن يعتدى عليه، عن عقبة بن خالد الليثى قال: بعث رسول الله {صلى الله عليه وسلم} سرية، فأغارت على قوم فشذّ من القوم رجل، فاتبعه رجل من السرية شاهرا سيفه، فقال الشاذ من القوم: إني مسلم، فلم ينظر فيما قال فضربه فقتله فنمى الحديث الى رسول الله {صلى الله عليه وسلم}، فقال فيه قولا شديدا، فبلغ القاتل فَبَينَا رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يخطب إذ قال القاتل: والله ما قال الذى قال إلا تعوذا من القتل، قال: فأعرض رسول الله {صلى الله عليه وسلم} عنه وعمن قبله من الناس، وأخذ في خطبته، ثم قال أيضا: يارسول الله ما قال الذى قال إلا تعوّذا من القتل، فأعرض عنه وعمن قبله من الناس وأخذ في خطبته ثم لم يصبر حتى قال الثالثة: والله يارسول الله ما قال الذى قال إلا تعوذا من القتل، فأقبل عليه رسول الله {صلى الله عليه وسلم} تُعرف المساءة في وجهه فقال: «إن الله أبى على من قتل مؤمنا» ثلاثا[١].

ولا شك أن القتل بسائر صوره الإرهابية من أكبر الكبائر، وأشد الجرائم خطرا على الناس، إنها جريمة إذا ظهرت في مجتمع أو تفشت في بيئة نشرت الرعب والفزع، وقضت على الأمن والاستقرار وأشاعت الفوضى والبغضاء، وقطعت الروابط الانسانية ورمّلت النساء ويتمت الأطفال.

قال عليه الصلاة والسلام: «أبى الله أن يجعل لقاتل المؤمن توبة»[٢].

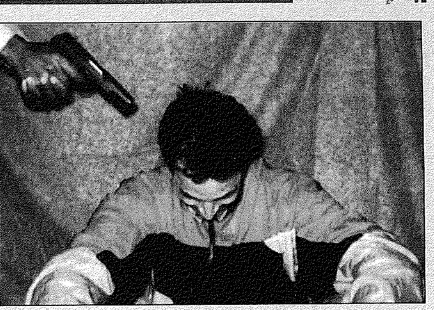
وفي تأكيد حرمة دم المسلم جاء عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: «لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»[٣].

وقد قرر الاسلام حرمة النفس وأكدها حتى إن الرسول صلوات الله وسلامه عليه وهو يطوف بالكعبة - والكعبة حرمتها ومكانتها - ولكنه يعلن حرمة المسلم، وأنها أعظم وأكد فقال {صلى الله عليه وسلم}: «ما أطيبك وما أطيب ريحك، وما أعظمك وما أعظم حرمتك، والذى نفس محمد بيده لحرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمتك، ماله ودمه»[٤].

كما أكد رسول الله {صلى الله عليه وسلم} على حرمة النفس وعلى حقها في الحياة الآمنة المستقرة، ووضح هذه الحقيقة في خطبة الوداع إذ يقول: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ألا هل بلغت اللهم فاشهد كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه».

ولقد حذر الاسلام أشدّ التحذير من قتال المسلمين بعضهم لبعض ونهاهم عن استحلالهم لدماء بعض في القتال والغارات، لأنهم بهذا يخرجون عن دائرة هداية الاسلام، عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: «لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»[٥].

كما أكد الاسلام على التحذير من حمل السلاح على الأمة من أجل سفك الدماء، وقتل الأبرياء ونظر الى الذين يحملون السلاح على الأمة بأنهم بعيدون عن دائرة الاسلام وعن الخلق الاسلامي، عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} «من حمل علينا السلاح فليس منا»[٦].



حريصا على قتل صاحبه»[٧].

وأما عن واجب الأمة الاسلامية حيال ما يقوم به بعضها من فتن وقلاقل وصراعات وقتل، فإننا إذا نظرنا الى دستورنا السماوى وهو القرآن الكريم نجد أنه قد أرسى قاعدة شرعية لها أهميتها وخطرها في هذا الصدد، تلك القاعدة، يترتب عليها صيانة الأمة من التفكك والقلاقل وفيها قضاء حاسم على الفرقة والخصام، لأنها قائمة على الإصلاح بين المتنازعين والمتقاتلين، والحد من بغي الباغين ومواجهتهم بالحق والعدل.

يقول الله تعالى: {**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء الى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين، إنما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون**} (سورة الحجرات آية/٩ - ١٠).

وقد قرر الاسلام حقوق أخُوّة الإيمان، التى تقتضى من المؤمنين أن يخفوا لنجدة إخوانهم، وأن يسارعوا بالاصلاح بينهم وأن يخمدوا نار الفتنة إذا اشتعلت فيهم، وأن يصونوا دماءهم وأموالهم وأعراضهم من التعرض للضياع والهلاك.

قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم]: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ها هنا، ويشير الى صدره ثلاث مرات، بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»[٨].

إن الاسلام ينادى جميع أتباعه لنصرة المظلومين ومنع الظالمين، عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم]: «انصر أخاك

وقال بعض علماء الحديث: كل حديث فيه لفظ: «ليس منا» يخشى على صاحبه من الموت على غير الإيمان، وليس الوعيد مقصورا على القاتل فحسب، بل إنه يشمل القاتل والمقتول ما دام الطرفان حريصين على القتل وما داما قد أشهر كل سيفه في وجه صاحبه كما يحدث بين بعض الجماعات الارهابية والمتطرفة عندما تختلف مع بعضها، وكما يحدث أحيانا بين بعض الدول في غير وجه حق، عن أبى بكر رضى الله عنه قال: قال رسول الله [صلى الله عليه وسلم]: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما وقتل أحدهما صاحبه، فالقاتل والمقتول في النار»، قيل: يارسول الله هذا للقاتل، فما بال المقتول؟ قال: «إنه كان

**** النفس الانسانية بعامة لها كرامتها عند الله وحرمتها فلا تمسّ بسوء.**

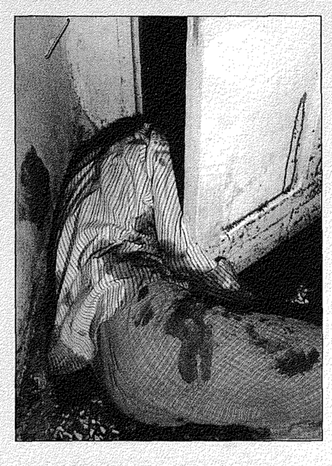
ظالما أو مظلوما» فقال رجل: يارسول الله انصره إذا كان مظلوما، أفرأيت إن كان ظالما؟ كيف انصره؟ قال: تحجزه أو تمنعه عن الظلم فإن ذلك نصره»[٩].

وأما ما يجب أن تقوم به الأمة الإسلامية ـ في مشارق الأرض ومغاربها ـ لصيانة دينها وعقيدتها، وأرضها وعرضها، ودمائها وأموالها، أن تتوحد وان تعتصم بحبل الله، تلبية للنداء القرآني: {**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**} (سورة آل عمران الآية/١٠٣).

إن جميع الانساب والأجناس تنتمي الى أصل واحد ـ في نظر الاسلام ـ وهنا تبرز أهمية التعارف وضرورة اتصال المجتمعات الاسلامية وتضافرها، قال الله تعالى: {**وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله أتقاكم**} (سورة الحجرات/ آية ١٣)، وعمّق الاسلام مفهوم الوحدة بأقوى رباط ينبغي ألا ينساه أحد، ذلك هو الرباط الروحي رباط العقيدة الصحيحة التي ينتظم تحت لوائها كل المسلمين مهما تباعدت الأقطار واختلفت الأشكال، قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} «أيها الناس إن ربكم واحد كلكم لآدام وآدم من تراب لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي ولا أحمر على أسود ولا أسود على احمر إلا بالتقوى»[١٠].

وكثير من المجتمعات البشرية اليوم تعج بتيارات مختلفة تتبع غير سبيل المؤمنين من شيوعية ووجودية وقاديانيه، وبيّن القرآن الكريم نهاية من يشاقق الرسول، قال سبحانه: {**ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نُوَله ما تولّى ونُصلّه جهنّم وساءت مصيرا**} (سورة النساء/ آية ١١٥).

وما تنفثه كل هذه التيارات من سموم فكرية ومؤامرات وأباطيل، وما تدفع به من موجات تحللية في المحيط الاسلامي ـ بغيا وعدوانا وتخطيطا على مدى بعيد ـ تسعى من ورائه لاضعاف شوكة المسلمين، ولفرقتهم واختلافهم ومحاولة فصلهم عن بعضهم،



ليتحقق هدف الاستعمار وأعداء الاسلام.

وإن واجب الجميع أن يستجيب لله وللرسول في قوله سبحانه: {**يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم**} (سورة الأنفال/ آية ٢٤، ٢٥).

الهوامش :

(١) رواه احمد والنسائي من حديث سليمان بن المغيرة.
(٢) رواه الطبراني في الكبير.
(٣) رواه البخاري ومسلم.
(٤) رواه ابن ماجه.
(٥) رواه البخاري واحمد والنسائي.
(٦) رواه احمد والبخاري ومسلم.
(٧) رواه البخاري ومسلم واحمد.
(٨) رواه مسلم.
(٩) رواه البخاري ومسلم.
(١٠) رواه احمد .





القرآن الكريم بغير العربية امتهان لقدسيته

جعل الله لهذا القرآن الكريم لسانا واحدا وهو «العربية»، فأنزل به كتابه الخالد، على نبيه العظيم محمد ﴿صلى الله عليه وسلم﴾، وقد جاء وصف القرآن الكريم «عربيا» إحدى عشرة مرة، على النحو التالي:

١ ـ **{وهذا لسان عربيٌ مُبين}** (سورة النحل/ ١٠٣).

٢ ـ **{نزل به الرُّوحُ الأمينُ * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مُّبين}** (سورة الشعراء/ ١٩٣ ـ ١٩٥).

٣ ـ **{ءاعجميٌ وعربيٌ قل هو للذين آمنوا هُدى وشفاء}** (سورة فصلت/ ٤٤).

٤ ـ **{إنَّا أنزلناه قُرْآنا عربيا لعلكم تعقلون}** (سورة يوسف/٢).

٥ ـ **{وكذلك أنزلناه حُكْماً عربيا}** (سورة الرعد/ ٣٧).

٦ ـ **{وكذلك أنزلناه قرءانا عربيا وصرَّفنا فيه من الوعيد}** (سورة طه/ ١١٣).

٧ ـ **{قرءانا عربيًّا غير ذي عوج لعلهُمْ يتقُون}** (سورة الزمر/ ٢٨).

٨ ـ **{كتابٌ فُصلتْ آياتُهُ قُرءانا عربيًّا لقوم يعلمُون}** (سورة فصلت/ ٣).

٩ ـ **{وكذلك أوحينا إليك قُرءانا عربيًّا}** (سورة الشورى/ ٧).

١٠ ـ **{إنا جعلناهُ قُرءانا عربيًّا لعلكُمْ تعقلُون}** (سورة الزخرف/ ٣).

١١ ـ **{وهذا كتابٌ مُّصدقٌ لسانا عربيا لينذر الذين ظلمُوا}** (سورة الأحقاف/ ١٢).

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى ـ بعد أن أورد بعضا من تلك الآيات ـ في كتابه الرسالة ص ٤٧: «أقام حجته بأن كتابه عربي، في كل آية ذكرناها، ثم أكد بأنْ نَفَى عنه ـ جل ثناؤه ـ كل لسان غير لسان العرب، في آيتين من كتابه:

ـ فقال تبارك وتعالى: **{ولقد نعلمُ أنهُمْ يقُولُون إنما يُعلمُهُ بشرٌ، لسانُ الذي يُلْحدُون إليه أعجميٌ ، وهذا لسانٌ عربيٌ مُبين}** (سورة النحل/ ١٠٣).

ـ وقال : **{ولو جعلناهُ قُرآنا أعجميا لقالوا لولا فُصلتْ آياتُهُ ءاعْجميٌ وعربيٌ}** (سورة فصلت/ ٤٤). إ.هـ

فأعظم بتلك البراهين الساطعة التى تشهد على أن كتاب الله، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

قال الله تعالى: **{ولو جعلناهُ قُرآنا أعجميًّا لقالوا لولا فُصلتْ آياتُهُ، ءاعجميٌ وعربيٌ}** (سورة فصلت/ ٤٤).

فإرادة الله عز وجل اقتضت أن يكون هذا القرآن

الكريم بحرف عربي، معبر عن لسان عربي، فهو إذاً «قرآن» و«كتاب»:

فمن حيث هو «قرآن» يُتلى باللسان العربي .. ومن حيث هو «كتاب» يُكتب بالحرف العربي.

روى الإمام السلفي باسناده الى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: سمعت محمد بن إدريس الشافعي يقول: «إن اللسان الذي اختاره الله عز وجل «لسان العرب»، فأنزل به كتابه العزيز، وجعله لسان خاتم أنبيائه محمد {صلى الله عليه وسلم} (اقتضاء الصراط المستقيم ص/٢٠٤).

ويقول الشيخ عبد الرحمن الصافي: «الصورة التى نزل عليها ـ أي القرآن ـ لا سبيل إلى إباحة مساسها بحال من الأحوال، والحكم هذا بشكل عام ومطلق، لا تقييد فيه ولا تخصيص، حتى لا يحل بقيود ولا شروط: كليا أو جزئيا، وكل مساس به، يخرج كلام الله عن وضعه الذي نزل عليه».اهـ

ويقول شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية: «كان أئمة الدين على أنه لا يجوز أن يقرأ ـ أي القرآن ـ بغير العربية لا مع القدرة عليها ولا مع العجز عنها، لأن ذلك يخرجه عن أن يكون هو القرآن المنزّل».

لذلك فإني أنبه من هنا الى أنه ظهرت عندنا ـ في بلاد الغرب ـ «بدعة منكرة» تمس قدسية «لغة القرآن الكريم»، قام بها أفراد مسلمون لا يفقهون عواقب الأمور، ولا يصدرون في ذلك عن رأي مأثور، ولا استشارة من علماء موثوقين، وهي: تحريف آيات القرآن الكريم، بكتابته بحروف لاتينية، بحجة تيسير قراءته لغير الناطقين باللغة العربية، أو لمن يعتنقون الإسلام حديثا، وقد ظهرت في المكتبات الى جانب قصار السور بالحروف اللاتينية، أجزاء كاملة منه، مثل: «جزء عم» ، و«جزء تبارك»، وأبعد من ذلك، فقد نزل إلى المكتبات (مصحف) جميع سوره بالحروف اللاتينية.

إن عملا كهذا يعد بلا شك هجمة شرسة تتمثل بلا ريب في «قلب حروف القرآن، وتغيير رسمه، وتبديل ضوابطه، وإخلال قواعده»، بإشارات وعلامات من عند أنفسهم، وهي تختلف من كاتب الى آخر، والكثير منهم يهدف من رواج هذا الصنف من الكتابات القرآنية الجديدة المبتدعة الى الربح المادي، ونسوا في الوقت نفسه ما قاله الله في من يفعل ذلك: (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون).

ومما يعضد الدليل الشرعي من كتاب الله على تحريف أصل النص القرآني، وتبديل رسمه التوقيفي، وتغيير

الشيخ / صالح العود
- فرنسا -

حروفه العربية التى نزل بها، وكتب بها على مدى القرون، والتى يتلى بها منذ عصر الرسول الى زماننا دون زيادة ونقصان: «السنة النبوية»، إذ هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، وهي: «قول» الرسول {صلى الله عليه وسلم} و«فعله» و«تقريره».

فرسول الله {صلى الله عليه وسلم} لم يؤثر عنه قط أنه فكر، أو أمر، أو أقرَّ أحدا من أصحابه على كتابة القرآن الكريم بغير ما أُنزل، بل كان {صلى الله عليه وسلم} يضع الدستور لكتَّاب الوحي في رسم القرآن وكتابته، ومن ذلك قوله {صلى الله عليه وسلم} لمعاوية ـ وهو من كتبة الوحي ـ «ألق الدواة، وحرِّف القلم، وانصب الباء، وفرِّق السين، ولا تعوِّر الميم، وحسِّن الله، ومُدَّ الرحمان، وجود الرحيم، وضع قلمك على أذُنك اليسرى، فإنه أذكرُ لك».

كذلك فقد راسل {صلى الله عليه وسلم} الملوك والعظماء يدعوهم الى الإسلام، وقد كان منهم عربٌ وعجم، ومع ذلك فلم يكتُبْ لهم {صلى الله عليه وسلم} ولو آية واحدة بلغتهم، على أن الدواعي الى ذلك كثيرة، منها:

أنهم غير مسلمين .. وأنهم أعداء الدين .. وأنه يخشى منهم ألا يهتموا بقراءة مكاتيبه فيهملوها.

لكن الذي ثبت عنه عليه السلام، أن النصوص القرآنية كُتبت جميعها باللغة العربية، وقد «كان مشتهرا بالإضافة الى العربية: الفارسية، والرومية على الأقل، من اللغات المجاورة للجزيرة العربية، وكان أهل هاتين اللغتين أول شعبين جرى الاتصال بهما عن طريق الفتوحات الإسلامية، على الرغم من أنه كان عنده {صلى الله عليه وسلم} من يترجم له».

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: «وليس من سبب سوى أن يسلطهم على تعليمه، ولا سبيل الى ذلك إلا العربية، فكأنه عليه السلام حملهم على تعلمها حتى يفهموا ما جاءهم من عنده من بيان وقرءان».

وبهذا يجب أن يعلم كل من لم يعلم، أن هذا القرآن الكريم: «عربي»، وأنه نزل كما هو على نبي: «عربي»، وأنه بُعث في أمة: «عربية»، على أرض «عربية»، خلال شهر: «عربي»، وبلسان: «عربي مبين».

وبالتالي، فإنه لا سبيل إلى «تغيير رسمه»، أو الى «استبدال حرفه»، أو «ابتداع كتابة أو كيفية أخرى» له مهما التمست الأعذار.

رمضان هجرة إلى الله

تمر الأيام وتتوالى الأعوام وتتابع العصور، ويظل شهر رمضان دائما وأبدا معلما بارزا من معالم الإسلام الخالدة التى تحفز المؤمن الى مزيد من الخضوع والتبتل والابتهال لله رب العالمين، فرمضان هجرة الى رحاب الله، وفرار بالمرء من مغريات الحياة المادية الى رحاب الحياة الروحية، لأنه عبادة تهذيبية تربي في المرء معنى الانضباط السلوكى الذى يسمو به الى مصاف الملائكة المقربين، وشهر رمضان فوق هذا وذاك شهر الصيام والقيام. وهو شهر القرآن الكريم والفتوحات الإسلامية والقربات، وشهر حوى ليلة القدر المباركة خير من ألف شهر.

فأنعم به من ضيف عزيز علينا جميعا ، وأكرم بمن أدى حقه وأطاع ربه، وقرت عينه. فصوم رمضان عبادة متميزة بين العبادات، فهى على ما بها من صبر وألم، وحبس وحرمان، محببة الى نفوس المؤمنين، يفرحون بقدومه ويحتفلون للقائه إلا أنها فرحة مقرونة بحذر، واحتفال مقرون بجلال ووقار خشية ألا يحالفهم التوفيق فيما يليق بمقدم هذا الشهر الميمون.

يفرح لمقدمه العزيز الكبير والصغير ويوقره ويهابه التقي والفاجر، وكم من فاجر تاب بين يدى رمضان وعزم فيه على العودة الى الله والإنابة إليه، فكان مبعث خيره وسعادته، كم من تقى انتهز فرصته لمضاعفة الثواب فيه، فأكثر من أعمال البر فسمت نفسه، وانبسطت بالعطاء يده، فنال من خيره البائس والمحروم، والقريب والبعيد، وفي رمضان يكف المسلم أذاه عن غيره توقيرا لحرمته وإجلالا لمقامه، ويقبل العبد على تلاوة القرآن ما واتت الفرصة وأمكن الفراغ، فهو بين صيام النهار وقيام الليل، والثواب وراء ذلك على قدر النية والإخلاص، وكل عبادة قدّر الله فيها الثواب إلا صوم رمضان، فقد وكل قدر الثواب فيها الى نفسه، وهو الوهاب الكريم الذى لا تنفد خزائنه ولا تغيض بحار فضله.

إن صيام شهر رمضان المبارك زكاة للنفس، ورياضة روحية، وداع للبر، فصيامه للفرد وقاية، وللمجتمع صيانة إذ أن في جوع الجسد صفاء القلب وإيقاد القريحة وإنفاذ البصيرة، فدوام الشبع يورث البلادة ويعمى القلب، فأحيوا القلوب بكثرة الذكر والتفكير وقلة الشبع وصونوا أسماعكم عن كل لغو، وغضوا أبصاركم عن كل لهو، ولا تخطوا بأقدامكم إلى ممنوع في الشرع ومنكور في طيب العرف.

هذا الصيام حرمان مشروع، وتأديب بالجوع وخشوع لأمر الله وخضوع، ولكل فريضة حكمتها، وهذه الفريضة ظاهرها المشقة وباطنها السكينة والمرحمة فهى تستثير في الانسان الشفقة، وتذهب بالكبر وتعلم الصبر، ذلك أنه متى جاع من ألف الشبع، وحرم المترف أسباب المتع، ذاق مُرّ الحرمان كيف يكون ويقع، كما عرف الجوع وألمه إذا لذع.

ورمضان ميزان الإيمان وامتحان للعزائم، أما المؤمن قوى الإيمان صادق العزم فيقبل على الامتحان في ثقة واطمئنان، ويجوزه بنجاح ويفوز فيه بثواب الله تعالى ورضوانه، أما ضعيف الإيمان ذو العزيمة الرخوة والارادة الخائرة، فإنه يقبل على رمضان خائرا يقدّم رجلا ويؤخر أخرى، يتنازعه إيمانه وشيطانه،

وتصطرع في نفسه شهوته وإرادته، فهو في كل يوم من شهر رمضان في معركة وجهاد، ولانتصار الصائم في كل يوم بتمام صيامه فرحة لا يقدرها إلا الصائم، ولانتصاره بصيام الشهر الفضيل كله فرحة كاملة، وفي الحديث الشريف: «للصائم فرحتان، فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه».

ولأن الصوم جهاد وامتحان ومصارعة بين الهوى والإرادة، يتنافس الصبيان في صيامه، ويتواصون على أدائه، وما أشد فرحة الصبي بصوم يوم من أيامه المباركة، فهو شهادة بانتصاره، ودلالة على عزمه وإرادته وللمشقة في صيام رمضان جعل الثواب عليه كثيرا ، وجعل أجر العمل فيه مضاعفا فعن سلمان الفارسي - رضي الله عنه - عن النبي [صلى الله عليه وسلم] «من تطوع فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه» وعن أنس - رضى الله عنه - «سئل النبى [صلى الله عليه وسلم] أيّ



فيصل صالح أسعد

- جدة -

الصدقة أفضل؟ قال: صدقة في رمضان». وعن النبي [صلى الله عليه وسلم] في الصحيحين: «عُمرة في رمضان تعدل بحجة - أو قال حجة - معي».

وصوم رمضان عبادة تهذيبية تكفكف من حيوانية الإنسان، وترقق من نفسه الشهوانية، وتجذبه شيئا فشيئا الى الروحانية الخالصة، وتقربه رويداً رويداً الى الملأ الأعلى، ملأ الملائكة المقربين فيأنس بهم، ويلوذ بكنفهم، وكل يوم ينقضى منه بإخلاص فهو مرحلة إليهم، حتى إذا كاد ينقضى رمضان يتهيأ لمخالطتهم ومؤانستهم، لذلك كان من تمام حكمة الشارع أن يشرع الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان بالمساجد لينقطع بكليته عن الخلق، ويجمع أمره كله للخالق وحده، يسعد بمناجاته ويتلذذ بقربه،

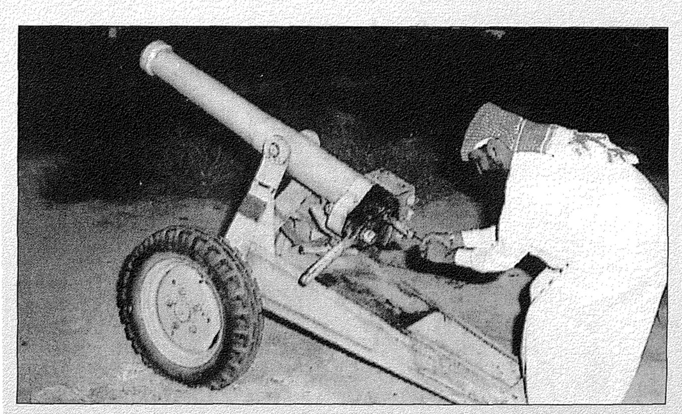


**** في رمضان يتلاقى جماعة المسلمين على سنن واحدة في اليقظه والرقاد والطعام والصيام والانتظام في المساجد لأداء الفروض.**

ويضع بين يديه حاله، ويتفرغ إليه في ذلة أن يتجاوز عما أسلف ويغفر له ما قدم، فالمعتكف حبس نفسه على طاعة الله وذكره، وقطع عن نفسه كل شاغل يشغله عنه، وعكف بقلبه وقالبه على ربه وما يقربه منه، فما بقى له هم سوى الله سبحانه وما يرضيه عنه. فمعنى الاعتكاف وحقيقته قطع العلائق عن الخلائق للاتصال بخدمة الخالق، وكلما قويت المعرفة بالله والمحبة له والأنس به أورثت صاحبها الانقطاع الى الله بالكلية.

إن شهر رمضان المعظم تتلاقى فيه جماعة المسلمين في كل سنة هجرية على سنن واحدة في اليقظة والرقاد حتى وإن اختلفت المواقيت في كل بلد إسلامية حتى في الطعام والصيام، والانتظام في صفوف الجماعة في المساجد لأداء الفروض والمستحبات.. والصوم بذاته معلم يغرس في الصائمين قوة الإرادة والحزم مع النفس، ويحملها على تعظيم أمر الله وحُرُماته، إقبالا على الصوم مهما تكن مشقته فتنشأ به في كل نفس استجابت للصوم عزيمة لا تعرف الوهن، وإصرار على الإصلاح لا يعرف النكوص، فالنفس البشرية متى امتنعت عن تناول الحلال طاعة لله وطلبا لمرضاته استحيت من تناول الحرام وتمرست على البعد عن اقترافه.

ومع كثرة ما يذكره العلماء الأجلاء، والأطباء الأفاضل في سر الصوم ووضوح حكمة تشريعه، نرى بعضا من المسلمين مع الأسف يضيقون به ويفرطون فيه بشتى الأعذار، تبريرا لتفريطهم، واعتذارا عن غيتهم ويقولون: إنه عذاب وإن صوم رمضان فوق



الطاقة، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون الا كذبا، فما امتحن الله عباده بما يخرج عن طاقتهم وهو وحده العالم بمصالح عباده ومقدوراتهم، وقد جعل لغير المطيق رخصة الفطر حتى يطيق، **{ومن كان مريضا أو على سفر فعدّة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر}.**

ولو صام المسلمون شهرنا هذا (رمضان) صوما كاملا خالصا بحزم وعزم أكيد لاستطاعوا - بما تخلقوا به من العزيمة الماضية والارادة الحازمة - التخلص من نوازع النفس الأمّارة بالسوء، ومن شرور الأعمال كالربا، والزنا، والغدر والخيانة، وقول الزور، والكذب، والمراء في الحق مضيا في الباطل، ولساقتهم هذه الارادة وتلك العزيمة الى البعد عن كل الموبقات والمحرمات التى شاعت مع الأسف في مجتمعنا في هذا العصر، حتى اختلطت الأمور وتشابهت.

ولو صمنا رمضان كما ينبغي أن يكون لبرز بيننا الوازع الدينى رقيبا لا يغفل ولا يلين، يملأ القلب فلا يضل، والبصر فلا يزيغ.

لو صمنا شهر رمضان كنا مجتمعا متكافلا متكاملا، جسدا واحدا إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، ولما استطاع عدو خبيث أن يحيك لنا المؤامرات والدسائس وأن يبذر الفتن ما ظهر منها وما بطن، ولما اختلت منا الصفوف، واستمعنا الى كل ناعق، بل نزلنا عند أمر الله الذى قال تعليما وتوجيها لنا: **{يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين}.**

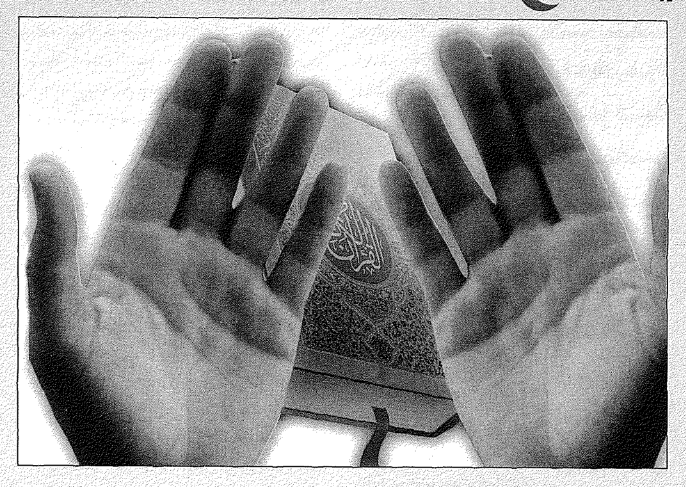
والصوم أيضا اختبار لعزيمة المسلمين وعزمهم ومراقبتهم لربهم في السر والعلن - وهو مع هذا مهذب للطباع، مفصح عن مكنون نفس الإنسان فإن صام وصان عبادته عن اللغو والرفث والفسوق والعصيان، فذلك هو الصوم الذى نسب الله أجره الى ذاته العلية دون تحديد كما جاء في الحديث القدسى: «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لى وأنا أجزى به والصيام جُنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو شاتمه فليقل إني صائم». ومتى وعد الكريم أجزل العطاء دون حساب فلنأخذ أنفسنا بآداب الإسلام في هذا الشهر حتى تستقيم عليه عاداتنا، فنقلع عن كل مالا يقره ديننا، إذ أنّ الشهر كفيل بتغيير سيء العادات الى الرشد والصلاح، وليكن صوم هذا الشهر الفضيل طهراً وتطهيراً وإنابة الى الله وخشوعاً ومعرفة بحقه علينا وخضوعاً.

**** الصوم يصنع فينا مجتمعا متكافلا متكاملا واحدا إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى**

وأحسن ما قيل في هذا الصدد قول الشاعر:

إذا لم يكن في السمع منى تصاون
وفي بصرى غض وفي منطقى صمت
فحظى إذاً من صومى الجوع والظمأ
فإن قلت إنى صمت يومى فما صُمت

وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء. وكل عام وأنتم بخير بمقدم شهر رمضان المبارك، أعاده الله عليكم باليمن والبركات.



من آداب الصوم

إذا رأيت هلال رمضان أو هلال غيره فقل كما كان الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ يقول: «اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام، ربي وربك الله، هلال رشد وخير» رواه الترمذي وقال حديث حسن.

استقبل رمضان بنية أن تصوم لله إيمانا واحتسابا، وافتتح في أول ساعة منه صفحة جديدة في سجل أعمالك ومعك العزم الأكيد على التزود فيه بصالح الأعمال، فمن أدركه رمضان فلم يغفر له، فقد خاب وخسر، يقول {صلى الله عليه وسلم} «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صُفدت الشياطين وغُلقت أبواب النار فلم يُفْتح منها باب، وفُتحت أبواب الجنة

فلم يُغلق منها باب وينادي مناد يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر» رواه النسائي والترمذي بنحو اللفظ والحاكم وقال: صحيح على شرطهما.

ليكن منهجك في الصوم التخلي عن الرذائل والتحلي بالحلم والوقار والسكينة واجتناب الرفث والفحش من القول، والعبارات البذيئة النابية، وترك الصخب، وهو الصياح ورفع الصوت فذلك علامة السفه والطيش، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: «من صام رمضان وعرف حدوده وتحفظ مما ينبغي له أن يتحفظ كفَّر ما قبله» رواه أحمد وابن حبان في صحيحه والبيهقي بسند جيد.

إذا صدرت من غيرك إساءة لك فقابل السيئة بالحسنة، وادفع بالتي هي أحسن، وذكر نفسك بأدب الإسلام، والتزم خلق الصائم وردد ما أمرك الرسول الكريم به في هذا الموقف (فإن شاتمه أحد أو قاتله فليقل إني صائم .. إني صائم) من حديث رواه أحمد ومسلم والنسائي.

أقبل على تلاوة القرآن الكريم في رمضان في ليله ونهاره، في الصلاة وخارج الصلاة، فهو شهر القرآن، ففي الحديث المتفق عليه.. (كان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله {صلى الله عليه وسلم} حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة) والصيام والقرآن يشفعان للمؤمن يوم القيامة.

عبدالهادي ناول محمد

- المغرب -

يقول الصيام (أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان) رواه احمد بسند صحيح.

لا تجعل شهر الصوم شهر فتور وكسل فمن الإساءة لفريضة الصوم أن تكون مدعاة للتراخي عن العمل، وضعف الإنتاج فهو شهر جلد وصبر، يتسلح فيه المؤمن بقوة الإرادة ومضاء العزيمة فينشط الى العمل وينطلق في ميادين الكفاح يملؤها بالجد المثمر والسعي البنَّاء.. عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال يوم حضر رمضان «أتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه فينزل الرحمة ويحط الخطايا ويستجيب فيه الدعاء ينظر الله تعالى الى تنافسكم فيه، ويباهي بكم ملائكته فأروا الله من أنفسكم خيرا، فإن الشقي من حُرم فيه رحمة الله عز وجل» رواه الطبراني ورواته ثقاة.

قدم لغيرك ما استطعت من الخير في رمضان، فإن الثواب يضاعف فيه، وإسداء المعروف وإطعام الجائع في هذا الشهر الكريم يقع في ميزان الله أعظم موقع، وقد كان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} أجود ما يكون في رمضان، يقول {صلى الله عليه وسلم} في حديثه عن مزايا هذا الشهر الكريم: «هو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة وشهر المواساة وشهر يزاد في

رزق المؤمن فيه، من فطّر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار .. قالوا يارسول الله: ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم، فقال {صلى الله عليه وسلم} يعطي الله هذا الثواب لمن فطر صائما على تمرة، أو شربة ماء، أو مذقة لبن (أي حسوة أو جرعة من لبن) رواه البيهقي وابن خزيمة في صحيحه ثم قال صح الخبر».

حتى يكون صومك صحيحا يؤتي ثمرته ويظهر أثره في سلوكك وأخلاقك تجنب قول الزور من الكذب والغيبة والنميمة والمراء وشهادة الزور والسخرية بالناس وتتبع عوراتهم والأيمان الفاجرة.

وتجنب أيضا عمل الزور: وهو يشمل المعاصي البدنية جميعها، وبذلك تكون جوارح الصائم كلها في مأمن من الرذائل التى تضر بالفرد وتدمر المجتمع وما أبلغ قول المعصوم {صلى الله عليه وسلم} وهو يضع دستورا للصائم في كلمات تنأى به عن مواقع السوء ومزالق الهوى (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» رواه البخارى.

تناول إفطارك عقب غروب الشمس مباشرة وقبل صلاة المغرب على تمرات وترا فإن لم يتيسر لك ذلك فعلى الماء، فإن الماء طهور، وذلك لتكسر حدة الجوع، وتطفىء حرارة العطش فإن لبدنك عليك حقا، وحتى تقبل على صلاة المغرب غير معجل، هذه سنة نبيك عليه أفضل الصلاة والسلام فعن سهل بن سعد أن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: (لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر) رواه البخاري ومسلم، وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قال الله عز وجل {أحب عبادي إليَّ أعجلهم فطرا}، رواه الترمذي وقال حديث حسن.

عند الإفطار توجه إلى الله بالدعاء لنفسك وللمسلمين فهي في هذه اللحظة دعوة مقبولة إن شاء الله يقول {صلى الله عليه وسلم} (إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد) رواه ابن ماجة.

وثبت أنه {صلى الله عليه وسلم} كان يقول: (ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله تعالى).

وروى مرسلا أنه {صلى الله عليه وسلم} كان يقول: (اللهم إني أسألك برحمتك التى وسعت كل شيء أن تغفر لي).

تناول سحورك قريبا من الفجر ففي ذلك عون على النشاط في النهار، وتحمل مشاق الصوم، والوقت المناسب للسحور قبل الفجر بنصف ساعة، وبذلك يجتمع لك فضلان تحقيق السنة بتأخير السحور وإدراك صلاة الصبح جماعة في وقتها .. عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: (تسحروا فإن في السحور بركة) متفق عليه، وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: (تسحرنا مع رسول الله {صلى الله عليه وسلم} ثم قمنا الى الصلاة.. قيل كم كان بينهما؟ قال: خمسون آية) متفق عليه.

تجنب الإفراط في الأكل والشرب فإن من حكم الصوم التخفيف على المعدة وتنقية البدن من رواسب الطعام المتراكمة في داخله طول العام، وإن عددا كبيرا من الأمراض الشديدة والعلل المنهكة ينشأ من اكتظاظ المعدة بما لا تطيق هضمه، وقد جاء في الحديث: (ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه) رواه الترمذي وقد

أمرنا الله تبارك وتعالى بترك الإسراف في الأكل والشرب في رمضان وغيره فقال عز من قائل: **{وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين}** (الأعراف/ ٣١).

ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين.

صلاة التراويح :

صلاة التراويح في كل ليلة من رمضان سنة مؤكدة وتسن فيها الجماعة ووقتها بعد صلاة العشاء.

دليل سنيتها :

فعْلُ الرسول {صلى الله عليه وسلم}، فقد روى عن ابن شهاب أخبرني عروة أن عائشة رضى الله عنها أخبرته أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} خرج ليلة من جوف الليل فصلى في المسجد وصلى رجال بصلاته فأصبح الناس فتحدثوا فاجتمع أكثر منهم فصلوا معه فأصبح الناس فتحدثوا فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة فخرج رسول الله {صلى الله عليه وسلم} فصلى فصلوا بصلاته فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد ثم قال أمَّا بعدُ: فإنه لم يخف على مكانكم ولكنى خشيت أن تفترض عليكم فتعجزوا عنها.. فتوفى رسول الله {صلى الله عليه وسلم} والأمر على ذلك. (رواه البخاري).

وقد ظل الصحابة يصلونها متفرقين حتى رأى عمر رضي الله عنه في خلافته أن يجمعهم على صلاتها بالمسجد وراء إمام، فكانت صلاة التراويح جماعة مما استحسنه عمر رضي الله عنه ووافقه عليه الصحابة وسار عليه المسلمون من بعده، وروى الإمام مالك في الموطأ عن يزيد بن رومان قال: كان الناس في زمن عمر رضي الله عنه يقومون في رمضان بثلاث وعشرين ركعة أي بزيادة الوتر ثلاث ركعات على التراويح وقد جمع عمر الناس على هذا العدد في المسجد ووافقه الصحابة على ذلك ولم يوجد لهم مخالف ممن بعدهم وقد ذكر أصحاب هذا الرأي أن النبي {صلى الله عليه وسلم} وإن كان قد صلى بالناس في المسجد في الليالي التى خرج إليهم فيها ثماني ركعات إلا أنهم كانوا يكملونها العشرين في بيوتهم، وصلاة التراويح سنة بلا خلاف والجماعة فيها فضلها ثابت لا ينكر، ورسول الله {صلى الله عليه وسلم} قد رغب في مطلق قيام الليل في رمضان فقد روى الجماعة عن أبى هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله {صلى الله عليه وسلم} يرغب في قيام الليل من غير أن يأمر فيه بعزيمة فيقول: من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه».

ويسن القنوت في الوتر في النصف الثاني من شهر رمضان عند الإمام الشافعي. ومن الإفضل أن ينتهي من قراءة القرآن في التراويح بانتهاء شهر رمضان متى تيسر له ذلك وإلا فليصل بما تيسر له.

وروح الصلاة الخشوع فليحرص عليه قبل أن يحرص على زيادة الركعات وعلى قراءة القرآن كله أو بعضه فيها أو يحرص على العشرين ركعة أو الثماني، ورب ركعات قليلة تؤدي في صلاة خاشعة وقراءة فيها تدبر خير من ركعات كثيرة قصيرة لا خشوع فيها.

إني إلى مكة الهداية أنتمي

أقبل علينا رحمة وسلاما
إنّا بصومك لم نزل نتسامى
رمضان .. يا أملا يداعب أمة
في البدء .. سابقت البكور قياما
نشرت على الأيام ستر ضيائها
فارتد ليلٌ .. وانحنى إقداما
ومشت إلى جزر اليقين .. يظلها
عدلٌ .. به الشرك المكابر هاما
عزت بعزة دينها .. وتطلعت
لذرا، عليها البغى حط وناما
وتلاحقت ضرباتها .. فإذا به
ـ وأمام سطوتها ـ يخر حُطاما
وإذا بها تتسيد الملأ الذى
كم صال جنداً .. وازدهى أعلاما
واذا بصوت الحب يهتف : ياربا
تيهى عطاء .. وازدهى أنغاما
.. رمضان جاء .. فكبرى لمجيئه
واستقبليه محبة وهياما

* * *

أقبل علينا رحمة وسلاما
وأنر مشاعر، ما خبت إلهاما

إنّا .. وإن قصم الخلاف ظهورنا

ثقة نعيش، ولا نمل غراما

ننحاز للإيمان .. ندرك أنه

إن صح فينا .. عالج الأسقاما

لكننا .. والصحو مدّ بساطه

من حولنا لما نزل نتعامى

الكيل فاض.. وتلك بعض جراحنا

ما أيقظت ـ رغم النزيف ـ نياما

فإلام يارمضان نركض.. لا نعي؟

ومن الذي يهب الحشود إماما؟

رمضان .. عد بالمسلمين لأمسهم

وأعد ـ لسابق عهده ـ الاسلاما

وأعد (أبا بكر) يقاوم ردّة

في كل أرض ألّهت أصناما

وأعد لنا (عمرا) يلم شتاتنا

فقد انفرطنا عدة ونظاما

وأعد لنا (عثمان) يصرخ هامسا

يا قوم: نَحُّوا عنكم الأوهاما

وأعد (عليا) في رباطة جأشه

لم يخش عند الالتحام سهاما



يس الفيل

- مصر -

إنَّا وحقك .. لا نزال كما ترى

نكبو وننهض .. لا نمل خصاما

* * *

أقبل علينا رحمة وسلاما

وارفع من التمسوا خطاك مقاما

ما أضيع الأيام إن هى أدمنت

شَرَهاً، وزلت ملبسا وطعاما

إنَّا نصوم .. وللصيام حلاوة

ليست تحق لمن أضاع صياما

إن الشهور تمر دون توقف

لكن أمامك أنت .. كلٌ قاما

كلٌ يود .. لو التحفت على الريا

أشواقنا، وأقمت فينا العاما

يا ليت ـ معذرة .. فأنت كما ترى

ضيف يروح ـ كما أتى ـ بساما

فانقل إلى ملأ السماء غرامنا

بك ما رحلت، وما أطلت مقاما

وارجع إلينا بالهداية.. إننا

بسواك أنت على الصراط يتامى

السواك ..

مطهرة للفم .. مرضاة للرب

شجرة الأراك اسمها العلمي Salvadora Percica **، وهي شجرة شبه استوائية، وتنتمى الى الفصيلة السلفادورية، وهى شجرة دائمة الخضرة، تزرع في مناطق أبها وعسير وجيزان بالمملكة العربية السعودية، وفي اليمن وبلاد الشام، وإيران، وشرق الهند ومناطق متفرقة في القارة الأفريقية، خاصة إقليم وادى النيل.**

وهي في شكلها العام تشبه الى حد كبير شجرة الرمان أطرافها مغزلية، وأوراقها ذات أسطح ناعمة ناصعة الاخضرار، تزهر في الربيع، أزهارها إما صفراء اللون بها اخضرار بسيط، أو تميل الى الحمرة، ثمارها صغيرة بحجم حبات الحمص لونها أخضر ثم تحمر ثم تسود.

والسواك يؤخذ عادة من الجذور عندما يكون عمر الشجرة ما بين عامين وثلاثة أعوام، وإن كان البعض يقطعون الأفرع الصغيرة ويستعملونها أعواداً لتسويك الأسنان، إلا أنه ثبت علميا أن الأفرع أقل في احتوائها للمواد الفعالة من الجذور.

والسواك الذي يتميز برائحته الطيبة، وطعمه المحبب، يتم حفظه بعد تجفيفه، في أماكن غير رطبة، وقبل الاستعمال لابد من نقع طرفه في الماء لفترة وجيزة، ثم إخراجه والدق عليه دقا بسيطاً حتى تقع قشرته الخارجية وتظهر الألياف، وبذلك يكون جاهزاً للاستعمال في تنظيف الفم والأسنان متفوقا على المعجون والفرشاة لما أثبته العلم الحديث مما لا يدع مجالا للشك في احتوائه على مواد فعالة تسهم في الوقاية والعلاج من أمراض والتهابات الفم والأسنان.

السواك في السنة النبوية :

لقد تفرد السواك بمكانته العظيمة في السنة النبوية، فقد ورد في الصحيحين عنه [صلى الله عليه وسلم]: «لولا أن أشق على أمتى، لأمرتهم بالسواك

عند كل صلاة» وفيهما: أنه {صلى الله عليه وسلم} كان إذا قام من الليل: «يشوص فاه بالسواك».

وفي صحيح البخارى - تعليقا عنه {صلى الله عليه وسلم} : «السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب». وفي صحيح مسلم: «أنه {صلى الله عليه وسلم} كان إذا دخل بيته بدأ بالسواك» والأحاديث فيه كثيرة.

وصح عنه: أنه استاك عند موته. وصح عنه أنه قال «أكثرت عليكم في السواك»

وفي كتاب الرحمة قال {صلى الله عليه وسلم} : «السواك يزيد الرجل فصاحة». وقال صلاة بسواك خير من سبعين صلاة بلا سواك.. وقال علي كرم الله وجهه «السواك يجلب الرزق» كما قاله في التبيان.

وقد أمر النبي {صلى الله عليه وسلم} بالسواك وحثَّ عليه وبالغ في استعماله ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: في السواك عشر خصال: يطيب الفم، ويذهب البلغم، ويجلو البصر، ويذهب بالحفر، ويفتح المعدة، ويوافق السنة، ويفرح الملائكة، ويرضى الرب عز وجل، ويزيد الحسنات.

والحفر : هو فساد الأسنان كما قال في الصحاح «يقال في أسنانه حفر إذا فسدت أصولها».

وقال على رضى الله عنه «قراءة القرآن والسواك يذهبان البلغم».

ويستحب استعماله في كل وقت، وبالأخص عند الصلاة والوضوء والانتباه من النوم وتغير رائحة

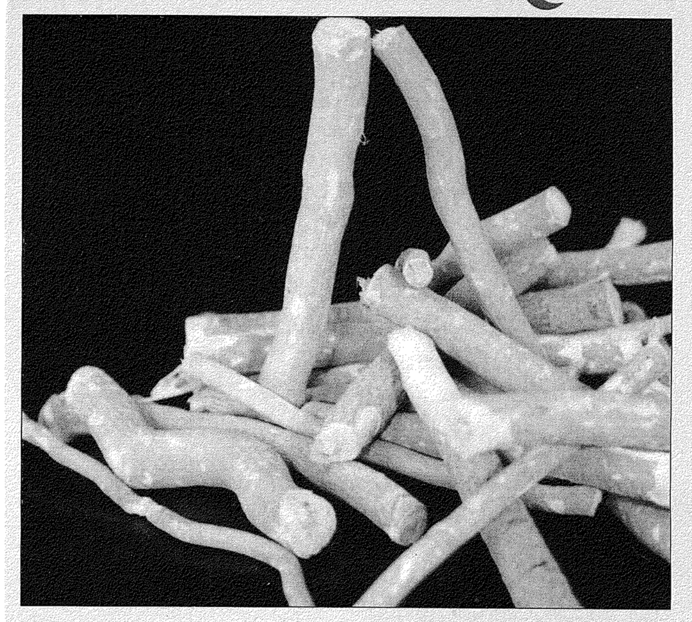
أ.د. سامية مصطفى عامر
- مصر -

الفم، ويستحب للمفطر والصائم في كل وقت، لعموم الأحاديث الصحيحة فيه، وفي السنن.

عن عامر بن ربيعة رضى الله عنه، قال: «رأيت رسول الله {صلى الله عليه وسلم} مالا أحصى، يستاك: وهو صائم». وقال البخارى: قال ابن عمر «يستاك أول النهار وآخره» . وعن ابن عباس، رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم}: «لقد أمرت بالسواك حتى ظننت أنه سينزل به عليَّ قرآن أو وحى». أخرجه الإمام أحمد في مسنده.

السواك في ضوء الابحاث العلمية الحديثة :

بعد أربعة عشر قرناً من الزمان، بدأت الأبحاث العلمية تؤكد الفوائد العديدة للسواك في الوقاية والعلاج من أمراض الأسنان بما لا يدع مجالا للشك في تفوقه على كافة أنواع معاجين الأسنان، وقد أكدت الدراسات المسحية تمتع مستعملى السواك بأسنان بيضاء صحية قوية، مما شجع العديد من شركات الأدوية والمستحضرات الطبية على إنتاج معاجين جديدة للأسنان مزودة بخلاصة السواك الطبيعية، ولقد كان السبق في هذا المجال للباحثين العرب المسلمين فقد قطعوا شوطاً طويلا في البحث



والتنقيب عن مكونات السواك ونجحوا في التعرف على ما يزيد عن عشرين عنصراً فعالا في السواك وسوف نذكر في عجالة أهم نتائج هذه الأبحاث.

١ ـ يعطى للأسنان وقاية ومناعة ضد مسببات التسوس تدوم لساعات.

٢ ـ مطهر جيد للفم، لاحتوائه على (السنجرين) القاتل للجراثيم والطفيليات.

٣ ـ مزيل لمسببات القلع، بفضل بلورات اليسيليس التى تصل نسبتها الى ٤٪ من النسبة العامة للعناصر الفعالة في السواك.

٤ ـ مانع للنزيف، وواق للثة من الالتهابات، ومساعد في شفاء الجروح الصغيرة، التى قد تصيبها، لاحتوائه على مضاد حيوى قوى وهو (العفص).

٥ ـ يزيد في إفراز اللعاب في الفم، وبالتالى يعمل على ترطيبه، وسهولة تحريك اللسان.

٦ ـ مقاوم لسرطان الفم واللثة، بفضل ما يحتويه من عناصر مثبطة لنشاط الخلايا السرطانية.

٧ ـ طارد جيد للبلغم لغناه بالأنيمسيك.

٨ ـ معطر جيد للفم والأسنان، لاحتوائه على مواد عطرية وزيوت طيبة الرائحة تصل نسبتها الى ١٪.

٩ ـ مزيل جيد لفضلات الطعام التى تنزوى في ثنيات الأسنان لاحتوائه على ألياف مرنة قوية.

١٠ ـ يقوى الشعيرات الدموية المغذية للثة، وذلك لاحتوائه على فيتامين ج.

١١ ـ ينشط حركة المعدة والأمعاء ويفتح الشهية بفضل ما يحتويه من (الأنثراليتون).

١٢ ـ وأخيراً فهو يعد من أفضل الوسائل الطبيعية للاقلاع عن التدخين.

أهم مكونات السواك :

أجرى فريق من الباحثين في جامعة مينيسوتا دراسة مسحية للتعرف على الأسباب التى أدت الى تقطيع جذور الأراك واستخدامها أعواد للتسويك وقد أمكنهم التوصل الى هذه المكونات: (السنجرين، والعفص، الفلورايد، والمركب القاعدى «سلفادوريا»، والأنيسيك، وألياف السليلوز القوية المرنة، وبلورات اليسيليس الصلبة، وأملاح معدنية، وزيوت عطرية طيارة، فيتامين ج، وأجزاء قليلة من الكالسيوم والكلور والفوسفات والحديد والصوديوم).

ومازالت الأبحاث تجرى للكشف عن المزيد من مكونات السواك. حقا إنه الإعجاز العلمى المذهل في سنة الحبيب المصطفى {صلى الله عليه وسلم}.

فوائد ثمرة الأراك :

ذكر داود الأنطاكى في كتابه تذكرة داود أن حبوب شجرة الأراك حار يابس في الثانية محلل مقطع، يفتح السدد، ويقطع البلغم، والرطوبات اللزجة والرياح الغليظة، وإذا غلى في الزيت سكن الأوجاع طلاء وحلل أورام الرحم والبواسير والسعفه، ولا يقوم مقام حبه في تقوية المعدة وفتح الشهية شيء. أما ورقه فهو يحلل ويمنع النوازل والماشرا والنملة طلاء، ودلك الأسنان بعوده يجلو ويقوى اللثة وينقيها من الفضلات.

متى يمنع استخدام السواك ؟

لا ينبغى أن يستاك متخم، ولا صاحب قيء، ولا من به سعال، ولا من به عطس أو رمد أو خفقان.

المراجع :

١ ـ الطب النبوى لابن قيم الجوزيه ص ٢٤٨ ـ ٢٥٠.
٢ ـ تسهيل المنافع في الطب والحكمه للإمام ابراهيم عبد الرحمن أبي بكر الأزرق ص ٧٩ ـ ٨٠.
٣ ـ السواك والإعجاز العلمى في السنة النبوية. حسنى عبد الحافظ ـ مصر ـ أرامكو ـ السعودية ص ١ ـ ٥ .
٤ ـ تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب العجاب/ داود الأنطاكى ص ١ ـ ٢ ص ٤١.



أتى رمـضــانُ بالخـيـرات يسـعى

فــــشقَّ هلالُهُ ســـتْـــر الظّلام

وألبس فـــجـــرُهُ الدنيــــا رداءاً

من الإحــســــان والنِّعم العظام

أتى من بـعـــد شـــوق وانتظار

وصـــبـــر وارتجــاء طول عـــام

فبدَّل وحشة العـمـر انشـراحـا

بتـسـبـيح المهـيـمن والقـيـام

وصـــوم خـــالص لله، يُرجى

به غــفــرانُ أخطاء جــســام

به تسـمــو النفـوسُ على الدَّنايا

بإفـــشــاء المحـبَّــة والســلام

* * *

أتى رمــضـــانُ والأحــداثُ تتــرا

تمُرُّ بأمَّـــتى مـــرَّ الغـــمـــام

ودمعُ العين فــوق الخـدِّ يجـرى

وجُـرْحُ القلب في الأعــمــاق دامي

د. جمال محمد مرسى

- السعودية -

وكيف له شفاء يا رفاقي
ونيرانُ الأعادي في اضطرام

تُحاك لديننا في كل يوم
مؤامرة وأخرى بانتظام

فَطَوْراً من شيوعي حقود
وطوراً من صهاينة لئام

بغوا في القدس وازدادوا فساداً
بسفك دماء محمود ورامي

وزرع الخوف فوق شفاه هند
وترويع الحمائم والأنام

وتدنيس لأقصانا وجرح
لإحساس الورى دون احترام

* * *

أتيتَ إذَنْ أيا شهراً كريماً
تُذَكرُنا بأمجاد الكرام

ببدر والصحابة في رُباها
يُذيقون العدا نارَ الحمام

ويقتلعون بالتوحيد كُفرا
فتنطلق الرسالةُ كالسهام

تذكرنا بسينا إذ عبرنا
فطهَّرْنا ثراها بالحسام

لترتفع البيارقُ في سماها
ويعلو بعدها صوتُ السلام

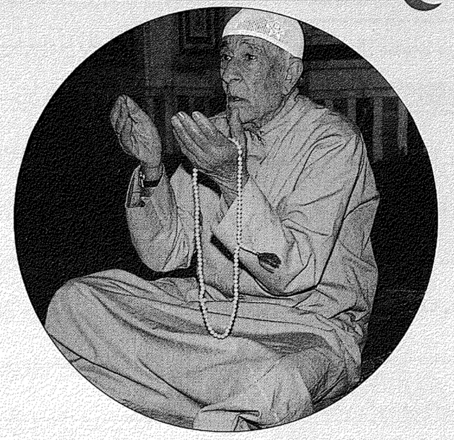
تُغنّيه العصافيرُ اللواتي
شدَتْ بالنصر في مصر وشام

وحاضرة العروبة والبوادي
من الأقصى إلى البيت الحرام

فأهلا يا عزيزاً غاب عنَّا
ولا تعجبْ فشوقي في تنامي

لأنّك تحملُ الغفرانَ بُشْرى
لنا من بعد يأس وانهزام

وفيك الخيرُ والجَنَّاتُ تزهو
بمن تابوا ورَقُّوا بالصيام



الفطر المبارك .. معان وآداب

قال الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾ (يونس/ ٥٨)٠

لقد مضى شهر رمضان الذى فُرض ليطهرنا من الآثام والاوزار، ويقوي إرادتنا٠٠ مرت نفحاته مرّ السحاب وكأنها منام، بعد أن علّمنا قيمة الخضوع لرب العالمين٠

والذين أدركوا سرَّ الصوم، لابد أنهم تمنوا أن تكون السنة كلها رمضان٠٠ تركنا رمضان ولم تبق إلا دروسه الخالدة، فدوام الحال من المحال، وكل شيء الى زوال٠٠ لقد لمسنا في رحابه أنقى الأيام، وأروع الليالي٠٠

سلام عليك يا شهر الرحمة والمغفرة، وأعادك الله أعواماً عديدة، وأزمنة مديدة٠٠ ولا ندري إلى أي مدى كان وفاؤنا بواجب العمل، والى أي مدى كان تحقيقنا لفسيح الأمل؟٠٠ [**أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نُزُلا بما كانوا يعملون * وأما الذين فسقوا فمأواهم النار**] (السجدة/ ١٩ ـ ٢٠)٠

زمـــانك للنفـــوس ربيع وروح
به في النور تتـــسع الرحـــاب

مع القـــرآن تنبلج الخـــفـــايا
فـــآذان النفـــوس لهـــا انســـيـــاب
مـــرورك كـــالطيـــور مـــهـــاجـــرات
تحل وفـي عـــــزيمتك الذهـاب
نحـــبك يا صـــديق بملء روح
فـفي لقـيـاك أجـر واحـتـسـاب

لقد كان شهر رمضان ملء أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا، شـهـر رمـضـان، كـان حـديث منابرنا، وزينة منائرنا، وبضـاعـة أسـواقنا، ومـادة مـوائدنا، وحـيـاة مساجدنا.

لقد كان يوم إقباله يوماً تفتحت له قلوبنا وعيوننا، فاستقبلناه بملء النفس أملا وغبطة، وكم نتمنى أن نكون أقوياء على بره ورفده.. فأين أنت يا شهر الخير والإحسان؟.. لقد صار في ذمة الماضي بعد أن كان حقيقة تملأ السمع والبصر، وبعد أن كان حديثاً يُروى وخبراً يؤثر، وستمضي أيام الحياة كلها إلى أجل لا ريب فيه: **{يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيدا}** (آل عمران/ ٣٠).

والمرء يفـــرح بالأيام يقطعـــهـــا
وكل يـوم مـــضـــى يُدني من الأجل
فاعمل لنفسك قبل الموت مجتهداً
فـإنما الربح والخسـران في العمل

والعمر محال بعد فوته أن يعود، لهذا فهو أثمن ما في الوجود، وكل شيء له ابتداء له انتهاء، وإن عنوان القبول في رمضان، أن يغدو المسلم بعد

علاء الدين معصوم حسن

- سورية -

رمضان، أحسن منه حالا قبل رمضان.

مضى رمضان، وشهد على المحسن بإحسانه، وشهد على المسيء بإساءته، وتحصَّل كل من الفريقين على ما قد قُسم له من ربح أو خسران، فيا هناءة من قد ربح، ويا حسرة الخاسر.. رحل رمضان، ومضى مسرعاً وكأنه طيف خيال.

معان مستفادة :

مضى رمضان، بعد أن وجهنا الى معان مستفادة، وبعد أن ربانا على قوة الإرادة والإيمان.. فيا من كان يمر باللغو كريماً يقابل السيئة بالحسنة، ويبادل القطيعة بالصلة، لماذا لا تحرص على هذا الخلق بعد رمضان؟.

ويا أيها البائع الذي لم يغش في رمضان، لماذا لا تلزم نفسك دائماً بهذه الأمانة بعد أن وجدت طعم الحلال وأدركت معنى الحق؟.

ويا أيها الغني الذي استطعت أن تخفف عناء الفقر عن فقير، وقدرت أن تدفع شر الحاجة عن محتاج، لماذا لا تشعر بأن للسائل والمحروم حقاً لا يتقيَّد أداؤه بشهر أو يوم؟.. ويا من وصلت أرحامك وأنست بهم، لماذا لا تستمر في وصلك دائماً كما أمر الله ورسوله؟.

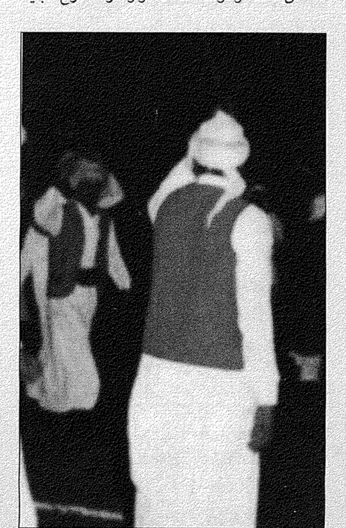
إن الذين أدركوا قيمة رمضان، لا شك أنهم سيستمرون في امتثال آدابه وتذكر ذكرياته التى أثبتت بأن جولة الباطل ساعة، وأن جولة الحق الى قيام الساعة.

سلام عليك يا شهر القرآن وضياء المساجد.. يا

شـهـر الذكـر والمحـامـد.. سـلام عليك يا شـهـر التراويح.. سلام عليك يا شهر الغفران الصـريح.. لقد هذبت نفوسنا، وأذهبت ما ران على قلوبنا.. أما من كان عاصياً، فهو ليس في عيد، ولو لبس الجديد! فسعادة الإنسان مرتبطة بطاعة الله، وبالدعوة الى دين الله، وما عمّت الجهالة، ولا ظهر الفساد إلا حين ضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال رسول الله {صلى الله عليه وسلم} «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».. رواه مسلم.

والتغيير باليد يكون لولاة الأمور ولمن يسند له القيام بذلك، والتغيير باللسان يكون للعلماء بما حباهم الله من حكمة وموعظة حسنة، وأوامر الشرع مبنية على جلب المصالح ودرء المفاسد، ومن غفل عن تطبيق هذه القاعدة، كان فساده أكبر من صلاحه.



وليس من معاني العيد أن يكون انفتاحاً على الأهواء الجامحة بعد شهر كله عبادة وتقوى.. العيد حفلة مقامة بين الأرض والسماء، تشترك فيها الملائكة والطائعون من عباد الله.. يقدم فيها الصائمون حصيلة عبادتهم، ويقدم الله لهم جائزة التوفيق في عملهم.

يروى أن رجلا زار عليا بن أبي طالب كرم الله وجهه يوم الفطر، فرآه يأكل خبزاً خشناً، فقال يا أمير المؤمنين! يوم عيد وتأكل هذا الخبز الخشن؟، فأجاب : اليوم عيد من قُبلَ صومه، وغُفر ذنبه، وكل يوم لا ننسى الله فيه فهو عيد.

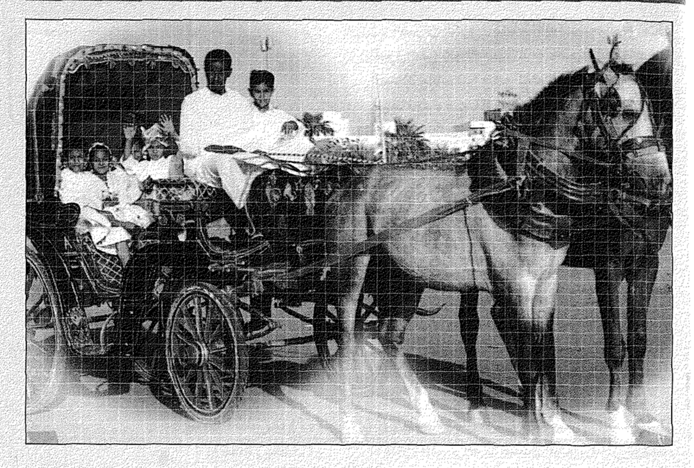
وكان ـ كرم الله وجهه ـ يقول في آخر يوم من رمضان : من المقبول حتى نهنأه، ومن المحروم حتى نعزيه؟.

حـب وإخـاء :

وفي العيد، يلتقي المسلمون على الحب والإخاء ويحمدون الله على نعمة الإسلام التى شدت بعضهم الى بعض، فأصبح مثلهم في التسامح والتعاطف مثل الجسد الواحد أو البناء المرصوص. ولو كبَّرَت قلوب المسلمين كما تُكَبِّر ألسنتهم لكان لهم أعظم الشأن، ولو تصافحت نفوسهم كما تتصافح أيديهم لكانوا خير أمة.

وإن فهم المسلمين للعيد ينبغي أن لا يكون فهم لهو وعبث تقتحم فيه الحرمات، إنما ينبغي أن يكون فهم توفيق بين مطالب المادة والروح.

عن أنس رضي الله عنه قال: قدم رسول الله {صلى الله عليه وسلم} المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال: «ما هذان اليومان»؟ قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية. فقال عليه الصلاة والسلام: «إن الله قد



أبدلكم خيراً منهما: يوم الأضحى ويوم الفطر». رواه أحمد وأبو داود.

«وعن عـائشـة أن أبا بكر رضى الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى تُدفّفان وتضربان والنبي {صلى الله عليه وسلم} متغشٍ بثوبه فانتهرهما أبو بكر فكشف النبي {صلى الله عليه وسلم} عن وجهه فقال: دعْهُما يا أبا بكر فإنها أيام عيد وتلك الأيام أيام منى» رواه البخاري.

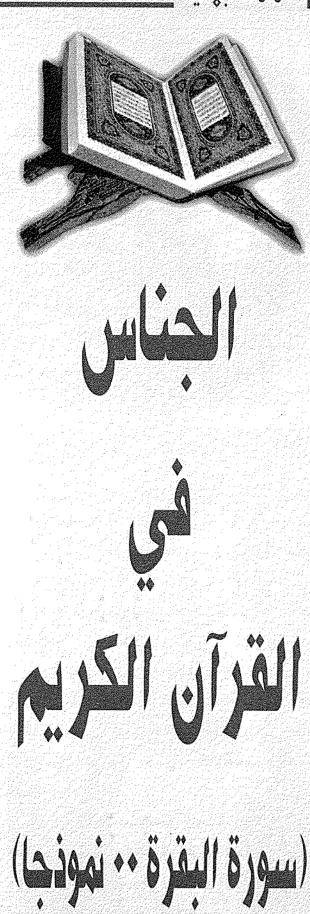
فالناس في حاجة الى أيام تسعد فيها.

وليس العيد أن يعيش المسلم لنفسه وينسى غيره، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «أغنوهم عن السؤال في هذا اليوم». رواه البيهقي والدارقطني. فالصدقة تدفع البلاء، وبسببها يُحفَظ المرء في نفسه وولده وأهله وماله: **{وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجرا}** (المزمل/ ٢٠).

وكم من بيوت مستورة لا تجد في العيد ما يسد الرمق، تتحايل على أيام الزمن في لقمة العيش، وكسب الدواء، ولبس الرداء، وفي الحديث: «من أطعم جائعاً أطعمه الله، ومن سقى مؤمناً على ظمأ سقاه الله يوم القيامة، ومن كسى مؤمناً كساه الله» رواه أبو داود والترمذي.

فالعيد تذكير بحق الفقراء وميدان للتكافل والتآزر، فلندخل الفرح - ونحن نقبل أبناءنا - على يتامى لا يجدون ابتسامة الأب، وأيامى يفقدن حنان الزوج: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه». رواه مسلم.

ولتشرق شفاهنا بصدق البسمة، ولتشرق قلوبنا بصفاء البهجة، ولتشرق نفوسنا بخالص الوئام، ولنجدد أواصر الحب بيننا وبين ذوي أرحامنا، ولنعمق أسباب التعاون بيننا وبين المسلمين.



الجناس في القرآن الكريم (سورة البقرة.. نموذجا)

القرآن الكريم، كتاب الله سبحانه وتعالى المنزل على عبده سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم؛ وهو كلام الله المعجز للخلائق فيما نعلم وفيما لا نعلم وإعجازه جلي وباد في أسلوبه ونظمه ومعانيه، في علومه وحكمه وأوامره ونواهيه، في إجلاء الغيوم وكشف الحجب عن الغيوب، سواء كانت ماضية أو مستقبلية.

وقد تحدى الرسول الكريم {صلى الله عليه وسلم} جميع العرب، فصحاءهم وبلغاءهم، بإعجاز هذا القرآن؛ وأنهم لا يمكنهم أن يأتوا بمثله؛ قال تعالى: **{قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا}** (الإسراء/ ٨٨).

وأمام هذا التحدي الصارخ، الضارب في الأعماق، انقسم العرب قسمين: قسم أراد أن يستأسد بلغته أو بفصاحته أو بما امتلكه من ملكة لسانية وبراعة لغوية، ليضاهي القرآن الكريم، وينسج على منواله. ولعل مسيلمة «الكذاب» أبرز دليل على ذلك؛ ومن بين ما أورده هذا الكذاب، مدعيا أنه قرآن ينزل عليه من السماء كوحي: «والليل الأطخم، والذئب الأدلم، والجذع الأزلم ما انتهكت أسيد من محرم» وقوله غضب الله عليه: «والليل الدامس، والذئب الهامس، ما قطعت أسيد من رطب ولا يابس»، وقوله قبحه الله: «والشاء وألوانها، وأعجبها السود والشاة السوداء، واللبن الأبيض. إنه لعجب محض، وقد حرم المذق، فما لكم لا تجتمعون»... الى غير ذلك مما أورده صاحب الكامل في التاريخ.

لكن الكذاب رجع بخفي حنين؛ لأن القرآن الكريم كلام الله تعالى، وهو منزل بلسان عربي مبين، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وقسم شَمَّر عن سواعد الجد، لخدمة الفرقان؛ هذا القسم الذي قوي عضد لغوييه، وصلُب عود نحاته

وصرفييه واشتد ساعد بلاغييه؛ هؤلاء الذين بسطوا الكلام فيما اشتمل عليه القرآن الكريم من ألوان بيانية وأشكال بديعية، من جناسات وطباقات ومقابلات وكنايات وغيرها؛ لأنه كما قال فيه [صلى الله عليه وسلم] «لا تنقضي عجائبه».

وعلى ذكر البديع وأشكاله، فقد اجتهد جهابذة البلاغة في استنباط هذه الأنواع، على اختلافها لكن بشكل عام ودون تفصيل؛ وأقصد بالعمومية وعدم التفصيل: جرد عدد قليل من الأمثلة للطباقات، أو الجناسات، أو المقابلات أو غيرها، من المحسنات البلاغية، من القرآن الكريم، دون الإحاطة بها جميعها. فالأغلبية تقتصر على أمثلة معينة لكل لون من هذه الألوان؛ فعلى سبيل المثال: استنبط الإمام «الزركشي» في برهانه ثمانية عشر مثالا للطباق، بما فيه اللفظي والمعنوي والخفي! وتسعة عشر مثالا آخر للمقابلة، كما استنبط «السيوطي» في إتقانه عشرة أمثلة، فقط، لهذا المحسن الأخير، فيما استنبط الخطيب «القزويني» في إيضاحه مثالين اثنين للإيهام.

وفيما يتعلق بالجناس، فسأكتفي هنا، على سبيل المثال، لا الحصر بمصنفين اثنين: وأولهما ينتمي صاحبه للقرن الرابع الهجري، وهو: «إعجاز القرآن» لصاحبه «أبي بكر الباقلاني»، وثانيهما ينتمي صاحبه للقرن الرابع عشر الهجري، وهو: «علم البديع» دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع، لمؤلفه: «بسيوني عبد الفتاح فيود» لأبرز أن كليهما قد تعرض للجناس في مصنفه؛ فلم يستخلص الأول سوى سبعة أمثلة لهذا المحسِّن، من القرآن الكريم فقط، بما فيه التام وغيره؛ أما الثاني فقد استشهد بأربع وعشرين آية فقط من القرآن جله.

ومما يغري بالبحث في هذا المحسِّن، هو كون «ابن الأثير» لم يستخرج في مؤلفه: «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر»، إلا مثالا واحدا فقط للجناس التام، من الكتاب العزيز، ويتجلى في قوله عز وجل: **{يوم تقوم الساعة يُقْسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة}** (الروم/ ٥٥).

يقول ابن الأثير: «وليس في القرآن الكريم سوى هذه الآية، فاعرفها»[١]

ومن هنا يمكن طرح الأسئلة الآتية :

أ - ما هو الجناس ؟

ب - ما هي أقسامه ؟

جـ - ما هي بعض شواهده التي حفل بها سنام القرآن ؟.

(أ) تعريف الجناس :

١ - المعنى اللغوي :

الجناس مشتق من الجنس؛ وهو التجنيس والمجانسة والتجانس؛ وهو المشابهة والمشاكلة. يقول ابن منظور الإفريقي: «الجنس هو الضرب من كل شيء، وهو من الناس ومن الطيور ومن حدود النحو والعروض.. والجنس أعم من النوع، ومنه المجانسة والتجنيس. ويقال: «هذا يجانس هذا» أي يشاكله[٢].

وجنس التمر جنسا: نضج كله كأنه صار من جنس واحد.

وجانسه جناسا ومجانسة: شاكله واتحد معه في الجنس. والجمع: أجناس وجنوس.

ويقول ابن فارس: «الجنس الضرب من الشيء». قال ابن دريد: (كان الأصمعي يدفع قول العامة: «هذا مجانس لذا»، ويقول: «ليس بعربي»)[٣].

ويعد معجم «أساس البلاغة» لصاحبه: «جار الله محمود بن عمر الزمخشري»، من أشهر المعاجم التى أوردت المعاني اللغوية للمفردات، مع تصوير تلك المعاني، ومن بينها مفردة «جنس». وقد اختار، صاحب

د. محمد كويياس
- المغرب -

هذا المعجم، ما وقع في كلام المبدعين أنفسه لعدد من المفردات، ومن بينها: «جنس» فقال: «الناس أجناس وأكثرهم أنجاس» و«مع التجانس التآنس» و«كيف يؤانسك من لا يجانسك»[٤].

وهناك ممن عرف الجنس بأنه من التجانس، وهو: من التفاعل من الجنس أيضا، لأنه مصدر من تجانس الشيئان إذا دخلا في جنس واحد، كما تقول: «تحارب الرجلان تحاربا».

والمجانسة عند أرباب المعقول، اتحاد في الجنس، كالإنسان والفرس، وكذلك المشاكلة والمشابهة، والمساواة والموازاة والمطابقة والمماثلة والمضاهاة، والهُوَهُوَ؛ فكلها فيها اتحاد.

والمتقصي للمعاجم اللغوية سوف لن يجد تعريفاً لغويا خارجا عن هذه المعاني؛ فقد تطرق واضعوها للمادة نفسها، وأعطوها تعريفات مماثلة، باستثناء «الفيروز آبادي» الذي أضاف بعض الإضافات في الشرح[٥].

٢ـ المعنى الاصطلاحي :

الجناس في الاصطلاح البلاغي، هو فن من الفنون البديعية اللفظية، ويعتبر «عبد الله ابن المعتز» من بين من تنبهوا له؛ فقد وضعه في الباب الثاني من أبواب البديع الخمسة التى جمعها في: «كتاب البديع» وهي على التالى:

(أ ـ الاستعارة ـ ب ـ الجناس أو التجنيس ـ جـ ـ المطابقة أو الطباق ـ د ـ رد أعجاز الكلام على ما تقدمها ـ هـ ـ المذهب الكلامي).

وقد عرّف الجناس بقوله: «التجنيس أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها»[٦].

وهناك تعاريف أخرى عديدة من بينها:

أ) تعريف للخطيب «القزويني» يقول فيه: «الجناس بين اللفظتين هو تشابههما في اللفظ. والتام منه: أن يتفقا في أنواع الحروف، وأعدادها، وهيأتها، وترتيبها»[٧].

ب) تعريف ل«ابن الأثير» يقول فيه: «اعلم أن التجنيس غرة شادخة في وجه الكلام، وقد تصرف العلماء من أرباب هذه الصناعة فيه فغربوا وشرقوا ولا سيما المحدثين منهم، وصنف الناس فيه كتبا كثيرة وجعلوه أبوابا متعددة، واختلفوا في ذلك.. وحقيقته أن يكون اللفظ واحدا والمعنى مختلفا، وعلى هذا فإنه هو: اللفظ المشترك»[٨].

جـ) تعريف ل«الباقلاني» يقول فيه: «وهو التجنيس. ومعنى ذلك أن تأتي بكلمتين متجانستين. فمنه ما يكون الكلمة تجانس الأخرى في تأليف حروفها وإليه ذهب الخليل»[٩].

د) وهو عند «عبد القاهر الجرجاني» عندما يكون معنى المفردتين المتجانستين واقعاً من العقل موقعاً جيداً؛ يقول: «أما التجنيس، فإنك لا تستحسن تجانس اللفظتين إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعاً جيداً، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيدا»[١٠].

هـ) و«لجلال الدين السيوطي» تعريف بديع للجناس يقول فيه: «هو تشابه اللفظين في اللفظ، قال في «كنز البراعة»: «وفائدته الميل الى الإصغاء إليه، فإن مناسبة الألفاظ تحدث ميلا وإصغاء إليها ولأن اللفظ المشترك إذا حُمل على معنى، ثم جاء المراد به آخر، كان للنفس تشوق إليه[١١]... الى غير ذلك من التعاريف المثبتة في المصنفات عند جهابذةالبلاغة.

يستنتج من التعاريف برمتها، أن الجناس هو اتفاق مفردتين من حيث النطق، واختلافهما من حيث المعنى. والمفردتان المتماثلتان لفظاً، المختلفتان معنى تسميان: «ركني الجناس».

والتام من الجناس ما اتفقت فيه اللفظتان في نوع الحروف، وعددها، وشكلها، وكذا ترتيبها، وغير التام، ما اختل فيه شرط من هذه الشروط الأربعة.

(ب) أقسام الجناس :

الجناس التام :

(أ) المماثل : وهو ما كان بين اسمين، أو فعلين، أو حرفين.

(ب) المستوفي: وهو ما كان بين اسم وفعل، أو بين حرف واسم، أو بين حرف وفعل.

(جـ) جناس التركيب: وهو ما كان أحد ركنيه كلمة واحدة، والأخرى مركبة من كلمتين؛ وهو ثلاثة أنوا ع: (متشابه - مفروق - مرفو).

وتجدر الإشارة الى أن هناك من المؤلفين، من أهمل بعض هذه الأنواع من الجناس في مصنفه؛ فمثلا: أهمل «القزويني» في إيضاحه «الجناس المستوفى» بين الفعل والحرف؛ حيث اقتصر على الاسم والحرف فقط، كما أهمل «ابن الأثير» في مثله السائر، «الجناس المفروق»، ولم يستحضر «الباقلاني» في إعجازه، أى مثال للجناس التام.

الجناس غير التام :

أ - المضارع: وهو ما تقارب فيه الحرفان المختلفان في المخرج.

ب - اللاحق: وهو ما تباعد فيه الحرفان المختلفان في المخرج.

جـ - الناقص: وهو ما نقص في أحد ركنيه حرف واحد.

د - المذيَّل: وهو ما نقص في أحد ركنيه حرفان اثنان.

هـ - المحرَّف : وهو ما اختلف ركناه في الحركات.

و - المصحَّف: وهو ما اختلف ركناه في النقط.

ز - المقلوب : وهو أربعة أقسام: (قلب كل - قلب بعض - قلب مجنح - مستو).

الى غير ذلك من الأنواع من مثل: الملفق والمعكوس وغيرهما.

والأقسام الآنفة الذكر، عديدة ومتنوعة في كتاب الله جلت قدرته، باعتباره الكتاب المعجز، المنزل على سيدنا محمد عليه أفضل صلوات الله. وفصاحته وبلاغته من بين ما جعل فصحاء العرب يخرسون ويذعنون، أمام كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

(جـ) بعض الشواهد من سنام القرآن :

ومما ورد في سنام القرآن الكريم، من جناسات تامة، قوله عز وجل: {**في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا**} (سورة البقرة/آية ١٠). فالجناس هنا بين اسمين متماثلين في كل شيء، وهما: «مرض. مرض»، فالأول بمعنى: الشك والنفاق، والثاني بمعنى: الرجز والضلال. وهذا النوع يسمى: «المماثل». (للإشارة، ففي الجناسات التامة لا يعتد بالتعريف ولا بالتنوين).

وقوله جلا جلاله: {**وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم**} (سورة البقرة/آية ٢٢) والجناس هنا بين حرفين مماثلين وهما: «من . من»؛ فالحرف الأول يفيد ابتداء الغاية، أي: من السماء الى الأرض، والثاني يفيد البيان.

ومثله قوله سبحانه وتعالى {**ويُنزل من السماء من جبال فيها من بَرَد**}(النور/آية ٤٣)، فالأول يفيد ابتداء الغاية والثاني يفيد التبعيض، والثالث يفيد البيان.

ومثله قوله عز وجل: {**ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون**} (سورة البقرة/٤٢) يتضمن جناساً تاماً بين كلمتي «الحق . الحق»؛ فالأولى ضد الباطل، والثانية تعني محمداً [صلى الله عليه وسلم]، ويعتبر «ابن كثير» من بين المفسرين الذين أشاروا الى هذا الفرق بين المفردتين[١٢].

وقوله جل جلاله: {**إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجْل فتوبوا الى بارئكُمْ فاقتلوا أنفسكم**} (سورة البقرة/٥٤)، يتضمن جناساً تاماً أيضاً وهو بين كلمتي: «أنفسكم . أنفسكم»؛ فالأولى تعني الروح والنفس البشرية، والثانية تعني ذلك الآخر المجرم الذي

عبد العجل[١٣]؛ وقد فصل «أبو حيان الأندلسي» الحديث عن هذه الآية بشكل مستفيض في مصنفه «البحر المحيط»[١٤].

أما قوله سبحانه وتعالى: **{نبذ فريق من الذين أوتوا الكتابَ كتابَ الله}** (سورة البقرة/ ١٠١)، ففيه جناس تام هو الآخر بين كلمتي: «كتاب ـ كتاب» فأما الأولى فتعني «التوراة». وأما الثانية، المضافة الى اسم الجلالة، فيجوز فيها أن تكون القرآن الكريم ويجوز فيها أن تكون «التوراة» حسب «الزجاج». فإن كانت بالمعنى الأول؛ ففيها جناس تام مماثل، وإلا فلا كلام فيها، والله تعالى أعلم[١٥].

وقوله تبارك اسمه: **{إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها}** (سورة البقرة/٢٦)، يشتمل على جناس تام مماثل أيضاً ويتجلى في كلمتي: «ما ـ ما» فأما الأولى منهما فهي بمثابة نكرة تامة موصوفة بما بعدها، وأما الثانية فهي معرفة؛ لأنها اسم موصول بمعنى «الذي».

وفي قوله جل جلاله: **{فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك}** (سورة البقرة/١٩٦) جناس تام مماثل أيضاً، وهو بين الحرفين: «من . من»؛ فالحرف الأول منهما مخالف للثاني؛ إذ معناه: «في» والثاني معناه مغاير له، وهو: إما صيام أو صدقة أو نسك.

كذلك قوله سبحانه وتعالى: **{أو كالذي مَرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها}** (سورة البقرة/٢٥٩)، محتو على جناس تام أيضاً وهو باد في حرفي «على . على» والأول منهما موافق «للباء» نحو قوله جل شأنه في سورة الأعراف. برواية حفص عن عاصم: **{حقيق عَلَى أن لا أقول على الله إلا الحق}** (الآية/ ١٠٥). وقد قرأ «أُبي» بالباء: «بأن لا أقول»[١٦]. والثاني لا يجوز موافقته للباء؛ إذا فهو مغاير للأول قطعاً.

وأخيراً، أقف عند قوله عز وجل: **{ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار}** (سورة البقرة/٢٠١)، لأشير على أن هنا جناساً تاماً بين كلمتي: «حسنة ـ حسنة»؛ والأولى منهما بمعنى: نعمة من نعم الدنيا كالصحة والمعافاة وكذا الزوجة الصالحة.. والثانية منهما بمعنى: الجنة والنظر الى الله تعالى؛ وشتان بين الحسنتين.

هذا بعض ما اشتملت عليه السورة الكريمة من جناسات تامة، وخاصة المماثل منه.

أما الجناسات غير التامة فهي عديدة جداً، وأكتفي منها بما يلي:

١ ـ المضارع : [١٧].

وهذا النوع له عدة أسماء؛ فقد سماه «الجرجاني» (التجنيس الناقص)[١٨]، وسماه «الرماني» (المشاكلة)[١٩]، كما سماه «أبو يعقوب السكاكي» (المطرف)[٢٠]، وهو عند أبي محمد القاسم «السجلماسي» (تجنيس السمع)[٢١].

ومما ورد منه في السورة نفسها قوله جل جلاله: **{فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة}** (سورة البقرة/٢٤)، فالجناس هنا بين الركنين: «لم ـ لن» والحرفان اللذان وقع فيهما الاختلاف هما: «الميم والنون» ومخرج الأول هو ما بين الشفتين، أما الثاني فمخرجه من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا أسفل اللام قليلا[٢٢] فهما إذاً متقاربان في مخرجهما.

وقوله عز وجل: **{ولهم في الآخرة عذاب عظيم.. إن الله واسع عليم}** (سورة البقرة/ ١١٤ ـ ١١٥)، فالجناس في الآية بين الركنين: «عظيم ـ عليم»؛ والحرفان اللذان وقع فيهما الاختلاف هما: «الظاء» ومخرجه من طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا. و«اللام» ومخرجه من حافة اللسان، من أدناها الى منتهى طرفه، وما يليها من الحنك الأعلى مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية.

وقوله سبحانه وتعالى: **{فاذكروني أذكركم**

واشكروا لي ولا تكفُرون} (سورة البقرة/١٥٢)، مشتمل على جناسين مضارعين؛ وهو بين الركنين: «اذكروا - اشكروا»، والركنين: «ني - لي»؛ والحرفان اللذان اختلف النطق فيهما في الركنين الأولين هما: «الذال»؛ ومخرجه من طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا. و«الشين»؛ ومخرجه من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك. أما الحرفان اللذان اختلف النطق فيهما في الركنين الثانيين فهما: «النون واللام»؛ وقد سبق تبيان مخرج كل منهما خلال الحديث عن الآية/ ١١٥.

كذلك قوله جل جلاله: {**أولئك يدعون الى النار والله يدعوا الى الجنة والمغفرة بإذنه ويُبَيِّنُ آياته للناس**} (سورة البقرة/٢٢١)، يتضمن جناساً مضارعاً بين الركنين: «النار - الناس»، وحرفا الاختلاف هنا هما: «الراء»؛ ومخرجه هو طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا العليا؛ و«السين» مخرجه طرف اللسان فويق الثنايا السفلى[٢٣].

٢ - اللاحق :[٢٤].

وهذا النوع اتفقت الأغلبية على تسميته بهذا الاسم، بالإضافة الى تسميته بالمزدوج والمكرر والمردد أيضاً. ومما ورد منه في سورة البقرة قوله سبحانه وتعالى: {**والذين يؤمنون بما أُنْزل إليك وما أُنْزل من قَبْلكَ وبالآخرة هم يوقنون**} (الآية/٤)، وهي مشتملة على ركنين متجانسين وهما: «يؤمنون - يوقنون»، والحرفان اللذان اختلف النطق فيهما هما «الميم» و«القاف»، وهما متباعدان في مخرجهما؛ إذ الأول مخرجه من بين الشفتين، والثاني مخرجه من أقصى اللسان مما يلي الحلق وما فوق الحنك.

وقوله جل جلاله: {**لكنتم من الخاسرين.. كونوا قردة خاسئين**} (الآيتان/ ٦٤ - ٦٥)، مشتمل على جناس لاحق بين الركنين: «خاسرين - خاسئين»، وحرفا الاختلاف هما: «الهمزة»؛ والتي مخرجها من أقصى الحلق، و«الراء» التي سبق تبيان مخرجها.

كذلك قوله عز وجل: {**وما أُنْزل على المَلَكَيْن ببابل هاروت وماروت**} (الآية/ ١٠٢)، متضمن لهذا النوع من التجنيس، وهو بين الركنين: «هاروت - ماروت»، وحرفا الاختلاف هما: «الهاء»، الذي مخرجه من أقصى الحلق، و«الميم». وبما أن المفردتين متتاليتان، فإن هذا النوع هو ما يسمى: «المزدوج»؛ مثله قوله عز وجل في (سورة النمل الآية/٢٢) {**وجئتُك من سَبَأ بِنَبَإٍ يقين**}.

وقوله سبحانه وتعالى: {**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**} (سورة البقرة/١٨٥)، يتضمن جناساً تاماً لاحقاً بين الركنين «اليسر - العسر»، وحرفا الاختلاف هما: «الياء» غير المدية، والتي مخرجها من وسط اللسان، بينه وبين الحنك و«العين»، التي مخرجها من وسط الحلق.

٣ - الناقص : [٢٥].

وهو ثلاثة أنواع:

أولها : «المردوف»؛ وهو ما كانت فيه الزيادة بحرف واحد في الأول.

وثانيها: «المكتنف»؛ وهو ما كانت فيه الزيادة بحرف واحد في الوسط.

وثالثها: «المطَرَّف»؛ وهو ما كانت فيه الزيادة بحرف واحد فقط في النهاية.

وكأمثلة للنوع الأول «المردوف» قوله جل جلاله: {**وأنزل من السماء ماء**} (سورة البقرة/٢٢)، حيث حذف حرف «السين» في الركن الثاني.. وكذلك قوله عز وجل: {**وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر**} (سورة البقرة/ ١٢٦)، حيث حذف حرف «الألف» من الركن الأول. كذلك قوله سبحانه وتعالى: {**ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر**} (سورة البقرة/ ١٧٧).

وكأمثلة للنوع الثاني «المكتنف» قوله جل جلاله: {**لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون**}

(الآية/ ٢٧٧)؛ فـالجناس هنا بين الركنين: (لهم - ولاهم)؛ وقد حذف حرف «الألف» من وسط الركن الثاني.

أما النوع الثالث والأخير «المطرف» فيتجلى في قوله عز وجل: **{ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يُذْكَر فيها اسمه وسعى في خرابها}** (سورة البقرة/ ١١٤)؛ والجناس هنا بين الاسم الموصول «من» الملتصق بحرف الجر «من» المحذوفة نونه. والفعل «مَنَعَ» وللإشارة فقد اجتمع هنا نوعان من الجناس.

٤ - المذيل :

وقد يسمى: المتوج؛ وهو ما زيد في أوله حرفان اثنان، أو حرف واحد في أحد ركنيه، ومما ورد منه في الآية الكريمة قوله جل جلاله: **{وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم}** (سورة البقرة/٨٥)، والتجانس هنا بين الركنين: (منكم - من) وقد حذف من الركن الثاني حرفا: «الكاف» و«الميم».

وكذلك قوله جل جلاله: **{فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به}** (سورة البقرة/ ٨٩)، مشتمل على جناس مذيل؛ وهو باد بين الركنين: (لما - ما)، وقد حذف حرفا: «اللام» و«الميمي» المدغمة من الركن الأول.

٥ - المحرف : [٢٦].

ومما ورد من هذا اللون قوله عز وجل: **{ومن الناس من يقول آمنا}** (سورة البقرة/٨)، وكذلك قوله جل جلاله: **{أن يُنَزِل الله من فضله على من يشاء من عباده}** (سورة البقرة/ ٩٠)، فالمفردتان المتجانستان هما: (مِن - مَن) في الآيتين معاً؛ إلا أن هناك اختلافاً بينهما من حيث المعنى؛ فأما الأولى منهما فللتبعيض، وأما الثانية فهي اسم موصول بمعنى «الذي». وشبه ذلك قوله سبحانه وتعالى: **{ومن الناس من يشتري نفسه ابتغاء مرضات الله}** (سورة البقرة/ ٢٠٧).

وفي قوله عز وجل: **{إذ تبرأ الذين اتُّبِعُوا من الذين اتَّبَعُوا}** (سورة البقرة/ ١٦٦)، جناس «محرف» بين كلمتي (اتُّبِعُوا - اتَّبَعُوا) والأولى منهما ضم ثانيها وكسر ثالثها، والثانية فتح ثانيها وثالثها معاً، وبينهما طباق إيجاب أيضا؛ لأن المتبوع عكس التابع.

٦ - المقلوب : [٢٧].

أما «المقلوب» فهو أنواع أربعة أولها: «قلب كل»، وثانيها: «قلب بعض»، وثالثها: «قلب مجنح» وآخرها «المستوي».

فبالنسبة للنوع الأول، فإذا اعتبرنا «اللام ألفاً» في «لم»، و«الألف لاماً» في «ما» في قوله عز وجل: **{ما لم تكونوا تعلمون}** (سورة البقرة/ ٢٣٩)، فسنجد أن هناك «قلب كل»؛ إذ ستقرأ النافيتان من اليمين ومن اليسار، وإلا فلا يوجد من هذا النوع شاهد في السورة بأكملها والله أعلم.

وبالنسبة للنوع الثاني، فقد ورد في قوله سبحانه وتعالى: **{قد نرى تَقَلُّبَ وجهك في السماء فلنولينك قبْلة ترضاها}** (سورة البقرة/ ١٤٤) فالكلمتان المتجانستان هما (تَقَلُّبَ - قبْلَة)؛ والاختلاف ظاهر في ترتيب بعض الحروف، ولم يحتفظ برتبته إلا حرف «اللام».

وفيما يتعلق بالنوع الثالث، فهو غير موجود في السورة الكريمة.

أما النوع الأخير «المستوي».، فقد سماه «أبو يعقوب السكاكي»: (مقلوب الكل)، وسماه «الحريري» في مقاماته: (ما لا يستحيل بالانعكاس)[٢٨] وسماه قوم: (جناس العكس)؛ وفيه يمكن قراءة ركني الجناس من الشمال الى اليمين دون أن يتغير المعنى، وذلك كقوله عز وجل في (سورة يس الآية/ ٤٠): **{كُلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحُونَ}**.

كما يمكن أن نقرأ لفظة واحدة من اليمين الى الشمال، ومن الشمال الى اليمين، دون أن يطرأ أي تغيير على المعنى أيضا. وأمثلة هذا الصنف (لفظة واحدة) عديدة في السورة النموذج، ومنها كلمة «إلا»

في قوله سبحانه وتعالى: {**وما يخدعون إلا أنفُسهم**} (سورة البقرة/٩)، وكلمتا «إذا - نحن» في قوله سبحانه وتعالى: {**وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون**} (سورة البقرة/آية ١١)، وكلمة «ولو» في قوله عز وجل: {**ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم**} (سورة البقرة/٢٠)، وكذا كلمة «اماما» في قوله سبحانه وتعالى: {**قال إني جاعلك للناس إماما**} (سورة البقرة/ ١٢٤)، الى غير ذلك من الأمثلة العديدة في سنام القرآن.

٧ـ المشتق : [٢٩].

وقد سماه «الزركشي»: «المقتضب»[٣٠]، وسماه «أبو حيان الأندلسي» في «البحر المحيط»: (التجنيس المغاير). وتجدر الإشارة هنا الى أن أبا حيان قد اقتصر على عدد قليل جدا من الأمثلة لهذا النوع؛ فذكر: «الربا - يربي» و(آمن - المؤمنون)[٣١].

ومن هذا النوع كلمتا: «الرحمن والرحيم» في «البسملة»؛ ففيهما اشتقاق وهو أصلي.

وقوله سبحانه وتعالى: {**ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة**} (سورة البقرة/ ٧٤)، مشتمل على هذا النوع من الجناس وهو باد في الركنين: (قست - قسوة)؛ والركن الأول مشتق من الركن الثاني الذى هو أصل المشتقات باعتباره مصدراً، كذلك قوله سبحانه وتعالى: {**قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين**} (سورة البقرة/ ٩٣)، يتضمن شاهداً من هذا اللون وهو بين الركنين: (إيمانكم - مؤمنين)؛ فالركن الأول من المصادر، أما الركن الثاني فهو اسم فاعل. والشيء نفسه يقال في قوله عز وجل: {**يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين**} (سورة البقرة/ ١٥٣).

وقوله جل جلاله: {**أُجيبُ دَعْوَة الدّاع إذا دعان**} (سورة البقرة/ ١٨٦)، فيه شاهد أيضا، وهو بين اسم الفاعل «الدّاع» والفعل «دعا» المتصل بنون الوقاية. ثم قوله عز وجل: {**إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بَيَّنَّاهُ للناس**} (سورة البقرة/ ١٥٩)، مشتمل على جناس اشتقاق أيضاً، وهو جلي في الركنين: (البينات - بيناه)، وهو بين الاسم المجموع جمع مؤنث سالم «بينات»، وبين الفعل «بَيَّنَ». والشاهد نفسه نجده في الآية الكريمة: {**الشهر الحرام بالشهر الحرام والحُرُمَاتُ قصاص**} (سورة البقرة/ ١٩٤).

وأخيرا وليس آخرا أقف عند قوله سبحانه وتعالى: {**يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتَ الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيرا**} (سورة البقرة/ ٢٦٩) وكذا عند قوله عز وجل: {**وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه**} (سورة البقرة/ ٢٧٠)؛ ففي الآيتين معاً ثلاثة جناسات اشتقاق: الأول بين الفعل «يؤتي» المبني للمعلوم، والفعل «يؤت» - المجزوم - المبنى لما لم يسم فاعله، والفعل «أوتي» أيضاً. والثاني بين الفعل «أنفق» والاسم «نفقة». والثالث بين الفعل «نذر» والمصدر «نذر»، الى غير ذلك مما جاء مجتمعاً في أصل الاشتقاق.

٨ـ المطلق : [٣٢].

ومما ورد من هذا النوع، في السورة قيد الدراسة، قوله سبحانه وتعالى: {**وبالولدين إحساناً وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسناً**} (سورة البقرة/ ٨٣)، فالركنان المتجانسان هما: (إحسانا - حسنا)، فهما متوافقتان في جل الأحرف: (الحاء والسين والنون)؛ وقد يتبادر الى الذهن أنهما يرجعان الى الأصل نفسه، ولكنهما ليسا كذلك، بل بينهما جناس إطلاق.

كذلك قوله جل جلاله: {**ولا تقولوا لمن يُقتل في سبيل الله أمواتٌ بل أحياء**} (سورة البقرة/ ١٥٤)، فهو مشتمل على جناس إطلاق، وهو متجل في الركنين: (تقولوا - يقتل)؛ وفعلا: «قال» و«قتل» بينهما توافق في

حرفي: «القاف» و«اللام»٠٠ ثم قوله سبحانه وتعالى: **{يمحق الله الربا ويُرْبي الصدقات}** (سورة البقرة/ ٢٧٦)، الى غير ذلك مما هو مطلق، والله تعالى أعلم[٣٣]٠

وقد يجتمع نوعان من الجناس في ركنين اثنين؛ وقد استخلص «جلال الدين السيوطي» في إتقانه نموذجاً لذلك من القرآن الكريم، وهو بين الركنين: (يحسبون ـ يُحسنون) في قوله جل جلاله في سورة الكهف: **{وهم يَحْسَبُون أنهم يُحْسنُون صُنْعاً}** (الآية/ ١٠٤)، فقد اشتمل هذان الركنان على جناسين في آن واحد والأول منهما محرف؛ ويتجلى في فتح «الياء» في الركن الأول وضمها في الركن الثاني٠ والثاني مصحف؛ ويتجلى في وضع «نقطة» (من تحت) في «لام الكلمة» من الركن الأول، و«نقطة» (من فوق) في الحرف نفسه من الركن الثاني٠ واقتداء بعمل «السيوطي» يمكن استنباط مجموعة من الآيات الشواهد المشتملة على نوعين من الجناس في السورة الكريمة فيمكن أن نجد التحريف والمضارعة معاً، ويمكن أن نجد القلب والنقص، كما يمكن أن نجد الإلحاق والقلب وحتى القلب والمضارعة وغيرها٠٠ وهذه عينة من هذه النماذج٠

بعض ما اجتمع فيه التحريف والمضارعة :

مما اجتمع فيه هذان اللونان قوله سبحانه وتعالى: **{أولا يعلمون أن الله يعلم ما يُسرُّون وما يُعلنون}** (سورة البقرة/ ٧٧)، فركنا الجناس هما: (يعلمون ـ يعلنون)؛ فأما التحريف فيتجلى في فتح «الياء» في الركن الأول، وضمها في الركن الثاني٠ كذلك فتح «اللام» في الركن الأول، وكسرها في الركن الثاني٠ وأما المضارعة فتتجلى في حرفي «الميم» و«النون» في الركنين معاً؛ وهما متقاربا المخرج٠

ثم قوله جل جلاله: **{فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم٠٠ وَوَيْلٌ لهم مما يكسبون}** (سورة البقرة/ ٧٩)، يتضمن تحريفاً بين ضم عين الركن الأول، وكسر عين الركن الثاني٠ كما يتضمن مضارعة؛ بين حرفي: «السين» و«التاء»؛ والحرف الأخير مخرجه من طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا[٣٤]٠

وقوله عز وجل: **{كما يَقُومُ الذي يتخبطه الشيطانُ من المسِّ}** (سورة البقرة ٢٧٥)، مشتمل على تحريف ومضارعة؛ فالأول باد في كسر «الميم» في الركن الأول، وفتحها في الركن الثاني؛ والثانية بادية في حرفي «النون» و«السين» المتقاربي المخرج٠

بعض ما اجتمع فيه القلب والنقص :

ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: **{وإذا لَقُوا الذين آمنوا قالوا آمنا}** (سورة البقرة/١٤)؛ فركنا الجناس هما: «لقوا ـ قالوا» فأما القلب فيتجلى في تغيير موضعي كل من «القاف» و«اللام» والأول منهما قد وضع في الرتبة الأولى من الركن الثاني وفي الرتبة الثانية من الركن الأول، والثاني منهما موضع في الرتبة الأولى من الركن الأول وفي الرتبة الثالثة من الركن الثاني، وعليه حصل القلب٠ وأما النقص فيتجلى في حذف إحدى الألفين من الركن الأول والإبقاء عليها في الركن الثاني٠

ثم قوله عز وجل: **{ومن يرغبُ عن ملة إبراهيمَ إلا مَنْ سَفهَ نَفْسَهُ}** (سورة البقرة/ ١٣٠)؛ فيه قلب من حيثُ تغييرُ موضع «السين»؛ فبعد أن كان في الرتبة الأولى من الركن الأول. أصبح في الرتبة الثالثة من الركن الثاني، في الوقت الذي احتفظت فيه كل من «الفاء» و«الهاء» برتبتيهما٠ وفيه أيضاً نقص من حيثُ إضافة حرف «النون» في الركن الثاني٠

بعض ما اجتمع فيه الإلحاق والقلب :

ومن ذلك قوله عز وجل: **{ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون}** (الآية/ ١٥٠)؛ وهذه الآية فيها إلحاق بين حرفي «العين» في «عليكم» و«اللام» في «لعلكم»

وهما متباعدا المخرج. كما فيها قلب؛ حيث تغييرُ حـرف «اليـاء» في الركن الأول ب «اللام» في الركن الثاني، وكلاهما وضع في الرتبة الثالثة.

بعض ما اجتمع فيه القلب والمضارعة :

ومن ذلك قوله عز وجل: {**ولو شاء اللهُ ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات**} (سورة البقرة/ ٢٥٣)، وهنا يبدو القلب واضحاً في انتقال حرف «الميم» (الثاني من الركنين)، من الرتبة الأخيرة، في الركن الأول، الى الرتبة ما قبل الأخيرة في الركن الثاني. كما تبدو المضارعة جلية بين حرفي «الهاء»، في الركن الأول، و«الألف» في الركن الثـاني؛ ومخرجهما معاً من أقصى الحلق.. الى غير ذلك مما حفلت به السورة الكريمة - والتى نعتها الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم بسنام القرآن؛ بدليل قوله عليه السلام: «لكل شيء سنام وإن سنام القرآن سورة البقرة، وفيها آية هي سيدة آي القرآن آية الكرسي»[٣٥] - من محسنات بلاغية بصفة عامة، ومن جناسات بشتى أنواعها، بصفة خاصة.

فإن وفقت في استنباط بعض ما حوته هذه السورة المباركة من جناسات، على اختلافها، فما ذلك إلا بتوفيق من الرحمن. وإن كنت قد استنبطت ثم استشهدت بما ليس في محله، فما ذلك إلا مني سهوا. والله سبحانه وتعالى عليم بذات الصدور.

الهوامش :

(١) المثل السائر، ج ١ ، ص ٢٤١.
(٢) لسان العرب . مادة «جنس».
(٣) مجمل اللغة . ص ١٤٠.
(٤) أساس البلاغة. ص ٦٦.
(٥) القاموس المحيط. فصل «الجيم» باب «السين».
(٦) كتاب البديع. ص ١٠٧ - ١٠٨.
(٧) الإيضاح في علوم البلاغة. ص ٣٣٢.
(٨) المثل السائر ج ١ ، ص٢٤١.
(٩) إعجاز القرآن. ص ١٠٧ - ١٠٨.
(١٠) أسرار البلاغة. ص ٤.
(١١) الإتقان في علوم القرآن. ج ٣، ص ٢٧١.
(١٢) تفسير ابن كثير ج ١ ، ص ١٢٨.
(١٣) المصدر نفسه. ص ١٤٠/ صفوة التفاسير ج ١ ، ص ٥٨.
(١٤) البحر المحيط ج ١ ، من ص ٣٣٥ الى ص ٣٣٨.
(١٥) معاني القرآن وإعرابه ج ١ ، ص ١٨٢.
(١٦) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ج ١ ، ص ١٤٤.
(١٧) المضارع هو ما تقارب فيه مخرج حرفي الاختلاف.
(١٨) العمدة ج ١ ، ص ٣٢٥.
(١٩) المرجع نفسه . ص ٣٢٦.
(٢٠) مفتاح العلوم . ص ٥٣٩.
(٢١) المنزع البديع. ص ٤٨٨.
(٢٢) النشر في القراءات العشر. ج ١ ، ص ١٩٩.
(٢٣) المرجع نفسه.
(٢٤) اللاحق هو ما تباعد فيه مخرج حرفي الاختلاف.
(٢٥) الناقص هو ما كان فيه النقص بحرف واحد فقط.
(٢٦) المحرف هو ما اختلف فيه الركنان في هيأة الحروف من حيث الشكل.
(٢٧) المقلوب هو ما اختلف فيه الركنان في ترتيب الحروف.
(٢٨) مقامات الحريري «المقامة المغربية» ص ١٣٨.
(٢٩) المشتق هو ما اجتمع فيه ركنا الجناس في أصل الاشتقاق.
(٣٠) البرهان في علوم القرآن ج ٣ ، ص ٥٠٧.
(٣١) البحر المحيط. ج ٢ ، ص ٧١٠ - ٧٦٧.
(٣٢) المطلق هو ما اجتمع فيه ركنا الجناس في المشابهة، وهو شبيه بالمشتق.
(٣٣) الإتقان في علوم القرآن. ج ٣ ، ص ٢٧٣.
(٣٤) تاريخ آداب العرب. ج ١، ص ٩٨ وما بعدها.
(٣٥) الجامع الصغير، ج ٢، ص ٤١٤.

لا تناقض في القرآن الكريم

تثير آيات القرآن الكريم المتشابهة لغطاً كثيرا بين طلاب العلم لا سيما الذين يهجمون على الإفتاء - منهم - بغير علم، كما أن تلك الآيات المتشابهة تستوقف القارىء أو السامع العادي الذى لم يؤت حظاً من العلم بعلوم القرآن الكريم فيفكر فيها وربما قاده تفكيره الى إساءة فهم المراد بتلك الآيات.

في هذه السطور نسعى الى كشف ما قد يكون بين بعض الآيات من تشابه، وبيان ما بينها من فروق دقيقة ذكرها العلماء ممن رزقهم الله تعالى البصر والبصيرة فتدبروا آيات الله ووقفوا على أسرارها وأوضحوا ما بينها من روابط تجعل التعبير القرآني خير قدوة للقارئين والكاتبين.

●● **يقول الله تعالى: {فبما نقضهم ميثاقَهُم لَعَنَّاهُم وجعلنا قلوبَهُم قاسية يُحَرِّفون الكَلِمَ عن مواضعه ونسُوا حظا مما ذُكِّروا به}** (المائدة/ ١٣).

ثم قال في السورة نفسها: **{سمَّاعون للكذب سمَّاعون لقوم آخرين لم يأتوك يُحرفون الكَلِمَ من بعد مواضعه}** (المائدة/ ٤١).

فما سبب الاختلاف بين الآيتين، أو بالأحرى بين الجملتين اللتين تتحدثان عن تحريف الكلم؟ لم قال مرة (عن مواضعه) ومرة (من بعد مواضعه) والسورة واحدة؟.

في مثل هذه الحالات التى يبدو فيها التشابه بين الآيات قوياً ملحوظاً يحسن بنا أن نعود إلى السياق العام الذي وردت فيه كل من الآيتين: وسنرى أن الآية الأولى نزلت في شأن اليهود الذين حرفوا كلام الله ونقضوا ميثاقه الذى واثقهم به كما دلت عليه الآية السابقة للآية التى بين أيدينا إذ تقول الآية السابقة لها: **{ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثنَيْ عَشَرَ نقيباً وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضاً حسنا لأُكَفِّرَنَّ عنكم سيئاتكم، ولأُدخلَنَّكُم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضلَّ سواء السبيل}** (المائدة/ ١٢).

ومن المعلوم أنهم بعد هذا الميثاق تطاول بهم العهد وهم ينقضون الميثاق يوماً بعد يوم، فلا عبدوا الله، ولا وقروا رسله بل قتلوهم، ولا أقرضوا الله قرضاً حسنا.. فجاءت الآية التالية مصدرة بالفاء التى تفيد التعقيب وبالباء التى تدل على السببية في قوله **{فبما نقضهم ميثاقهم}** أي بسبب نقضهم ميثاقهم حلت عليهم اللعنة.

وهنا كان لابد للسياق القرآني أن يستخدم (عن) في قوله **{يحرفون الكلم عن مواضعه}**. لأن (عن) في اللغة العربية موضوعة «لما جاوز الشيء إلى غيره ملاصقاً زمنه لزمنه» أي أن تحريفهم لكلام الله ونقضهم لميثاقه لم ينتظروا به طويلا، بل حدث هذا منهم قريباً من نزول هذه التعاليم إليهم. فمجاورة زمن التحريف لزمن التكليف وقربه منه جاء بالحرف (عن) للدلالة على تجاور الزمنين.

أما الآية الثانية: **{يحرفون الكلم من بعد مواضعه}** فقد وردت في سياق آخر يوضحه نص الآية كاملا. إذ يقول تعالى: **{يا أيها الرسول لا يَحْزُنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن**

قلوبهم، ومن الذين هادوا سمّاعون للكذب، سمّاعون لقوم آخرين لم يأتوك يُحَرفون الكَلِمَ من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتُم هذا فخُذُوهُ، وإن لم تُؤْتَوْهُ فاحذروا. ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يُطهر قلوبَهُم. لهم في الدنيا خزْيٌ ولهم في الآخرة عذابٌ عظيمٌ} (المائدة/ ٤١).

فالسياق الكامل للآية يدل على أنها نزلت في قوم مخصوصين من اليهود على زمن نبينا محمد {صلى الله عليه وسلم} تحالفوا مع قوم من المنافقين ممن قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم وقد أرسل هؤلاء وفداً للنبي {صلى الله عليه وسلم} يسألونه عن حكم زان محصن، وقالوا للوفد: إن أفتاكم محمد بالجلد فأقيموا الحد، وإن أفتاكم بالرجم فلا ترجموا الزاني. فجملة (إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا) وهي مقول قولهم لوفدهم - كما يظهر من الآية - جملة تفسيرية للجملة السابقة عليها: «يحرفون الكلم من بعد مواضعه» لأنهم فعلوا هذا وعندهم التوراة فيها حكم الله معروف لهم في الجلد والرجم فأنكروه ونصحوا وفد المستفتين نصحاً يخالف ما استقر عندهم من شرع الله. فهنا جاءت (بعد) لتدل على استقرار كلام الله عندهم: أي من بعد طول عهد بهذا الكلام الذي يحرفونه عمداً. لأن (بعد) تفيد استقرار حكم ما بعدها.

●● **ويقول الله تعالى** في شأن موسى عليه السلام: **{فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين}** (الأعراف/ ١٠٧).. وقال في موضع آخر: **{تهتز كأنها جان}** (النمل/ ١٠).

قد يتوهم بعض طلاب العلم أن بين الآيتين تناقضاً، وحاشا لله تعالى، فكتاب الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. لكن سياق الآيتين مختلف. فالآية الأولى جاءت في سياق حوار برزت فيه قمة التحدي بين رسول الله موسى عليه السلام من جهة، وفرعون وسحرته وجنوده من جهة أخرى. وكان سحرة

أ. د. مصطفى رجب

- مصر -

فرعون يسترهبون الناس بتحويل عصيهم الى ثعابين وحيات تسعى. فأوحى الله تعالى إلى موسى أن يلقي عصاه وهي - بقدرة الله تعالى - ستتحول الى ثعبان عظيم يلقف في جوفه كل ثعابينهم المزعومة. لتكون آيته التي سأله عنها فرعون - في السياق - من جنس آيات سحرة فرعون.

أما الآية الأولى فقد وردت في سياق أول حوار وقع بين رب العزة جلّ شأنه وبين موسى عليه السلام حين ناداه ربه بالوادي المقدس - للمرة الأولى - فكان اهتزاز العصا شديد الوقع على نفس موسى عليه السلام حتى بدت له كما لو كانت جنا يهتز. وحين نقرأ الآيات كاملة ندرك مدى الرعب الذي حاق بهذا النبي عليه السلام حين توالت عليه المفاجآت قال تعالى:

{فلما جاءها نُوديَ أن بُوركَ من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين * يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم * وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب، يا موسى لا تخف إني لا يخافُ لديَّ المرسلون} (النمل/ ٨ - ١٠).

يقول الله تعالى عن نبينا محمد {صلى الله عليه وسلم}: **{ما ضلَّ صاحبكم وما غوى}** (النجم/ ٢).. وقال الله في موضع آخر مخاطباً رسوله الكريم: **{ووجدك ضالا فهدى}** (الضحى/ ٧).

فكيف نوفق بينهما؟؟

والجواب أن الضلال المراد في سورة النجم هو الضلال في الدين وفي أمور العبادة والنبوة والإخبار عما في الغيب. والغواية بمعنى اتباع الهوى. فالنفي هنا لتأكيد أمانة النبي {صلى الله عليه وسلم} في التبليغ عن ربه، وصدقه المطلق في كل ما يأتي به قومه من أمور الدين الموحاة إليه من ربه.

أما الضلال الوارد في سورة الضحى فالمراد به الضلال في شؤون الدنيا المضطربة آنذاك ـ قبل المبعث ـ فقد كان محمد عليه السلام يرى قومه ـ قبل المبعث ـ على غوايتهم يعبدون الأوثان ويعظمون شأنها. فيحار بين ولائه لقومه، وبين ما تأباه فطرته السليمة من أمور عبادتهم. فتصيبه من ذلك حيرة طال عهدها به حتى كان يلجأ الى الغار يتأمل السماء والنجوم ويدرك أن لهذا الكون خالقاً أعظم. فعبَّر عن فترة القلق والحيرة تلك بالضلال تشبيهاً لحاله {صلى الله عليه وسلم} أثناءها بحال السائر في الصحراء على غير هدى لا يعلم طريقه، فالضلال هنا غير الضلال هناك.

●● قال تعالى: **{وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم؟ ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً}** (آل عمران/ ١٤٤).

فكيف يقول (مات أو قتل) مع أنه أخبر في آية أخرى أنه لن يقتل وذلك حيث يقول سبحانه **{إنك ميت وإنهم ميتون}** (الزمر/ ٣٠).

وحيث قال: **{والله يعصمك من الناس}** (المائدة/ ٦٧).

والجواب عن ذلك أن صدق القضية الشرطية لا يتطلب صدق جزأيها، فحين يقول الله تعالى: **{لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا}** (الأنبياء/٢٢).

القضية في أصلها صادقة: أي لو وجدت آلهة أخرى لعم الفساد لكن جزأيها كاذبان فلا آلهة ثم ولا فساد.

فليس معنى الآية أن الارتداد على الأعقاب مرتبط بحالتي الموت أو القتل فقط. بل هو واقع لا محالة.

وقال الألوسي في هذا المضمار قولا شافياً حين قال: إن كلمة (إنْ) لا تجري في كلام الله تعالى على ظاهرها بإيراد الشك في علمه تعالى بالوقوع وعدم الوقوع. بل يُحمل الشك على اعتبار حال السامع، أو ما يناسب المقام، وقد وردت (إنْ) هنا ـ أي في هذه الآية ـ لتنزيل المخاطبين منزلة المترددين فيه لعظم ما ذكر لهم (روح المعاني/ ٤/٧٧).

●● قال تعالى: **{وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به}** (آل عمران/ ١٢٦).. وقال في سورة الأنفال: **{وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم}** (الأنفال/ ١٠).

قد يتوقف القارئ أو السامع أمام هاتين الآيتين فيلاحظ أن الجار والمجرور (لكم) جاءت بعد البشرى في آل عمران ولم ترد في الأنفال. وإن الجار والمجرور (به) قد جاءت بعد القلوب في آل عمران وجاءت قبلها في الأنفال، فما السر؟.

إن تأمل السياق الذي وردت فيه كل آية من الآيتين يدل على سر ورودها على هذا النحو، فآية آل عمران جاءت إخباراً للمؤمنين بما تحقق لهم من عون من عنده سبحانه في غزوة بدر على نحو ما يظهر من الآيات السابقة على هذه الآية (لقد نصركم الله ببدر).

أما آية الأنفال فقد وردت في سياق يدل على أن المؤمنين استغاثوا وطلبوا العون من الله حيث يقول تعالى: **{إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم}** فلما جاءت (لكم) ملتصقة بالاستجابة الفورية لاستغاثتهم، أغنى ذلك عن مجيئها مع البشرى.

وأما تأخير (به) بعد (قلوبكم) فلأنه لما أخَّرَ الجار والمجرور في الكلام الأول (بُشْرَى لكم) وعطف الكلام الثاني عليه، أخَّر الجار والمجرور في الثاني كما أخَّره في الأول. وأما تقديم (به) في الآية الثانية فلأن نفوس المؤمنين ـ وهم في حال كرب واستغاثة ـ أحوج ما تكون إلى التثبيت والطمأنينة.

والضمير في (به) عائد على إنزال الملائكة الذي هو موضوع البشرى، فتقديم الجار والمجرور هنا ـ وهو ساد مسد المفعول به ـ أدعى لتهدئة تلك النفوس المتطلعة الى نصره وعونه.. والله تعالى أعلم.



الأديب والشاعر الملحمي

مبارك بن سيف آل ثاني وعناق الخليج

ولد الشيخ مبارك بن سيف آل ثاني عام ١٩٥٢م بالدوحة في قطر، حصل على شهادة البكالوريوس في العلوم السياسية والاقتصاد، اطّلع على عيون الأدب العربي حديثه وقديمه، وكان له السبق في إدخال الرومانسية الى الشعر القطري، عمل مستشاراً في سفارة قطر في القاهرة، وممثلا لها في جامعة الدول العربية. وعمل وزيراً مفوضاً بوزارة الخارجية.. أسس مجلة الخليج اليوم التى سُميت فيما بعد جريدة الشرق ورأس تحريرها لفترة من الزمن، وقد انتدب عضواً في المجلس الأعلى لرعاية الشباب في دولة قطر، وعين رئيساً للجنة المنتدى العام للأدباء والكتاب القطريين، ومثل قطر في عدة مؤتمرات ولقاءات ثقافية في العالم العربى وفي الدول الأجنبية.. من أعماله:

١- الليل والضفاف شعر ١٩٨٣م.
٢- ليال صيفية شعر ١٩٩٠م.
٣- الفجر الآتي مسرحية شعرية ١٩٩٢م.
٤- أنشودة الخليج ملحمة شعرية ١٩٨٤م.

كتب المقالة النقدية والتراجم في صحافة الخليج، وضع نشيد قطر الوطني ونشيد الشباب القطري الرسمي، حصل على جائزة المعهد الثقافي الأسبانى العربي في مدريد- جائزة وَلّادة عام ١٩٨٥م/ حصل على وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى من مصر العربية.

حسن على الهنداوي

- السعودية -

تشير الدكتورة نورية الرومي وهي أستاذة مساعدة في قسم اللغة العربية جامعة الكويت في الحديث عن تطور الشعر العربي الحديث في الخليج والجزيرة العربية - العربي عدد ٣٧٦ - آذار ١٩٩٠م الى (أن منطقة الخليج والجزيرة العربية قد شهدت تغيراً مفاجئاً خلال خمس وعشرين سنة ماضية نتج عنه تطور له خطورته في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية بعد استقلال دول الخليج، وإحساس المواطن الخليجي بالقلق والغربة والتمزق والظلم السياسي والاجتماعي؛ وهذا ما حدا بشعراء الخليج أن يعالجوا معظم المشاكل التى واجهوها بشكل كبير).

وإذا كان د/ عبد العزيز المقالح في مقالته «واقع الشعر في الجزيرة العربية والخليج» العربي عدد ٣٧٤ - ١٩٩٠م (يشدّد على ضرورة تجاوب شعراء الخليج والجزيرة مع واقع الأحداث المعاصرة لهم في العصر الحديث وبحثهم عن حلول لما حلَّ بالمنطقة العربية)، فإن الشاعر مبارك بن سيف آل ثانى استطاع أن يواكب حركة التطور الحديث للحياة والشعر من خلال مجموعاته:

١ - أنشودة الخليج.

٢ - ليال صيفية.

٣ - الليل والضفاف.

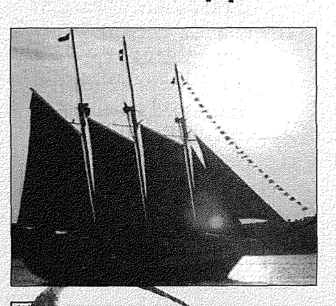
٤ - المسرحية الشعرية «الفجر الآتي».

وسأتناول أعمال الشاعر بالدراسة والتحليل من أجل تحديد أغراض هذا الشعر وسماته وجوانب التطور فيه وما أضافه هذا الشاعر لحركة الشعر في الخليج العربي والجزيرة العربية، إذ أن شعر الجزيرة والخليج العربي يشكل الآن أحد محاور الأدب العربي الحديث الذى يصبوا الى أن يكون منارة واضحة تكشف عن هموم ومشاكل وآلام وآمال المواطن العربي الذي تسحقه عجلات الزمن القاتلة.

١- الانتماء الخليجي العربي عند الشاعر:

تشكل ظاهرة الانتماء قضية مهمة عند الشاعر وخاصة في هذا الزمن الذى يعتبر الانتماء. الهوية الحقيقية للإنسان المعاصر وشاعرنا مبارك بن سيف آل ثاني يبدو في مطوّلته المسماة «أنشودة الخليج» شاعر الانتماء، ذلك أن هذه المطولة التى يتجاوز عدد أبياتها ثلاثمئة بيت تعتمد ركيزتها الأساسية على حب الوطن الذى استلهمه الشاعر من خلال خطين متوازيين هما النزعة الصوفية في حب هذا الوطن حيث تمتزج الذات مع الوطن وتذوب روح الشاعر في شرايين تلك الأرض التى تشكل خصوبة الحياة والولوج عبر البوابة التاريخية لهذا الوطن الممتدة من أيام «امرىء القيس»، وحتى يومنا هذا وليس الوطن هو «قطر» فقط وإنما يمتد ليتسع ويضم الخليج العربي بأسره والوطن العربي الكبير:

لك يا خليج تحية وولاء
هي ذي القلوب ونهجها القدماءُ



في الحب في الأخلاق في شيم الورى
في العهد إنا للعهود وفاءُ
في سيرة هي كالشهاب بريقها
ضاعت بشطك سيرة سمحاءُ
(أنشودة الخليج ص ١٥ - ١٦)

وإذا كان الشاعر يحاول أن يرسم من خلال ملحمته، وطنية الإنسان الخليجي المعاصر فإنه يربط وطنية هذا المواطن المعاصر بأيام «مشعر» يوم هاجم بنو تميم قافلة مرسلة الى عامل كسرى في الخليج:

كم فيك يوم يا خليج وموقع
فيه البطاح رمالها حمراء
ذو الصفقة المشهور فيك علامة
في يوم مشعر هيمن الضعفاء
بكر وتغلب فيه كم يوم لهم
وكذا تميم والسيوف نداء
(أنشودة الخليج ص ٤٠)

وإذا كان الخليج العربي اليوم يمثل شرايين العالم الدموية من حيث إنه يمتلك ثروة هائلة من النفط، فإنه كان سابقاً يشكل أهمية كبيرة من حيث إنه كان حارس التاريخ والمساهم الفعال في بناء حضارة الإنسان على هذه الأرض.

يا حارس التاريخ هل أخبرتني
فعلى رمالك ترقد الأبناء
فلقد رأت عيناك ألف حضارة
أسوارها الدأماء والغبراء
(أنشودة الخليج ص ٤٤ - ٤٥)

لقد كان الخليج العربي على مرّ العصور مطمح الطامعين إذ أن الغزاة دائماً يطمحون في استلاب خيراته ولكن محاولاتهم كانت تبوء بالفشل.

أين الجنود الطامعون وجندهم
ذهبوا كما شدو العتاد وجاؤوا
أين الأساطيل الغزاة وبأسها
ذهبت ولم تبق لها أصداء

ولو حاولنا حصر الغزاة الذين مروا على الخليج لأعيانا العدّ ولكن دعوة الرسول محمد {صلى الله عليه وسلم} كانت الدرع الواقي الذى جعل من الخليج العربي محط أنظار الزائرين:

الله أكبر ردّدت أصداءها
أرض الخليج ومثلها الأرجاء
الله أكبر ها هو البدر الذى
ضاءت به الألباب والأجواء
ضاءت رسول الله فيك بيارق
والنور فجر ليس فيه رياء
لما بذرت النور في أرجائها
فتضمخت طيبا بها الصحراء
صعد (العلاء) السابحات قيّماً
شطر الخليج وشطره الهيجاء
(أنشودة الخليج ص ٦٤)

٢ـ دعوة زعماء الخليج لتوحيد كلمتهم:

يبدو أن الشاعر مبارك بن سيف آل ثاني أقلقه ما آلت إليه حال العروبة من التمزق والفرقة والاغتراب عن الكلمة الواحدة التى تساهم في بناء موقف يستطيع من خلاله الخليج أن يقف في وجه كل طامع ومستعمر.

يا قادة الشط الرحيب هُديتم
مهما ترامت بينكم آراء
كونوا المنائر للعلا وغماره
فبوحدة تُستمسك العلياءُ
هذا خليجكم يقول مناديا
يرجو الوفاق فهل له أصداء
(أنشودة الخليج ص ١١٤)



وإذا كان الشاعر يدعو زعماء الخليج الى توحيد الكلمة فإنما ذلك لما شعر من إحاطة لأطماع المستعمرين بخيرات الخليج وأبنائه.

حاطت به الأطماع ترتبص الخطا
كسفينة حاطت بها الأنواءُ
(أنشودة الخليج ص ١١٤)

ويكفي الشاعر مبارك أن يكون داعية قومه وهاديهم الى سبيل الخير وهذا يدل على الرؤية الاستبصارية لدى الشاعر التى تعدُّ على رأي الناقد «ستوفر» أحد عناصر الشعر الأساسية والتى تجعل من الشاعر نفسه داعية مسؤولا عما يقول.

٣ـ موقف الشاعر من القضية الفلسطينية والأجزاء المغتصبة:

وإذا كان الشاعر العربي مبارك ملتزماً بمحبة الخليج العربي، فإنه في الوقت نفسه يرى في فلسطين والقدس المحور الرئيسي للعرب والعروبة، ويعتبر أن العرب لا يقرّ لهم مضجع حتى يعود ترابها السليب.

إن أهمية القدس «أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين» ومهبط الديانات السماوية ومسرى الرسول {صلى الله عليه وسلم} يجعل من الجهاد ضد كل مستعمر مهمة أولى وأساسية في سبيل استرجاع كل سليب.

هذي فلسطين الصحابة أنة
بعثت صداها الشمُّ والدهناء
فهضابه عطشى إلى ماء الصفا
بدم الشهادة ترتوي العطشاء
هذا تراب القدس فيك منادياً
ويقول فتحاً دونه الإذراء
قل من أعدّ إلى الجهاد، محارباً
بثوابهم شرك له الشهداء
(أنشودة الخليج ص ١١٥)

وإذا كان العدو الصهيونى يحاول بجلاديه أن يطمس عروبة فلسطين وإسلامية القدس، فإن المواطن العربي هناك لا يرضخ أمام القهر والتعذيب والظلم والتسلط.

(أنا من أمة رضعت لهيب الشمس في المهد
وصاغت في صخور الأرض آيات من المجد
لتبني للعلا بيتاً وترسي صادق الوعد)
(الليل والضفاف ص ٥٥)

إن ما يقوم به العدو من نبش لقبور الأجداد وسرقة لقوت الأطفال لن يثني من عزيمة المجاهدين:

(أنا يا زارع الصلبان في أرضي
وسارق قوت أولادي
ونابش قبر أجدادي لتفنيني
أنا باق بقاء المسجد الأقصى على أرضي)
(الليل والضفاف ص ٥٣)

وهذا يعني أن العروبة باقية بقاء الدم في عروق كل عربي.

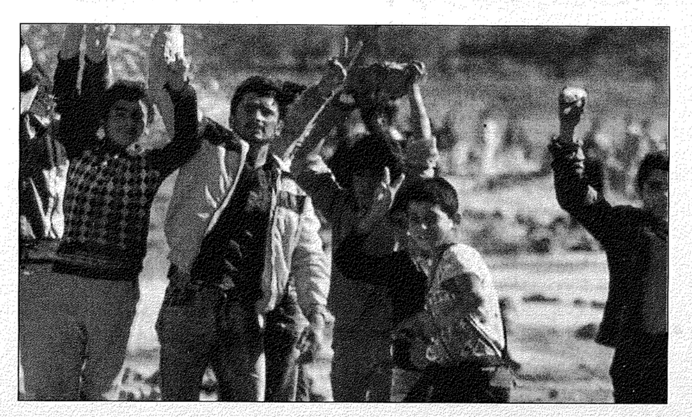
(بنور الحق والإيمان والقرآن مهديّة
أنا من أمة بالدم مرويّة
سقيناها ونسقيها
لتطعمنا ثمار الموت حرية)
(الليل والضفاف ص ٥٥)

إنّ ادعاء اليهود، أن فلسطين هي أرض الميعاد ادعاء زائف لا أساس له من الصحة والتاريخ شاهد على ذلك.

زعموا بأنك أرض ميعاد لهم
قلت اسألوا التاريخ في الآباد

والشاعر يرسم لنا تصميم العرب على استرجاع القدس مهما كان الثمن.

سنعيد للقدس الحبيب صفاءه
لتضيء بعد حدادها أعيادي
يا موطن الأديان إني عائد
هذا طريقي من دم الرواد
لن نستكين ولن نهادن غازياً
من كل جدب جاء بالأسباد
(الليل والضفاف ص ١٥٧)



وإذا كانت القدس عين الشاعر اليمنى فإن الجولان هي عينه اليسرى، فهما صنوان باقيان على مرّ الزمان لأن القدس والقنيطرة عينا العروبة وهذا ما جعل الشاعر يرى في حرب رمضان أمجاداً وبطولة رفعت من مكانة العرب.

وعلى ربا الجولان كان نحيبهم
كنحيب مقطوع الفؤاد يعذبُ
لله درهم أعادوا للوغى
عهداً لغير جدودهم لا ينسبُ
ظفروا بنصر والملائك حولهم
جيش يعزّز جيشهم ويؤلبُ

لقد استطاع الشاعر من خلال انتمائه العربي أن يرسم معاناة العروبة في جميع أجزائها وخاصة ما حلّ بلبنان الشقيق وجنوبه من دمار واحتلال.

يقول الشاعر مبارك في قصيدته «الى شهيدة من الجنوب» مكبراً قيمة الشهادة والشهداء:

(وقفت أمام الشمس
والأنوار باسمة العيون
وقفتْ معطرة بأثواب الزفاف
ومشت تحفّ بها الملائك
حيث سارت)
(ليال صيفية ص ٦١)

«إنها قراءة في كتاب قديم
(أتسأل عنا ؟
كفاك سؤالا .. كفاك غباء
يعيد لنا القول هذا محال)»
(ليال صيفية ص ٨٦).

إن موقف الشاعر من اغتصاب بعض أجزاء الوطن العربي يدل دلالة قاطعة على عمق انتماء الشاعر وصدق معاناته التى تمثل معاناة كل عربي غيور على أرضه ووطنه وأهله.

٤ ـ الدفاع عن هموم إنسان العالم الثالث:

وإذا كان الشاعر مبارك بن سيف آل ثاني قد عرف معنى التقدم العلمي والحضاري في أوروبا من خلال أسفاره إليها، فإنه لم ينس أنه مواطن من العالم الثالث أو على الأقل ينظر إليه أنه من الدرجة الثالثة وأنه يطمح الى تغيير بعض واقعه، وإن كان يشعر أن هذا المواطن سيبقى مسحوقاً تحت عجلات الجهل والتسلط.

(«الشعب بفرقتنا هذي
يدري .. يعلم أحلامي ووعودي
هات المنشور أوقعه
كي يفرح بالشعب وجودي!!!»)
(ليال صيفية ص ٢١).

إن رؤية الشاعر مبارك لمواطن العالم الثالث ملقى في سلة المهملات يجعله أحد الباحثين عن الحقيقة، حقيقة الإنسان الذى يذوق ألوان العذاب في زمن أخذ فيه البعض يقيس الإنسان من خلال:

(« تلك الساعة كم أمقتها
ذئب يربض قرب المكتب
يأكل قرص الشمس الأبيض
ينهش حقاً
الحق .... الباطل، لا فرق
فالذئب المسعور
يتربص .... بجميع الأشياء»)
(ليال صيفية ص ٣٧).

إنه لا يرى الناس إلا أرقاماً تلبسها الأصفار في

مقر براميل الأقذار. إن انتظار الموعود وصوت الطفولة ورمي المجاذيف وإحراق الأشرعة. يجعل من الشاعر ينتظر الفجر الآتي الذى سينشق عن عالم جديد يحمل في طياته أحلام الواقع وصدق الرؤيا. إن هموم المواطن من العالم الثالث جعلت من الشاعر مبارك بن سيف آل ثاني يقف أمام مرايا الواقع ويرسم بكل الصدق، والصدق الفني واقع هذا الإنسان المسحوق والمنبوذ تحت عجلات الحياة والزمن والقهر والموت والاستلاب والظلم.

٥ ـ الرؤية الإسلامية لحل مشاكل المستقبل :

وتبدو عند الشاعر مبارك بن سيف آل ثاني من خلال عمل واحد متكامل يتميز بأنه يأخذ شكل المسرح الشعري هو «الفجر الآتي» وهو في نصه هذا الذى يشكل الملحمة الثانية للشاعر «أنشودة الخليج والفجر الآتي» ويجعل منه شاعر الملاحم في عصره يفتقر الى مثل هذا النوع من الأجناس الأدبية وإذا كان الشاعر مبارك أحد أعلام الخليج الذين ساهموا في نشر الثقافة العربية والإسلامية، فإنه يعدّ من الشعراء الذين رسموا رحلة الهجرة النبوية من خلال قيم الحق والخير والجمال.

فها هو ذا يرسم صورة الظلم والرجس التى سيطرت على أجواء مكة المكرمة قبل بعثة الرسول محمد [صلى الله عليه وسلم] ليدل على مدى العدل والطهارة والحق التى أرسى دعائمها سيدنا محمد [صلى الله عليه وسلم] وأصحابه.



«العجوز :

مكة والظلام والرجس فيها
نهش الروح فالنفوس غثاء
الظلام، الظلام في كلّ صوب
الظلام الظلام موت وداء

(الفجر الآتي ص ٤).

إن الموقف الذى تبناه «ياسر» (رضى الله عنه) في الهجرة للحق يجعله رائداً فذاً يرسم للمسلمين طريق الحق ويرشدهم إلى طريق الخلاص.. يقول ياسر:

(« ياعبيد الله؛ هيّا هاجروا للحق صفّا
ما صغرنا بل كبرنا في عيون القوم خوفاً
إن سكتنا لذئاب الظلم أضحى الظلم عرفاً
ولأصنام تراهم حولها يسعون زلفى
هم ظلام في ظلام نحن في الدارين أصفى»)

ذلك أن مستقبل الإنسان العربي المسلم يجب أن يحمل في ثناياه البحث عن إطلالة التصميم التى تجعله إنساناً يحمل مسؤولية الحياة والواقع.

(« مسلم:
يا أيها النيام
سيلفظ الظلام
أنفاسه العقيمة
إشراقة تحوم في الفضاء
ياحقّ سوف نعلن الظلام»)

(الفجر الآتي ص ٢٥).

إن رحلة الحق من مكة المكرمة الى المدينة المنورة تمثل من وجهة نظر الشاعر إشراقة شمس الحياة والعدل والخير وزوال صروح الظلم والفساد والتسلط والقهر والعبودية.

ذلك أن الإسلام جاء ليساوي بين الغني والفقير والقوي والضعيف وليجعل من العدالة الإلهية ميزان الحياة. وإذا كان الشاعر مبارك قد اتخذ من جنس «الملاحم» لوناً خاصاً في رسم صورة المجاهد الحق من أجل قيم العدل والمساواة والحرية، فإنما دفعه إلى ذلك ما يراه من ظلم وتعسف وتسلط لا حلّ له إلا مبادىء تحمل من خلالها إنسانية الإنسان.

البناء الفني في شعر مبارك بن سيف آل ثاني :

لا شك أن تجربة شعرية عمرها يتجاوز العشرين عاماً عند شاعر كـ (مبارك بن سيف آل ثاني) تدل دلالة قاطعة على أنها بلغت من النضج حداً يجعل من هذا الشاعر أحد رموز الحركة الشعرية في الخليج إذ أن شعره يتميز بسمات تجعل منه شاعر تأصيل وتحديث؛ تأصيل من حيث إنه بحث في فجر التراث عن قواعد ساهم في صياغتها الشعراء والنقاد منذ أكثر من ألف وخمسمئة عام، وتحديث من حيث إنه قد غرس في تربة التراث بذوراً جديدة، تنتظر الإثمار.

إن الشاعر مبارك بن سيف آل ثاني في مجموعاته الأربع «ليال صيفية، وأنشودة الخليج، والليل والضفاف، والفجر الآتي» يحاول تشكيل فضاء شعري نصي مستقل له جذور عميقة في تجربة الشعر العربي تعكس حركة الذات الشاعرة في علاقتها الإشكالية مع محيطها الواقعي كما أشار الى ذلك الناقد والشاعر البحراني «علوي الهاشمي» في مقالته «تشكيل فضاء النص الشعري بصريا» المنشور في الوحدة عدد ٨٢ - ٨٣/ عام ١٩٩١م؛ وإذا كان الشاعر مبارك يحرص في مجموع نصوصه أن يكون شاعراً أصيلا وحديثاً في الوقت نفسه، فإنما فعل ذلك لأنه يدرك تمام الإدراك أن الحداثة الحقيقية: هي فرع من شجرة الأصالة وأنه لا حداثة دون أصالة وإذا كنا نوافق الناقد حسام الخطيب في أن (الشعر يواجه بعض مشاكل الرواج)، فإنما مردّ ذلك الى عدم تمكن بعض الشعراء من



مواجهة الواقع بحقائقه وأبعاده وقد أشار الباحث المغربي «محمد السرغيني» إلى أن (الشعر إبداع والإبداع تجربة والتجربة أنا) وأنا الشاعر مبارك هنا قد ذابت في أفق الجماعة العربية والمتصفح لدواوينه الشعرية السالفة الذكر يرى ذلك بأم عينيه.

وإذا رجعنا الى قصائد الشاعر الأصلية نجد أنها تميزت بميزات عدة هي:

أ ـ الأسلوب العربي الأصيل الذي يحقق شروط الفصاحة والبلاغة.

إذ أن الشاعر مبارك قد تتلمذ في مدرسة الشعر العربي الأصيل كما هو واضح من قصائده بحيث إنه لا يستعمل لفظة لا يستسيغها الذوق أو تخرج عن قاموس الشعر العربي أو لم تقرها مجامع اللغة والمتصفح لملحمته «أنشودة الخليج» يجد رصدا كبيرا لألفاظ جزلة قوية واضحة لا تحتاج الى تفسير:

أتت له الدنيا فرام دوامها
والعمر ماض ليس فيه رجاء
حبكت أساطير الحياة حواشياً
قيلت فما نسبت فهن إماء
ورأيت ذا القرنين فوق حصانه
والجيش يزحف خلفه الأسراء

(أنشودة الخليج ص ٥٢).

ب ـ الموسيقا الشعرية الفطرية الرائعة والقافية :

التي جاءت كحجر الزاوية إذ نجد الشاعر يعتصر من الألفاظ والأساليب خير ما فيها من الألحان حيث تتآلف الألفاظ والكلمات في نغم متواتر يرسم انفعالات الشاعر الدقيقة ولذلك نراه يستعمل البحر الكامل في ملحمته أنشودة الخليج والخفيف في أنشودة وادي النيل والرمل في لحظات غروب سعيده، والمتقارب في مسافر على أمواج الخليج، والبسيط في رفقة الصبا والبحر والطويل في مناجاة الدهر، والمتدارك في عودة أبريل، وهي بحور شعرية ذات ذوق موسيقي يستغل الأوزان الطويلة المناسبة لشرح انفعالاته وعواطفه وتفصيلاته وإذا كان الشاعر قد استعمل البحور السابقة، فإنه أكثر من استعمال البحر الكامل والمتقارب لما لهما من أثر في شرح الانفعالات وتفصيلها.

جـ ـ براعة التصوير والتعبير الناجمة عن الأخيلة الدقيقة وما تقتضيه من تشبيه واستعارات وكنايات لها أثر كبير في توصيل ما يريده الشاعر للمتلقي.

يا ربيعاً لم الرحيل شهورا؟
وهبوب النسيم نجمي وفجري
فأنا شاعر كطيرك أهفو
حيث روض الغدير والماء يجري



وأرى الليل أنجماً وشموساً
ضاحكات على النسيمات تسري

(الليل والضفاف ص ٤٨ ـ ٤٩).

وإذا كانت تشابيه الشاعر حسية، فإنما مرد ذلك إلى بيئة الشاعر البسيطة الواضحة، الفطرية، التي تجعل من الأشياء صوراً واضحة أمام العيون وهذا بالتالي ما جعلها تلبس تعابير بسيطة واضحة سهلة مأنوسة لا تعقيد فيها ولا تنافر ولا تشابك بين كلماتها أو أحرفها.

د ـ الإحساس المرهف ورقّة العاطفة :

وتتجلى هذه المزية في معظم قصائد المجموعات الشعرية وخاصة في قصيدة مسافر على أمواج الخليج.

تعالي إليّ مياه الخليج
تعالي كلحن حبيب حبيبْ
خذيني إلى وطن النيران
وشط على المائجات رحيبْ
تدفقن كالعطر في بهجة
وأنبن شطاً يكاد يغيبْ
فهل عجباً أن طواني الحنين
وقلت لقائي بأرضي قريبْ

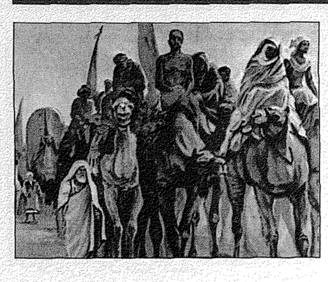
إذ أن عاطفة الشاعر تنساب كانسياب الماء السلسبيل في أوصال الظمآن وتسري في شرايينه وتبعث جواً من الأحاسيس الصادقة من خلال امتلاكها لمفتاح النغم.

هـ ـ اللغة الشعرية السهلة البسيطة المتحررة من الجمود والقيود والمرتبطة بلغة التراث من حيث مدلولاتها القاموسية والعصرية على اعتبار أن الشعر أفكار ومعان وشعور وإبداع تؤطره لغة ذات أبعاد نفسية وإنسانية وحضارية تتسع لمضامين الحياة

الاجتماعية والفكرية.

هل تذكرين بساح الحي ملعبنا
نلهو ونمضي على وعد بلقياه
نبني من الرمل أشكالا محببة
في بهجة ثم نمحوا ما بنيناه
على الشواطئ كم راحت أناملنا
تبعثر الرمل في شوق ألفناه
نجني من الرمل أصدافاً ملونة
نجري الى الظل نحصي ما جنيناه

و- استعمال الرمز الفني والإسقاط التاريخي كشكل من أشكال التعبير الجمالي حيث تبدو الرموز والإسقاطات والأساطير شكلا مهماً في التعامل مع العالم من خلال الإيحائية الجمالية لسمة التعبير وقد اتضح ذلك أكثر ما اتضح من خلال قصيدته الملحمية أنشودة الخليج، حيث رصد الشاعر مجموعة من الرموز (عطارد ، برنسو، بابل، الجرهاء، أنطخستو، ذو الصفقة، صور، جبيل، آور، جلجامش، أنكا، أوروك، ذو القرنين، نيارکس، ذو الأكتاف، ذي قار، سابو، ذايزن، ابن العبد، ابن الفجاءة، ابن هيثم، يثرب، العلاء الحضرمي، أحمد، ابن ماجد، دي جاما، دابوكيرك، عمنويل، ابن سكسون، أبو درياء، قطر، الرياض، اليابان) التى تحتاج الى دراسة مستقلة أرجو الله أن يوفقني في كشف غوامضها، والمتصفح لأنشودة الخليج والرموز والإسقاطات والأساطير وأسماء الأشخاص والأمكنة التى فيها، يجد أن شاعرنا مبارك قد حاول صنع ملحمة شعرية عربية عظيمة تحاكى ملاحم الشعر العالمي كملحمة جلجامش وملحمة الفردوس المفقود لمتون، والإلياذة لهوميروس والأوديسة وملحمة وادي عبقر وملحمة محمد لأبي ريشة وملحمة محمود يونس عمار رداً على خليل فرحات، وإنني إذ ألفت الانتباه إلى فن الملاحم في أدبنا العربي، أود أن أشير إلى أن ملحمة أنشودة الخليج للشاعر مبارك بن سيف آل ثاني هي من أعظم الملاحم التى ظهرت في



الأدب العربي الحديث وسأقوم بدراسة مستقلة لها في كتاب يتحدث عن الرموز والأسطورة والإسقاط في أنشودة الخليج.

أما إذا رجعنا الى قصائد الشاعر الحديثة التى لا تعتمد وحدة الوزن والقافية، نجد أن الشاعر مبارك قد عرض الكثير من قضايا الحياة والواقع والكون والمجتمع من خلال هذا النمط الجديد القائم على استجماع مقومات جديدة للجمال في الشعر تعتبر أن أجمل أبيات الشعر ما كانت موسيقاه منسجمة مع معناه من خلال استحضاره الموجود الذى يستحضره بأفاعيله المختلفة بالصور التى يريدها الشاعر مسايراً الحالة الوجدية والوجدانية.

وإذا كان الشعر أكثر نزوعاً فلسفياً وأكثر جدية من التاريخ لأنه يتعامل مع الكليات، فإن الشاعر مبارك لم يكن يتعامل مع الواقع والحياة من خلال هذا اللون من الشعر على الطريقة التى ترى الحياة (ولادة وزواج وموت)، بل رأى أن التعبير عن مشاكل العصر وأحداثه وأزماته الإنسانية يحتاج الى أطر جديدة لا تتخلى عن الأوزان القديمة مع الاعتماد على ديباجة صافية هازجة كما يرى «بريفير وبارس» مع اقتضاء قضايا جديدة ولغة جديدة وتراكيب ومصطلحات جديدة من خلال ظواهر الرمز والأسطورة والتاريخ مستخدماً اللفظ المعتاد بدلالته المحدودة المعبرة ولشعره الحديث خواص تتمثل في:

١- الغلالة الشعرية في ألفاظ يشفّ عنها المعنى:

وتنمّ عنها الصورة رافضاً الغموض والإبهام تاركاً لعقله اللاواعي! يقول ما يريد ضمن ضوابط العقل الواعي في تعابير توحي إيحاءات غير مباشرة:

(« إنما أنت بقيه
قد رماها الزمن الطاحنْ
.... للأرض وصيةْ
ترقب الأمس حبيباً عائداً
قد توارى خلف أستار السنين
فلقد دارت رحى الأيام دوره
وغدا الغموض حكايات تغنى
قصة نامت بأعماق الوجود»)

الليل والضفاف ص ٠٧

(أوتدرين إذا عم المساء
وأتى النجم المتوج ... بالضياء
ورمى الغواص بالجسم المكبل
... بالعناء)

إن المتصفح لقصيدة «بقايا سفينة غوص» التى اقتطعنا منها النص السابق يجد أن الشاعر اختزل فيها تاريخ الخليج العربي ضمن إيحاءات وغلالات خاصة ترسم رؤية الإنسان الخليجي لواقع الوجود هناك.



٢- التاريخ والأسطورة والرمز :

الذى يجسد فيه الشاعر مبارك الوجود حياً نابضاً في لغة تتحد مع الوجود والتجربة والمعاناة بلغة غير مباشرة ومن خلال استعمال اصطلاحات تشير الى مضامين معينة ترتبط في الشعر بالتجربة الشعورية التى يعانيها والتى تمنح أشياء ومغازي خاصة.

(«ياصديقى ...
ربما تسأل عن أشياء، أشياء كثيرة
كيف للفجر الذي راح وولى، أن يعود
كيف تجتاز الدياجي العاتية
ويعيد النبض في تلك النجود
والشطوط الغافية
كيف عادت لذرى هذا الخليج العافية
أترى «جوليات» قد أردته أمواج الخليج؟
كيف ينقضّ على المارد صخر
ثم يرديه قتيلا»)

(الليل والضفاف ص ١٧ ـ ١٨).

إن استعمال الشاعر مبارك للإسقاط التاريخي «جوليات» يدل على أصالة الثقافة العربية والإسلامية التى يغرق من معينها الشاعر ولئن كان السيّاب ومحمود حسن إسماعيل وعلي محمود طه، ومحمد عمران، وأدونيس قد استعملوا من الأساطير ما يتعلق بالثقافة اليونانية والرومانية أكثر من استعمالهم للإسقاطات التاريخية العربية والإسلامية.

فإن الشاعر مبارك كان عربياً في إسقاطاته يوظفها بحيث تخدم التاريخ العربي وتساهم في ربط الناشئة بمدلولاته الدقيقة خدمة لوحدة العرب وبناء خاصية العروبة التى أطرّ لها الرسول محمد {صلى الله عليه وسلم} حين قال: «أحبوا العرب لثلاث، لأني عربي ولأن القرآن عربي ولأن كلام أهل الجنة عربي».

وإذا كانت رموز كـ (بهيوا، ثاد ، وعشتار) هي ليست من صميم الواقع العربي، فإن الشاعر مبارك استخدمها في إطارها المرتبط بحركة التاريخ، إن رموز وأساطير الشاعر وإسقاطاته هي مدلولات عربية وإنسانية تخدم بناء الإنسان عقلياً ونفسياً وشخصياً.

(« من أين يهب الحزن عليك
يا عشتاره
أتغوص الشمس بقاع النفط
لتبحث عن شجر «المحّار»
بين هياكل عشتار»)
(الليل والضفاف ص ٥٩).

٣ـ التناص مع الظاهرة المسرحية:

وتأكيد ظاهرة التلاحم بين المسرح وشعر الحداثة إذ أن الشاعر مبارك استطاع في مسرحيته الشعرية «الفجر الآتي» أن يجعل الشعر الحديث يستوعب المسرح بكل تعقيداته وإشكالاته متجاوزاً كل القواعد التى تحاول حصر المسرح ضمن نطاق معين وإذا كان أحمد باكثير، وصلاح عبد الصبور، والعدواني والعريض، والمعاوده قد رسموا، أطر المسرح الشعري الحديث، فإن الشاعر مبارك قد بلغ فيه الذروة في مسرحيته حيث استطاع أن يدلل على مقدرة المسرح الشعري أو الشعر المسرحي على استيعاب القضايا التراثية والحديثة، فقصة الهجرة النبوية من مكة المكرمة الى المدينة المنورة رسمها الشاعر بريشة الفنان وعين المؤرخ وشفافية الأديب مبرزاً حقيقة الصراع بين العدل والظلم وفاصلا بين الخير والشر.

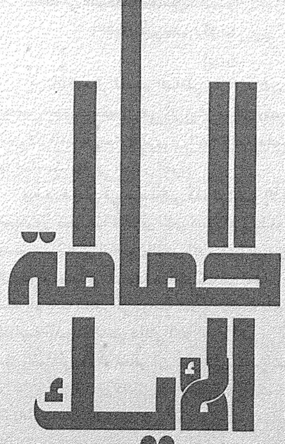
(« آخـر
أراك رحلت بعيداً
تمر عليّ السنون اليبابْ
سنون ثقال
وليل كأمواج بحر
يغطيه موج ظلام ظلام



لقد كنت أسأل ألف سؤال
ترى ما الحياة ...؟
ترى ما الوجود ...؟
أأبقى برفقة هذي القيود
أأسأل «نائله» أم «هبل»
أتلك التى لا تهش الذباب
أتملك لي مثل هذا الجواب»)
(الفجر الآتي ص ٣٤).

إن نائلة وهبل العصر الجاهلي مازالا ماثلين في العصر الحديث يظهران في كل زمان ومكان وبصور شتى لأن الشاعر مبارك يرى أن الحادثات المعاصرة لها أمثلة مشابهة في العصر القديم.

وبعد: فإنني في محاولتى هذه لم أشر إلا إلى نفحات من عطر هذا الشاعر الذى استطاع بريشته أن يرسم بعض آفاق الخليج والنفس الإنسانية فيه ولئن كنت في صفحاتى المعدودة هذه قد كشفت النقاب عن شاعر لم ينتبه النقاد الى دراسة شعره وخاصة ملحمته العظيمة أنشودة الخليج فإنني أكاد أجزم أنني لم أوفّه حقه وإنني أرجو الله تعالى أن يسعفنى ويمدني بعون من عنده للكشف عن دقائق شخصية هذا الشاعر وخواصها الأدبية والفكرية والنفسية والاجتماعية والسياسية والفلسفية في كتاب المستقبل.



حمامة الأيك ما هذا بإنشاد!

ولا بترنيمة في أسفل الوادي!

شذى العبير الذى عينيك تعزفه

روح مجنحة الإبداع والحادي

وجذوة، تسحر القلب العليل إذا

أرخت الى سمعه الأطيار والنادي

هذى اللحون التى ترمين من ولَه

حيرى، تزلزل أطوادي وأوتادي

وتحرق الهم في ذاتي وتحرقني

وتسفح الخير من مائي ومن زادي

أكـاد أمـتـشق الأيام منطلقـا

صـوب الحـيـاة وفي الأيام مـيلادي؟

* * *

حمـامـة الأيك ! غنى الأيك من فـرح

وحدث الأيك عن سـعـدي وإسـعـادي

عن الأفـانـين بين العين راقـصـة

عن الأزاهـيـر بين الفل والكادي

عن النسيمـات في الأوراق سـافـرة

تحـيى المغـبين من حـضـر ومن بادي

إذا تـراى زلال الماء منـهـمـرا

وكـاد يعلو على الأيام كـالهـادي

وبث هـذا وهـذا من أرائجـه

وهذه يسـحـر الأسـحـار أبعـادي

تسمـو له في الصـبـاح الغض تلثمه

لثم الحـبـيـبـة أحـفـادا لأحـفـاد!

* * *

هذا الغـدير الذي تجـري مـسـرته

بين العـيـون وبين الرائح الغـادي

يرى ويسـمـع مـا تلقين من حكم

جذلى الحـقـيـقـة مفـتـون بإنشـاد!

يظل يهـدر بالماء الغـزيز يعي

مـا تـعـزفين؟ ومـا تـروين للصـادي؟

سالم بن رزيق بن عوض

- جـدة -

عـذب العـذوبة كـالحن الفـريد أتى

يطوي المفـازات في إقبـال قصّـادي

يدغدغ الطهر والفن الجميل ضحى

يبكي ويبكي على ترنيم أعـوادي

تسـتـقـبل الصـوت مني كل جارحة

أمـسي وأصـبـح في آثار أعـيـادي!

* * *

نظرت في النفس، في روحي وسالفتي

وفي ضـمـيـري، وفي بعدي وأبعادي

في غربتي، في جهادي في مطارحتي

شـتى الهـمـوم، وفي مَدّي وإمـدادي

في شقوتي في سبيل الحق مشتملا

عين اليـقين، وعـينا فـوق أنجـادي

في بسـمـتي في فم الطوفان منتـعلا

شـجـاعـتي في تبـاريحي وآسـاد

في دربتي في دروب الوهم منتجـعـا

كل العطاءات في العليـاء روادي!

ألقى السـلام على الدنيـا وأسـألهـا

سؤل الحمامة؟ سؤل الطائر الشادي؟

في الحلقة السابقة من هذه الدراسة القيمة تحدث الاستاذ الدكتور/ مصطفى عبد الواحد عن المذاهب النقدية المستحدثة الوافدة إلينا من الغرب، وبخاصة ما عرف بـ (النقد البنيوى)، إذ تناوله ادباؤنا ونقادنا بعد تجاوزه الزمن عند أهله ومخترعيه.

ومحاولة تطبيق مفرداته على ابداعنا العربي، فيه الكثير من التجاوز، لان ذلك النقد قد انشأته بيئة غير بيئتنا، وثقافة غير ثقافتنا، بل هي متعارضة معنا في كثير من المعطيات.

وفي هذه الحلقة يواصل الحديث في عناوين تتبع ما سبق.

- المنهل -



خطر التعقيد وفقد التواصل :

هناك خطر شديد ينشأ عن هذه الاتباعية المنساقة بلا وعي ولا قدرة على المراجعة والانتقاء والانتقاد.. وهو تحول النقد الى مصطلحات وإجراءات معقدة يستأثر بها البعض ولا تفهم عند الكثرة الكاثرة من جمهور المتذوقين.

ونظرة واحدة الى قائمة المصطلحات التى يكثر تكرارها لدى أتباع نظريات النقد الجديد تدل على ما أصاب النقد من غموض فقد به بديهة المعرفة ولذة التذوق ووضوح الرؤية.. فكلهم يرددون مصطلحات دي سوسير اللغوية ومصطلحات «بيرس» السيميائية ومصطلحات «بارت» وشتراوس وتشومسكي وجاكوبسن ودريدا وأمثالهم من نجوم البنيوية والسيميائية والتشريحية والتفكيكية وغيرها من المقولات التى تسحر ألباب الأتباع المبهورين في عالمنا العربي.

وحتى تكون دعوانا قائمة على الوقائع الملموسة فإنا نورد بعض الأمثلة لما ينشر على الناس من اجراءات النقد الاتباعي الجديد وتحليلاته.

فهؤلاء الاتباعيون يفخرون بما حفظوا من



د. مصطفى عبدالواحد

جامعة أم القرى - مكة المكرمة

مصطلحات نقدية جديدة ويزعمون أن بإمكانهم الكشف عن آفاق النص بما لم يستطعه الأوائل!

يذكر أحدهم رأى الباقلاني في بيت امرىء القيس:

ويوماً على ظهر الكثيب تعذرت
عليّ وآلتْ حلْفَة لم تحلّل

حيث قال: «لا فائدة لذكره لنا أن حبيبته تمنعت عليه يوماً بموضع يسميه ويصفه»، ثم علق الناقد الاتباعي على رأي الباقلاني بقوله: «إن ما أزعج الباقلاني هو أنه أصيب بالعمى أمام البيت لأن وسائله النقدية لا تؤهله لتحليله»[١].

نعم .. الباقلاني مصاب بالعمى أمام النصوص لأنه لم يكن يملك ما امتلكه البنيويون والسيميائيون والتفكيكيون وأشباههم من الذين يقفون أمام البيت الواحد فيكتبون عنه صفحات مطولة لا يفهمها أحد سواهم.. صفحات حافلة بالرسوم والجداول والإحصائيات.. وتعجب قائلا: كل هذا أمام بيت واحد.. فما بالك بالوقوف أمام القصائد المطولة.

فانظر كيف يحلل هؤلاء النصوص .. وكيف يستعرضون مصطلحاتهم الغريبة وإجراءاتهم العقيمة التى لا تنتج كشفاً عن حقيقة ولا تذوقاً لجمال.

كتب الناقد المغربي الدكتور/ عبد الرحمن بو علي الأستاذ بكلية الآداب بجامعة محمد الأول بالمغرب مقالا - في العدد الأول من مجلة العرب والفكر العالمي الصادرة في شتاء ١٩٨٨م عن مركز الإنماء القومي ببيروت - عنوانه: «النص الشعري» بدأه بذكر ملامح المنهج السيميائي والسوسيولوجي حيث عرفنا أن المنهج السيميوطيقي يرتبط باسم عالم مشهور جدا - كما يقول - هو «شارل سندرس بيرس» المولود عام ١٨٣٩م والمتوفى عام ١٩١٤م وشهرته تأتي من كونه متعدد الاختصاصات فهو مختص في علم الفلك وفي علم الأرض.. وهو أيضاً فيلسوف له عناية بفلسفة الذرائعية وهو أيضاً فيزيائي قام ببحوث جريئة حول حساب الجاذبية. وقد ذكر الكاتب بعض المصطلحات السيميوطيقية والسوسيولوجية ثم انتقل الى التطبيق على نص شعري لأحد الشعراء المغاربة المعاصرين.

وقد أخبرنا أنه سيتبع في تحليله للنص العناصر التالية:

١ - النص بين الدلالية والتواصلية.
٢ - تقطيع النص.
٣ - المستوى التركيبي في النص.
٤ - التحليل السيمي - السيميائي - للمكون السردي.
٥ - الخطابة السردية.
٦ - النص في ضوء التحليل السوسيولوجي.

أما النص الذي ستجرى عليه كل هذه الإجراءات المهولة فهو لشاعر اتباعي يسمى أحمد بليداوي بعنوان: المظاهرة، وفيه يقول:

الشارع خاو وبذىء.
١ - بسماء الشارع قرص الشمس ردىء
ليس يساوى أكثر من عشر فرنكات!
وثلاث سحابات عانسة تسقط مستسلمة
في الجيب الأول للسروال !
٢ - سيارة «فورد» تنبطح بشكل فاشي مثل سحاقية

قطرة ظل آسنة تتدحرج
فوق المقعد.
عبرت عينٌ قبعتي شزرا
ثم التصقت بجناح سنونو
وعيون أخرى خلف الباب
تترقب أن تعبر من ثقب
المفتاح
٣ ـ ردف مذعور في
الخمسين لرئيس المجلس.
يلتفت إليّ وقد أومأت
بصمتي بصهيلي وبمنقاري
لزجاج المدخل.
الردف المذعور تقزز
مندهشا من صورته في
واجهة البلدية تمضغ علكة.
٤ ـ تباً للشمس إذ لا
تملك أن تدفىء ردفاً في
الخمسين لرئيس المجلس.
مع ذلك يوجد تحت
الشمس جديدا!».

هذا هو النص الخطير الذي جرب فيه أستاذ النقد الجديد كل أسلحته وأجرى عليه هذه العمليات المعقدة ليكشف عما فيه.

ولو كان الأمر للبديهة لقلت إن هذا لغو فارغ وهوس لا وعي معه.. وكلمات مرصوصة ليس وراءها فكرة ولا تجربة.

ولكن هؤلاء المجددين يعرفون مالا نعرف.. وهم ليسوا كالباقلاني الذي اتهمه بعدم امتلاك الوسائل التى تمكنه من تحليل النصوص.

**** عند الحداثيين تحول النقد الى مصطلحات معقدة لا تفهم عند الكثرة الكاثرة من جمهور المتذوقين.**

يقول الناقد وأستاذ النقد الدكتور عبد الرحمن بو علي تحت عنوان «النص بين الدلالية والتواصلية»:

«يتشكل النص الشعري لأحمد بليداوي من علامات عرفية، وكما هو معروف فإن بليداوي في ديوانيه الصادرين قبل هذا النص (سبحانك يا بلدي) ـ لاحظ الجرأة المذمومة في تحريف الكلمات الإسلامية فالتسبيح لله وحده وليس لبلد ولا لشخص ـ و(حدثنا مسلوخ الفقروردي).

وفي النص المختار هنا «المظاهرة» يكسر خطية العلامات العرفية بإعطائها شكل علامات وصفية، ولكن بالرغم من ذلك فإنه لا يتجاوز ذلك الى إعطاء شكل للنص الشعري، بحيث يصبح هذا النص كله علامات فردية تحيل إليه.. وقد نقول عن نص المظاهرة: إن الشكل الخارجي رسم بقصدية إظهاره. فالسطور في عدم انتظامها عمودياً تظهر وكأنها سطور متموجة ولعل لهذا علاقة بالمعنى الذى يفيده النص الشعري.

لنقم بفحص أولي للنص الذي أثبتناه آنفاً ولكن كموضوع مباشر ويجب أن ننظر إليه بغض النظر عن كل معرفة يمكن أن توجه أو تحرف تحليلنا. معنى ذلك أننا سننسى حاليا أنه نص الشاعر أحمد بليداوي وأن له موضوعاً خارجياً بالنسبة لنا وبالنسبة لأي مؤول مباشر فإن النص موضوع وحيد وقائم الذات وهو بتعبير «رولان بارت»: «لذة فقط»!

ولا نستطيع أن نمضي في نقل هذا التحليل الثقيل المتكلّف الذي ملأ صفحات عدة.. لكننا نقف أمام هذا التقليد الأعمى وهذا الالتزام الحرفي بكل ما يقوله أئمتهم الذين امتلكوا قلوبهم وعقولهم.. فما

معنى أن تتناسى أن هذا النص لفلان.. وما فائدة هذا التناسي الأحمق؟

لقد قالوا لهم إن المؤلف يجب أن يموت ويختفي.. وأن النص ملك لقارئه وليس لكاتبه فانصاعوا لهذه المقولات دون مناقشة ولا تأمل.

إنني حين أقرأ شعراً للمتنبي أربط بينه وبين شخصيته وعصره وأفهمه على هذا الأساس.. وكذلك سائر الشعراء.. وما بال هؤلاء النقاد يحرصون على إبراز أسمائهم ونسبة أعمالهم إليهم.. ولا يميتون أنفسهم كما يميتون أصحاب النصوص عند تحليلها؟!

وعندما يطبق الناقد منهج السيميوطيقا كنظام للقراءة على هذا النص - الذي لا يستحق أن يسمى نصاً - يرى أن السيميوطيقا تتيح لنا تحليل البنية الشكلية لهذا الموضوع المباشر وذلك بمساعدة علم النحو وعلم المنطق. وإذا أخذنا عنوان النص «المظاهرة» نفهم منه أنه اسم ملفوظ خارج سياق الجملة ونفهم أنه يؤدي وظيفة علامتين، فهو من جهة أولى علامة عرفية، أي ينتمي الى نسق العلامات اللغوية وهو من جهة أخرى علامة قرينية أي أنه يحيل الى موضوع. أما إذا نظرنا الى العلامات اللغوية الواردة في النص في استقلال عن وظيفتها داخل النص فسيكون بإمكاننا أن نستخرج بنيتها الشكلية فالتحليل السيميوطيقي يسعفنا في استخلاص قيمة العلامات، والتحليل عن طريق المنطق يظهر لنا توزيعها بواسطة خطوط عمودية تفصل المركبات الاسمية عن المركبات الفعلية[٢].

هل فهمت شيئاً أخي القارئ - من هذه التهويلات والتخبيلات.. علامات ووظائف وخطوط عمودية.. كأنما نحن أمام مسائل رياضية أو ألغاز تبحث عن الحل.. فإذا أردت أن تشعر بالغربة عن الناقد وتفقد التواصل معه فاستمع الى قوله:

«ونحن إذا تتبعنا النص الشعري علامة علامة فإننا سنجد أن القرائن هي العلامات الغالبة وتأتي بعدها العلامات العرفية وأن ما نسميه في السيميوطيقا بالعلامات الأيقونية - لاحظ التسمية المسيحية - أي العلامات التى تشبه الموضوع الممثلة له - هي أشبه ما تكون منعدمة في النص، ومعنى ذلك أو نتيجة له فإن مجموع القرائن لها علاقة بالمؤول الدينامي الذي ينبغي أن يستنجد بالمؤرخ واللغوي الدلالي والسوسيولوجي»[٣].

ويمضي قائلا: «الى حد الآن حاولنا ونحن نقارب النص أن نتظاهر بأننا لم نفهم النص، وبعبارة أخرى فإننا لم نستنجد بالمؤول النهائي لأن المؤول الدينامي هو الذي سيفسر لنا ما يفهم من «الشارع الخاوي والبذيء» و«قرص الشمس الرديء» و«السحابات العانسة».

ومن الأنا المتكلمة في الخطاب الشعري داخل النص».

وهكذا نجد أنفسنا

**** الاتباعيون، حولوا النقد الى جداول واحصاءات ورسوم بيانية.**

وسط أمواج متلاطمة من الاصطلاحات الغامضة والتعبيرات التعسفية التي لا يفهمها إلا قائلها.. ونجد أنفسنا في حيرة سببتها لنا نزعة التقليد الأعمى والتطبيق الحرفي لقواعد وأسس غريبة عن فكرنا وثقافتنا وأدبنا.

فإذا شئت أن تدرك عقم هذه المناهج الوافدة وعدم غنائها في الكشف عن حقيقة النص - وإن هولت علينا بهذه الإجراءات والعناوين الضخمة - فاستمع الى قول هذا الناقد عن هذه القصيدة اللامعقولة العابثة في ضوء التحليل السوسيولوجي - أو الاجتماعي بلغتنا العربية، إنه يقول:

«مثل أن نتابع تحليل هذا النص الشعري من زاوية النظر السوسيولوجية - أي باعتباره كلية متجانسة العناصر، أو بنية دلالية حسب اصطلاح «جولدمان» نجد أنفسنا مطوقين بعدة محاذير يجب التنبيه إليها ومنها:

١ - أن هذا النص الشعري ليس إلا جزءاً من إنتاج الشاعر فهو لا يملك الكفاية اللازمة للتحليل ولو كان الأمر يتعلق بالإنتاج الشعري للشاعر لأمكن ذلك.

٢ - أن هذا النص لا يعبر بشكل دقيق عن الوعي بنوعية القائم والممكن وإن كان يُخفي في التعارض بين المقاطع الثلاثة الأولى مقاطع الإطار والمقطع الرابع والأخير مقطع إعادة التوازن نوعاً جنينياً من الوعي يمكن تسميته «الوعي الجدلي» هذا الوعي الذى يعطي القصيدة دلالة خاصة هي الدلالة المعبر عنها ضمنياً بالتجاوز أي تجاوز الإطار.

٣ - أن المنهج السوسيولوجي لا ينظر الى الإنتاج الأدبي إلا بوصفه جزءاً من بنية الإنتاج الثقافي ولا ينظر الى هذه الأخيرة إلا بوصفها جزءاً من بنية أخرى أشمل هي: بنية الواقع الاجتماعي، وهذه النظرة تستلزم الانتقال الدائم للناقد أو المحلل من البنية الأدبية الى البنية الاجتماعية ومن هذه الأخيرة الى البنية الأدبية».

**** النص عند البنيويين ملك القارىء، لا يرتبط بقائله وما يحيط به من بيئة وعلاقات.**

وهكذا، شغلنا هذا الناقد بهذه المصطلحات بدون أن ننال ثمرة من عناء هذه الإجراءات.

إنهم يريدون للنقد أن يتحول الى صناعة خاصة لا يجيدها إلا أفراد قلائل ولا يفهمها أحد.. وهم يتلذذون بأمارات الدهشة تبدو على ملامح قرّاء هذه الألغاز وعجزهم عن فهم هذه التعقيدات الكلامية.

وانظر الى هذا العنت في استنطاق الألفاظ في قول هذا الناقد: «لنأخذ الجملة التالية: (وثلاث سحابات عانسة تسقط مستسلمة في الجيب الأيمن» لا نستطيع أن نفهم هذه الجملة الشعرية - لاحظ هذه التسمية العجيبة - إلا إذا أوضحنا السمات المتضمنة في «المعجمانيات»: ثلاث - سحابات - عانسة - مستسلمة - الجيب الأيمن - ونعتقد أن هذه المعجمانيات (أو العلامات في التحليل السيميوطيقي) توضح لنا المعاني المتقصدة فيها. فثلاث عدد يشير الى القلة وله حمولة

دينية (لعله يريد عقيدة التثليث المسيحية) والسحابات غيوم من مميزاتها كظواهر طبيعية أنها سبب المطر، لكن الشاعر لا يحيلها كذلك وإنما يضيف الى العلامة الأولى «السحابات» علامة ثانية تفيد العقم وهي العلامة المعرفية «عانسة» فالمرأة العانس هي التى تبقى بدون زواج وبالتالي بدون إنجاب، والعلاقة بين المرأة العانس والسحابة العانس هي في النتيجة لأن الأولى لا تنجب الأطفال والثانية لا تنجب المطر. إذن هناك تعارض أولي وهو التعارض الذي نسجله بين السحابات وصفة العنوسة وهو تعارض يبرز كتناقض داخل الجملة نفسها. وهذا التناقض يسري على النص الشعري كله»[٤].

أليس هذا تحكما وتعسفا يفرض فيه الناقد فهمه للنص على الآخرين دون أن تسعف اللغة أو العلاقات بين الألفاظ والمعاني عليه. فمن قال: إن العانس مرادف للعاقر. أو أنها نقيض للولود؟ العانس تناقض ذات الزوج ولا يلزم أن تكون ذات الزوج ولوداً.. فالمرأة بعد أن تتزوج إما أن ترزق الولد وإما أن تكون عاقراً.

لكن الناقد يجبرنا على قبول مراده من هذه اللفظة ليتم له تحقيق الثنائيات الضدية التى أولع بها هؤلاء المقلدون. أما الحمولة الدينية للفظ «ثلاث» فما أراها ترد على خاطر مسلم.. فليس في الإسلام تثليث.. بل هو دين التوحيد الخالص. هذا ولم يف الناقد بوعده أن يوضح لنا «السمات المعجمانية» لكلمات «مستسلمة» و«الجيب والأيمن».. ولعله لم يجد تجاهها تبريراً يحقق له علاقة التعارض في هذه الجملة الشعرية كما يسميها.

إنه لا مكان في التحليل «السيميوطيقي» لمصطلحاتنا النقدية الناصعة.. كالكناية والاستعارة والتشبيه.. فتلك بضاعة كاسدة لدى هؤلاء النقاد الاتباعيين.

ولو طبقنا هذه المصطلحات العربية لوجدنا الأمر يسيراً، فالسحابات تعد استعارة تصريحية ينبغي أن نبحث عن طرفها الأول المحذوف وهو المشبه. والعانسة استعارة مكنية حيث شبه السحابة غير المرغوبة - بالفتاة العانس التى لا تجد لها خاطباً. وهكذا يمكن تفسير كل هذه الألفاظ بتطبيق هذه المعايير العربية.. وهي كفيلة بأن تمدنا بالتصور الواضح لمراد الشاعر.. وللأفق الذي تتحرك فيه قصيدته - مع أنني أضن بمعاييرنا العربية المشرقة بأن تطبق على مثل هذا الهذر السخيف واللغو الجنوني الذي لا معنى له ولا هدف.

- للدراسة صلة -

** النقاد الاتباعيون يتلذذون بأمارات الدهشة تبدو على ملامح قراء هذه الالغاز.

الهوامش :

(١) الأدب والغرابة لعبد الفتاح كيليطو ص ٢٤.

(٢) العرب والفكر العالمي ص ٨٤.

(٣) المصدر السابق ص ٨٥.

(٤) المصدر السابق ص ٨٨.

مقابسات التوحيدي: نُقُول وليست إبداعا

هذه الحلقة السابعة/ الأخيرة من هذه الدراسة القيمة، التى عمد الأستاذ الدكتور/ محمد عمارة الى ان يضع (التوحيدي) في موضعه الحقيقى اللائق به في مساراته الفكرية والعلمية والفلسفية.. اذ استطاع في خلال هذه الدراسة ان يجيب عن الاسئلة التى قد ترد في ذهن الدارس للتوحيدي مثل: هل كان التوحيدى فيلسوفا..؟ هل كان متصوفا..؟ هل كان مبدعا..؟ هل أحرق كتبه.. مقابسات التوحيدي هل هي نقول أم ابداع..؟!

ومن خلال اجاباته على هذه التساؤلات أوضح ما وقع فيه بعض الدارسين - قدماء ومحدثين - من أوهام وأخطاء.. إذ نسب له بعضهم ما لم يقله من أفكار وآراء.. وبعضهم الآخر لم يرد ان يسجل للتوحيدي جملة ابداع.

والمنهل وقراؤها إذ يشكرون الأستاذ الدكتور/ عمارة على هذا التواصل العلمي الدقيق الموثق يرجون دوام تواصله القلمي.. وهذا أملنا جميعا.

- المنهل -

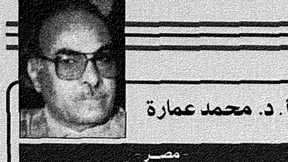
لقد رأينا، في الحلقة السابقة من هذه الدراسة - عن أبي حيان التوحيدي (٣١٠ - ٤١٤هـ/ ٩٢٢ - ١٠٢٣م) كيف ان الرجل كان، في الأساس «راوية» و«ناسخ مخطوطات» أكثر منه مبدعا.. وكيف أن تسعة أعشار كتابه (الإمتاع والمؤانسة) - وهو عمدة كتبه - إنما هى نُقُول وروايات واختيارات.

ويزيد من صدق هذا التقويم لمكانة التوحيدى في ميدان الابداع والابتكار، أن فن (المقابسات) الذى برع فيه، كان كله أيضا من هذا القبيل.

فكتابه (المقابسات) هو مقابسات فلسفية، جمعها التوحيدى، الذى يعترف هو نفسه بأنه لا علاقة له بهذا الفن!... إذ هي - بعبارته - «تصنيف أشياء من الفلسفة، رويتها.. عن مشائخ العصر الذى أدركته والزمان الذى لحقتهم فيه.. أقبلتُ أتألَّف ما شرد منها، وأنظم ما انتثر منها، وأرقّع بجهدى وطاقتى شملها، وأحلّي بوسعى عطلها[١].. والفلسفة موقوفة على أصحابها، لا نزاحمهم عليها، ولا نماريهم فيها»[٢].

وإذا كانت «الدراسة الميدانية» هي الشاهد المادى على صدق هذا الذى نقول، فإن صفحات المقابسات لا تعدو أن تكون نقولا منسوبة الى أصحابها، رواها ودونها أبو حيان.

ففي المقابسة الأولى: «سمعتُ أبا سليمان المنطقي يقول..» وفي الثانية: «هذه المقابسة دارت في مجلس أبي سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني.. فاستخلصتها جهدي.. وهذا آخر ما نقلنا من حكاية هذه المقابسة..».. وفي الثالثة «جرى عند ابن سعدان يوما كلام في الأخلاق، وحضر جماعة منهم.. فكان محصول ذلك.. وكان في كلامهم قشر كثير حصلت خالصه وزبدته..» وفي الرابعة



عشرة: «قال يحيى بن عدى، في درس البديهي عليه سنة إحدى وستين وثلاثمئة، وأنا حاضر.. ودخل أبو العلاء صاعد الكاتب، وانقطع الكلام، وفات أن نبلغ أقصى ما عنده..» وفي السادسة عشرة: «.. والله لقد تعبتُ في تحصيل ما قالوه، وخاطرتُ الآن برواية ما تقابسوه».. وفي التاسعة عشرة: «هذا ما خلص من هذا الاجتماع، أتيت به علي ما ألفيته..» وفي الخامسة والعشرين: «.. وكان كلام أبى سليمان أكثر من هذا، ولكن الى هاهنا بلغ حفظي، وانتهى تتبعي..».. وفي الثالثة والثلاثين: «.. وأطال إطالة شذر بها عنى أكثر قوله..» .. وفي الرابعة والعشرين: «سألنى أبو سليمان يوما عن الطبيعة، وكيف هي عند أهل النحو واللغة، أهي فعيلة بمعنى فاعلة؟ أو بمعنى مفعولة؟ فقلت أكره أن أرتجل الجواب.

وأنا أسأل شيخنا أبا سعيد السيرافي.. فهو اليوم عالم العالم، وشيخ الدنيا، ومقنع أهل الأرض.. فسألت أبا سعيد، فقال..».. وفي الرابعة والثلاثين: «ومحصولى من ذلك ما سمعته الآن..» .. وفي الخامسة والثلاثين: «واطال - أبو سليمان السجستانى - في هذا الفصل، وعلقت من جميعه قدر ما قررته في هذا المكان».. وفي المقابسة الأربعين: «قال أبو زكريا الصيمرى.. وكان كلامه أطول من هذا وأشفى، وهذا حاصل منه..» وفي الحادية والأربعين: «.. وإنما عزوت ذلك كله الى هؤلاء الأعلام.. من غير أن أستبد بشيء عليهم، إلا بما لا بال به».. وفي الرابعة والأربعين: «رأيت أفاضل من الفلاسفة.. وقد اقتبست منهم ما رسمته في هذا المكان».. وفي الخامسة والاربعين: «فرأيت أبا سليمان في المنام، فسألته عن الحال التى قد شغلتني، فقال في الجواب قولا متقطعا، التأم من جملته في اليقظه ما أنا راسمه وحاكيه في هذا الموضع.. قال».. وفي المقابسة الخمسين: «سئل أبو سليمان عن الكهانة.. فتصرف في الجواب.. ومقدار الحاصل منه اثبته في هذا الموضع، خوفا من أن يذهب نسيانا».. وفي الخامسة والستين: «هذه مقابسة نذكر فيها نوادر سمعناها في الفلسفة العالية من أبى سليمان».. وفي السادسة والستين: «.. ونذكر في هذه المقابسة حكما سمعناهامن الحرانى أبي الحسن وغيره».. وفي الثامنة والستين: «هذا آخر ما فهمناه عن أبى سليمان في هذا الفصل».. وفي المقابسة السبعين: «وتكلم أبو سليمان في التوحيد بكلام طال ودق.. وصفيتُ هذا المقدار، بعد استفهام كثير، ومراجعة شديدة، لأن الإشارة غامضة، والإيماء خفي..» وفي المقابسات الثالثة والسبعين والرابعة والسبعين والثامنة والسبعين والتاسعة والسبعين: «وأملى عليّ أبو سليمان فقال..» .. وفي الثانية والثمانين: «.. وأملى أبو سليمان على جماعة كنت أحدهم سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة».. وفى التاسعة والثمانين: «نذكر في هذه المقابسة أشياء سمعناها من أبى سليمان في مجالس الأنس، إن لم تكن من صدر الفلسفة، فإنها لا تخرج من جملتها».. وفي المقابسة التسعين: «هذه مقابسة تشتمل على كلمات شريفة، من كلام أبى الحسن العامرى، علقت وسمعت أكثرها منه، وهي التى مرت في شرحه لكتابه الموسوم بالنسك

العقلى..» .. وفي الحادية والتسعين: «ليس لي في جميع فنون هذه المقابسة إلا حظ الرواية عن هؤلاء الشيوخ..» .. وفي السابعة والتسعين: «هذه مقابسة قد أفدناها من مواضع مختلفة في أعيان كلام الأوائل، بالترجمة المنقولة إليها»..

وفي المقابسة الواحدة بعد المائة: «إنما يبعثني على رواية كل ما سمعته من هؤلاء الجلة الأفاضل، عشقى لهم، وحمدى لله تعالى على ما أتاح منهم».. الخ.. الخ.

فالتوحيدى ـ في طول المقابسات ـ راوية، يدون ما يسمع أو يُملّى عليه.. ومن الظلم للفلاسفة الذين سمع منهم أو نقل عنهم، أن ننسب له هذه الأفكار.. ومن الظلم له أن نحسب على عقيدته ما في المقابسات من نظريات ونظرات وآراء.

**** من الظلم على التوحيدي ان نحسب على عقيدته ما في المقابسات من نظريات وآراء..**

وكتاب الصداقة والصديق:

الذى تقترب صفحاته ـ المطبوعة ـ من الخمسمائة صفحة، جميعه نُقُولٌ ومأثورات اختارها التوحيدى ورواها وألف بينها ـ من المنظوم والمنثور ـ ويندر أن نجد له في هذا الكتاب بضعة أسطر، يسأل فيها سؤالا أو يعلق بها على بعض هذه المأثورات.. وهو ذاته يقرر لنا هذه الحقيقة في مقدمته لهذا الكتاب.. فهي مأثورات «جمعها ممن تقدم» من الشعراء والأدباء والفلاسفة والعلماء، بناء على طلب الوزير ابن سعدان ـ قبل ان يلى الوزارة ـ يقول التوحيدى في تقرير هذه الحقيقة: «وكان سبب إنشاء هذه الرسالة في (الصداقة ـ والصديق) أنى ذكرت شيئا منها لزيد بن رفاعة ابى الخير، فنماه الى ابن سعدان الوزير ابى عبد الله.. قبل تحمله أعباء الدولة.. فقال لى ابن سعدان: «دون هذا الكلام وصله بصلاته مما يصح عندك لمن تقدم.. فجمعت ما في هذه الرسالة»[٣].

ولذلك فإن فقرات هذا الكتاب جميعها مسبوقة بهذه العبارات: أنبأنا.. وسمعت.. وقال.. وحدثنى.. وكتب.. وكتب آخر.. وقال فيلسوف.. وقيل لفيلسوف.. فقال.. وحكى.. وسئل.. فقال.. وروى.. وقرأت لـ.. وكتب.. الى صديق له.. وقال كاتب.. وقال شاعر.. وقال آخر.. وقال بعض السلف.. وقال أعرابي.. وقالت أعرابية.. وقال رجل لعمر بن الخطاب ـ وقال الراجز.. وقد ورد.. وأخبرنا.. وحدثنا.. والعرب تقول.. وقال.. في رسالة أفادناها.. وذكر أعرابى.. وقيل لأعرابى.. فقال.. وأنشدنا.. وأنشدنى منشد.. وحُدِّثْتُ أن رجلا قال.. وقال بعض المتقدمين.. ووقع الى رجل.. وقال كاتب.. ولكاتب.. وقال حكيم.. وقال شاعر قديم.. وقلت لأبى سليمان.. فقال: وكان كلامه أكثر من هذا، لكنى أوجزته، لأن الرسالة قد طالت، وأخاف

أن تملّ عند القراءة، وينسب وضعها الى سوء الاختيار.. وأروي ها هنا ذراوة (نتفا متفرقة) من كلام أرباب الحذق والخَرَق (الحمق) فإن فيه فائدة حسنة لا أرى الإضراب عنه ولا الإخلال به.. ورويت هذا الخبر (عن ابن عباد وأصحابه.. وابن العميد وأصحابه) على ما اتفق، وكنت أطلب له مكانا منذ زمان، فلم أجد إلا هذه الرسالة الآتية على حديث الصداقة والصديق».

هكذا تقوم صفحات كتاب (الصداقة والصديق) مثلها مثل صفحات (الإمتاع والمؤانسة) و(المقابسات) ونصوص التوحيدي في هذه الصفحات، شاهدة على أن الرجل إنما كان راوية وجامعا ومختارا ومحققا، أكثر منه مبدعا ومنشئا ومبتكرا.

ومن هنا تأتى غرابة أمر دارسيه الذين لم ينتبهوا الى هذه الحقيقة، فساروا على منوال كتاب التراجم القدماء، فأضفوا عليه صفات «الفلسفة» و«الكلام» وعقدوا له لواء الإمامة في الفنون التى كان راوية لأفكار ومأثورات علمائها، بل وقالوا عنه إنه «فرد الدنيا الذى لا نظير له».

وإذا شئنا أمثلة على الأخطاء، التى ما كانت لتصح أو تجوز من دارسيه المعاصرين، والتى نشأت عن حملهم الروايات على «الراوى» بدلا من المروى عنه، والمأثورات على «الناقل» بدلا من مبدع هذه المأثورات، فإننا نشير الى نماذج شاهدة على هذه الأخطاء:

١ ـ لقد نسب الدكتور ابراهيم الكيلانى الى أبى حيان رأيا في المقارنة بين المتكلمين والفلاسفة.. وساق على ذلك شاهدا من كتاب (المقابسات) يقول: إن «طريقة المتكلمين مؤسسة على مكايلة اللفظ باللفظ، وموازنة الشيء بالشيء، إما بشهادة من العقل مدخولة، وإما بغير شهادة منه البتة».

فإذا عدنا الى المصدر ـ كتاب (المقابسات) ـ وجدنا سياق النص على النحو التالي:

«قلتُ (أى التوحيدى) لأبى سليمان: ما الفرق بين طريقة المتكلمين وبين طريقة الفلاسفة؟

فقال (أى أبو سليمان السجستانى): طريقتهم مؤسسة على مكايلة اللفظ باللفظ[٤]... الخ.. الخ».

فالكلام والرأى والموقف هو لأبى سليمان السجستانى ـ الذى كان فيلسوفا، ناقدا لمناهج المتكلمين ـ وليس للتوحيدى، الذى لم يكن متكلما ولا فيلسوفا!.

٢ ـ وناشر كتاب (الصداقة والصديق) يقول: «ولقد نبه أبو حيان على رأيه في الصداقة فقال: «لقد صحبت الناس أربعين سنة، فما رأيتهم غفروا لى ذنبا، ولا ستروا لى عيبا، ولا حفظوا لي غيبا، ولا أقالوا لي عثرة،

**** دارسو التوحيدي أعطوه ما لم يعطه هو لنفسه.. ونسبوا اليه من الآراء والأفكار ما لم يقلها.**

ولا رحموا لى عَبْرة، ولا قبلوا منى معذرة، ولا فكونى من أسر، ولا جبروا لي من كسر، ولا بذلوا لي من نصر[٥]».

فإذا رجعنا الى نص التوحيدى، نجده راويا لهذا النص عن «جميل بن مرة - في الزمان الأول» - عندما اعتزل الناس «وعوتب في ذلك، فقال: لقد صحبت الناس أربعين سنة.. الخ.. الخ[٦]».

فالقول لجميل بن مرة، وليس للتوحيدى.. والتوحيدى كان محققا في نسبة النصوص الى أصحابها أكثر من دارسيه المحدثين، الذين ندر من لم يستشهد بهذا النص على أنه من أقوال أبى حيان!!.

والغريب أن يقع في هذا الخطأ من يعلم أن كتاب (الصداقة والصديق) قد أتمه التوحيدى سنة ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م.. أى بعد صحبته للناس نحوا من تسعين عاما، وليس أربعين عاما، كما هى حال صاحب النص جميل بن مرة - الذى روى التوحيدى عنه هذه العبارات!!.

**** التوحيدي كان محققاً في نسبة النصوص الى أصحابها اكثر من دارسيه المحدثين.**

٢ - والدكتور عفيف البهنسي، يورد نصا من كتاب (الإمتاع والمؤانسة) مستشهدا به على تصور التوحيدى «للصورة الإلهية غير المشبهة».. فإذا عدنا الى المصدر، وجدنا هذا النص من روايات ابى حيان التى نقلها عن أبى سليمان السجستانى[٧].

ويورد نصا آخر من ذات الكتاب، مستشهدا به على تصور التوحيدى لـ «وصف الصورة الإلهية».. فإذا ما عدنا للمصدر، وجدنا هذا النص، هو الآخر لأبى سليمان السجستانى، وليس لأبى حيان[٨].

ويورد نصا ثالثا من ذات الكتاب، يجعل له عنوانا: «نموذج من أدب أبى حيان».. فإذا عدنا الى المصدر، وجدنا هذا النص من سماعيات التوحيدى واستنباطاته، وليس من إضافاته حتى يكون «نموذجا» لأدبه[٩]!!

تلك مجرد نماذج للأخطاء التى وقع فيها جمهرة دارسى أبى حيان التوحيدى، عندما غابت مناهج «الوعى والتحقيق» عن القراءة لمصنفاته ومؤلفاته.. وسار المعاصرون في النظر إليه وفي تقويمه وراء القدماء من كتاب التراجم والمؤرخين.

لكن.. ألا يمكن أن تعد «اختيارات» أبى حيان التى اختارها وألف بينها وصنفها - دون سواها - معبرة عن «موقف فكرى» - واختيار المرء قطعة من عقله - كما قال القدماء - فتدخل هذه «الاختيارات» في باب «الإبداع»، أو تقف على مقربة من بابه؟!.

إننا لا نميل الى الإجابة على هذا التساؤل بالإيجاب.. ذلك أن «الاختيار» إنما يكون «موقفا» إذا كان «استشهادا» يسوقه المستشهد به على صدق رأيه،

ويستدل به على موقفه وإبداعه وابتكاره.. وليس هذا هو حال التوحيدي في «الاختيار» فالرجل يروى وجهات النظر المختلفة على ألسنة اصحابها.. فيثبت نصوص المناظرة بين أنصار النحو العربي، المنحازين الى المنهاج الاسلامى، وبين أنصار المنطق الارسطى، المنحازين الى المنهاج اليوناني[١٠].. وهو يورد مقولات «إخوان الصفا» ـ الذين مزجوا الاسلام بالافلاطونية والغنوصية والإشراقية ـ وآراء المناطقة.. ومقولات فلاسفة اليونان، المشائين حينا، والافلاطونيين في كثير من الأحايين.. يورد كل ذلك منسوبا لأصحابه وقائليه، دون أن يكون صاحب موقف يستشهد عليه ويشهد له بهذه المرويات والاختيارات.

ومع ذلك، فنحن لا نجرد اختياراته كلية من تفضيلاته، فله في ثنايا الاختيارات أسئلة ـ والسؤال موقف أحيانا ـ وله تعليقات واستنباطات.. كما أن له، في كثير من الأحيان، جهدا كبيرا في الصياغات، وأسلوبا فنيا بديعا في رسم الصور للأفكار والمعقولات.. وهو محقق ينبه غالبا على ما هو «نقل» و«إملاء»، وعلى ما فيه «صياغة» ورواية بالمعنى لا بنص الألفاظ.

ولعل الإبداع المتميز لأبى حيان إنما يتجلى في موهبة *الفنان التى امتلكها*. ففي «*فنه الهجائي*» ـ وخاصة كتابه (مثالب الوزيرين) ـ عبقرية في رسم اللوحات التى تجسد المعانى السلبية والصفات القبيحة والحركات الهزلية التى ألصقها ـ أو اجتهد في الصاقها ـ باثنين من أعلام علماء تراثنا ـ الصاحب ابن عباد.. وأبى الفضل ابن العميد.

أما ما عدا ذلك من تآليفه وتصانيفه، فهو فيها، بالدرجة الأولى، جامع ومصنف.. له فضل الجمع والاختيار والتأليف والتصنيف والتدوين.. ومصادره هي «الوراقة» التى احترفها، ومجالس العلماء التى حضرها، فتصانيفه كنز لأفكار سمعها شفاهة فكان له فضل تدوينها وحفظها من الضياع.. وذخائر جمعها من كتب ضاع الكثير منها فيما ضاع من تراث المسلمين، وخاصة في دمار بغداد على يد التتار.

وهو في كل ما صنف وجمع وروى قد أقام للفكر بناء شامخا اجتهد في الجمع والاختيار للبناته، ومن النادر أن نجد في هذا البناء الشامخ حشوا لا علاقة له بصناعة الفكر، بل وعيون الأفكار، في عصر الازدهار الذى عاش في بحبوحته أبو حيان.. ذلك الذى شقى بخلقه هو، وليس بالعصر الذى عاش فيه!.

«انتهت الدراسة»

الهوامش :

(١) (المقابسات) ص ٥٤ ، ٥٦.

(٢) (الصداقة والصديق) ص ٥٦.

(٣) المصدر السابق. ص ٩ ، ١٠.

(٤) (المقابسات) ص ١٦٩.

(٥) مقدمة الناشر. ص ز.

(٦) (الصداقة والصديق) ص ١٠ ، ١١.

(٧) انظر (فلسفة الفن عند التوحيدى) ص ٩٣، ٩٤ وقارن بما في (الإمتاع والمؤانسة) جـ ٢ ص ١٣٤، ١٣٥.

(٨) انظر (فلسفة الفن عند التوحيدي) ص ٥٦ وقارن بما في (الإمتاع والمؤانسة) جـ ٣ ص ١٣٧.

(٩) انظر (فلسفة الفن عند التوحيدي) ص ٣٥، وقارن بما في (الإمتاع والمؤانسة) جـ ١ ص ٨٤، ٨٥.

(١٠) انظر نص المناظرة بين أبى سعيد السيرافى وبين أبى بشر مَتَّى بن يونس حول «نحو العربية ومنطق اليونان» في (الإمتاع والمؤانسة) جـ ١ ص ١٠٨ ـ ١٢٨.

الإعلام التقليدي في ظروف العولمة والمجتمع المعلوماتي

﴿يا أيها الناس، إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا. إن أكرمكم عند الله أتقاكم. إن الله عليم خبير﴾ (الحجرات/ ١٣).

غدا موضوع العولمة والمجتمع الإعلامي الشغل الشاغل لخبراء الاتصال، بعد أن أصبح الحاسب الآلي الشخصي (الكمبيوتر) المرتبط اليوم بشبكات المعلومات المحلية والإقليمية والدولية، يخزن وينقل وينشر المعرفة بكل أشكالها المقروءة والمسموعة والمرئية، ليحدث بذلك ثورة حقيقية داخل الأنظمة الإعلامية التقليدية، وأنظمة تراكم المعلومات والتعامل معها، واستعادتها.

وتساهم نظم وبرامج الحاسب الآلي الشخصي اليوم في تطوير عملية نقل المعرفة التقليدية داخل المجتمعات، بعد أن انتقلت تلك المجتمعات تدريجياً الى استخدام تقنيات الأنظمة المعلوماتية الإلكترونية الحديثة في مجالات العلوم والبحث العلمي والتعليم الى جانب فروع الأنشطة الإنسانية المختلفة. مما وفر فرصة كبيرة أمام الإنسان لرفع مستوى أدائه العلمي والمعرفي، وسهلت تلك الأنظمة عملية الحصول على المعارف المختلفة ودمجها وإعادة نشرها، وتسهيل استخدامها في عملية تفاعل دائمة ومستمرة.

وأصبح هذا الواقع الجديد بديلا للطرق والأساليب الإعلامية التقليدية، وبمثابة التحول من المألوف في أساليب وطرق التعليم التقليدية والإعداد المهني والمسلكي المتبعة حتى الآن في بعض الدول الأقل حظاً في العالم، إلى أساليب اكثر تطوراً وأكثر فاعلية من ذي قبل. وارتبط هذا التحول بظاهرة العولمة والتكامل المتنامية في النشاطات الإعلامية الضرورية واللازمة لتطور الثقافة والعلوم والتعليم والبحث العلمي، في إطار ما أصبح يعرف اليوم بالمجتمع المعلوماتي.

ومفهوم المجتمع المعلوماتي يعني حسب رأي العديدين من الباحثين والمتخصصين في شؤون الإعلام والاتصال عن بعد، أنه:

- المجتمع الذى تتاح فيه لكل فرد فرصة الحصول على معلومات موثقة من أي شكل ولون ومذهب واتجاه من أي دولة من دول العالم دون استثناء، عبر شبكات المعلومات الدولية، بغض النظر عن الفاصل الزمني والبعد الجغرافي وبأقصى سرعة وفي الوقت المناسب للمشارك في عملية التبادل الإعلامي.

- المجتمع الذي تتحقق فيه إمكانية الاتصال الفوري والكامل بين أي عضو من أعضاء المجتمع، وأي عضو آخر من المجتمع نفسه أو من المجتمعات الأخرى، أو مع، أو بين مجموعات محددة من السكان، أو مع المؤسسات والأجهزة الحكومية، أو الخاصة بغض النظر عن مكان وجود القائمين بعملية الاتصال والتبادل الإعلامي داخل الكرة الأرضية أو حتى خارجها في الفضاء الكوني.

- المجتمع الذي تتكامل فيه نشاطات وسائل الإعلام والاتصال الجماهيرية التقليدية، وتتسع فيه إمكانيات جمع وحفظ وإعداد ونشر المعلومات المقروءة والمسموعة والمرئية، من خلال التكامل مع شبكات الاتصال والمعلومات الإلكترونية الرقمية الدولية دائمة التطور والنمو والاتساع. والتي تشكل بالنتيجة وسطاً إعلامياً مرئياً ومسموعاً تنشر المعلومات فيه عبر قنوات تشمل من بين ما تشمل وسائل الإعلام والاتصال التقليدية وشبكات الاتصال والمعلومات المحلية والإقليمية والدولية.

- المجتمع الذى تختفي فيه الحدود الجغرافية والسياسية للدول التى تخترقها شبكات الاتصال والمعلومات، وهو الاختراق الذي يشكل تهديداً مباشراً وخطيراً لأمن وقوانين الدول، وللأعراف والتقاليد داخل المجتمعات المختلفة، وخاصة في الدول الأقل حظاً في التطور، والدول النامية بشكل عام[١].

وخطوات الانتقال إلى المجتمع المعلوماتي التى تقوم الكثير من دول العالم المتقدم فعلياً بإعداد أو تعد برامجها الخاصة لدخوله، من خلال ما تتخذه من خطوات عملية في هذا الاتجاه من أجل تحقيق

د. محمد البخاري

- اوزبكستان -

اضاءه

**** عربي سوري مقيم في أوزبكستان، يعمل مستشاراً لرئيس جامعة طشقند الحكومية للدراسات الشرقية في العلاقات الدولية، وأستاذاً لمادة التبادل الإعلامي الدولي بقسم العلاقات الدولية، والعلوم السياسية، والقانون/ كلية العلاقات الدولية والاقتصاد في الجامعة.**

مثل تلك البرامج في الواقع العملي. في الوقت الذي نرى فيه أن تلك الدول، والدول النامية والأقل حظا على حد سواء تنتظر من تطبيق تلك البرامج الوصول الى الأهداف التالية:

١ - رفع مستوى التكامل والحوار بين الهياكل الحكومية، والصناعية، ورجال الأعمال، والأفراد في المجتمع، بهدف تحقيق الاستخدام الأقصى لإمكانيات تقنيات المعلوماتية والاتصال الحديثة من أجل تطوير المجتمع اقتصادياً وتحقيق فرص العمل لكل الشرائح السكانية فيه.

٢ - تحديث وتوسيع وتقوية البنية التحتية لوسائل الإعلام والاتصال التقليدية ورفع مستوى فاعلية أدائها الوظيفي.

الحاسب الآلـــي تــطــويــر لعــمليــة نـــقـــل المعــرفــة داخـــــل المجتمعات.

٣ ـ الدفاع عن مصالح المجتمع، وحقوق الأفراد أثناء استخدامهم لتكنولوجيا تخزين ونقل المعلومات.

٤ ـ حماية موارد المعلومات المتوفرة في الشبكات المعلوماتية ، وتوسيع إمكانيات استخدام تكنولوجيا المعلوماتية والاتصال في كافة المجالات العلمية والتطبيقية للاقتصاد الوطني.

٥ ـ تشجيع وتعميم استخدام تكنولوجيا المعلوماتية والاتصال، وتعميم استخدام اساليب المعلوماتية الحديثة في الأجهزة الحكومية، قبل غيرها بغية تأمين حقوق المواطنين في تبادل المعلومات والحصول عليها من تلك الأجهزة.

٦ ـ تعميم استخدام تكنولوجيا المعلوماتية والاتصال على جميع الأنشطة الإنسانية، مثل: التعليم، والعمل، والمواصلات، وحماية البيئة، والصحة وغيرها من الأنشطة الإنسانية التى تهم المجتمع بأسره.

٧ ـ توفير إمكانيات المنافسة الحرة والشريفة في إطار المجتمع المعلوماتي.

٨ ـ تحسين ظروف وصول وتداول المعلومات التكنولوجية والتقنية والبيئية والاقتصادية والعلمية وغيرها من الموارد المعلوماتية عبر شبكات المعلومات والاتصال.

٩ ـ تطوير البحث العلمي، والبحوث التمهيدية في مجال تطوير تكنولوجيا وتقنيات المعلومات والاتصال.

١٠ ـ تنسيق الجهود الوطنية والقومية والإسلامية، والدولية أثناء وضع سياسة وطنية للانتقال إلى المجتمع المعلوماتي بما يضمن تحقيق المصالح الوطنية العليا، ومبادىء التعاون الدولي والاعتماد المتبادل بين الدول[٢].

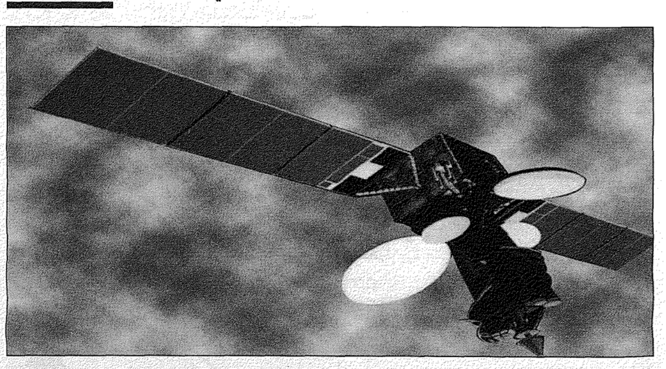
ومصاعب الانتقال الى المجتمع المعلوماتي تتطلب من الجهات المسؤولة في تلك الدول إعداد نظم للاتصال كفيلة بتوفير الموارد المعلوماتية الضرورية لتطور العلوم النظرية والتطبيقية في ظروف إصلاح النظم الإعلامية والمعلوماتية القائمة، وتلبي مصلحة التطور الاقتصادي والاجتماعي، وتحتم على تلك الدول أن يكون التصدي لهذه المشكلة من المهام الرئيسية للسياسة الحكومية وواجباتها لتلبية احتياجات نمو وتطور الاقتصاد الوطني. سيما وأن العنصر الرئيسي اللازم للأبحاث العلمية والاستفادة العملية من نتائجها، يبقى مرتبطاً بالكامل بأشكال وأساليب توفير المعلومات والحقائق العلمية الحديثة والمتطورة. أخذين بعين الاعتبار أهمية مؤشرات ونوعية الموارد المعلوماتيةالمتاحة لكوادر البحث العلمي في أي بلد من بلدان العالم. لأن أي قصور

في تأمين حاجة الباحثين العلميين من المعلومات الضرورية لمواضيع أبحاثهم العلمية سيؤدي حتماً ومن دون أدنى شك إلى تأخير تطور البحث العلمي، وبالتالي إلى تخلف حركة التطور العلمي والاقتصادي والثقافي والمعرفي في جميع فروع الاقتصاد الوطني.

وضرورة وضع ضوابط وخطط شاملة للانتقال الى المجتمع المعلوماتي تفرض إقامة نظام متكامل للموارد المعلوماتية وتوزيعها، وهذا يعنى إقامة شبكات اتصال إلكترونية تعتمد على الحاسبات الإلكترونية الشخصية، تستخدم مقاييس معينة متفق *عليها لإدخال واسترجاع وتبادل المعلومات* بشكل مدروس وممنهج، وإعادة توزيع تلك المعلومات على المستخدمين محلياً وإقليمياً وعالمياً. ومشروع كهذا يمكن أن يبدأ في إطار شبكة المؤسسات الحكومية التى يمكن أن تتكامل مع شبكات الموارد الإعلامية وبنوك المعلومات الكبرى داخل الدولة، وداخل دول الجوار الإقليمي، والشبكات العالمية، آخذين بعين الاعتبار مصالح الأمن الوطني والقومي والإسلامي والمصالح العليا للدولة في إطار هذا التكامل، وهو ما يسمى بالأمن الإعلامي أيضاً، والذي يمكن أن يأخذ الشكل التالي:

- الشبكات الإلكترونية المرتبطة بوزارة الإعلام والمؤسسات الإعلامية، أي *المشروع الوطني لبنوك* المعلومات.
- الشبكات الإلكترونية العلمية للمكتبات ومراكز المعلومات لمؤسسات التعليم قبل الجامعي، والتعليم

**** شبكة الانترنيت بقدر ما فيها من ايجابيات فهي تمثل اختراقاً خطيراً لمعتقدات وأعراف وتقاليد المجتمعات.**



العالي ومراكز البحث العلمي.

والتى بدورها يمكن أن تتكامل مع الشبكات الإلكترونية الإقليمية والدولية. والإنفاق على مثل تلك الشبكات يمكن توفيره من خلال التعاون المشترك وتضافر الجهود والإسهامات المالية المحلية والإقليمية والدولية للمعنيين بتنظيم تراكم ومعالجة وتداول تلك المعلومات.

والأهم من كل ذلك أن تنظيم البنية التحتية الأساسية للموارد المعلوماتية العلمية الوطنية، وتنظيم تكاملها الشبكي مع الموارد المعلوماتية الإقليمية والدولية لابد وأن يمر عبر قاعدة قانونية دقيقة تشمل حمايتها عن طريق تنظيم:

١ - الضوابط القانونية للملكية الفردية، وحقوق الملكية الفكرية الجماعية، التى تصبح في ظلها أية مادة إعلامية أو أي مصنف معلوماتي إلكتروني في الظروف التقنية الحديثة سهل السحب والنسخ.

**** مجتمع المعلومات يكفل حواراً متوازناً بين كل قطاعاته.**

٢ - الوضع القانوني للإصدارات الإعلامية الإلكترونية ونشرها.

٣ - الضوابط القانونية لضمان عدم مخالفة مضمون المصنفات الإعلامية الإلكترونية للقوانين النافذة.

٤ - الوضع القانوني للقائمين على تقديم وتقييم الخدمات الإعلامية عبر شبكات المعلومات الإلكترونية المسموعة والمرئية.

٥ - الأوضاع القانونية والمالية لموزعي المعلومات، وخاصة المؤسسات المولة من ميزانية الدولة وغيرها من المؤسسات.

٦ - فاعلية الرقابة على تنفيذ مشاريع تنظيم البنية التحتية للموارد الإعلامية العلمية الوطنية، وتكاملها الشبكي الإقليمي والدولي.

٧ - ضوابط الوصول للمعلومات الإلكترونية عن نتائج الأبحاث العلمية الوطنية، وشروط الاستفادة من تلك النتائج خدمة للأوساط العلمية المحلية والإقليمية والدولية.

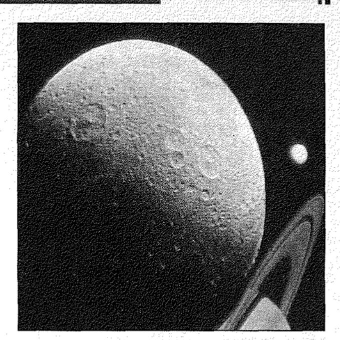
وتطوير البنى التحتية اللازمة للمجتمع المعلوماتي هي رهن بالسياسات الحكومية الرسمية، وأن عملية بناء المجتمع المعلوماتي هي عملية متكاملة، تحتاج لتكثيف جهود الجميع، ومختلف الاتجاهات العلمية. بعد أن طغت الثورة المعلوماتية على حياة الناس وغيرت من طبيعة حياتهم اليومية، ومست علاقة الفرد بذاته. وهي عكس الثورات التكنولوجية السابقة التى انطلقت من المادة والطاقة، فإنها جاءت بتغييرات جذرية جديدة نعيشها اليوم وتعرضت لمفاهيمنا عن الزمان والمكان، والأفق، والمسافة، والمعرفة[٣].

والعولمة والتكنولوجيا والمجتمع المعلوماتي هي نتاج واقعي لتطور المجتمع الإنساني، وتطور وسائل وتقنيات وتكنولوجيات المعلومات والإعلام والاتصال والاستشعار عن بعد، ووسائل نقل وتخزين المعلومات وكيفية التعامل معها واسترجاعها. وهو الأمر الذي سمح في نفس الوقت باحداث نقلة نوعية وتغيير في الأدوار التى أصبحت تؤديها وسائل الإعلام التقليدية في المجتمع بعد حلول عصر العولمة الإعلامية، وانتقالها من دور تقديم الخدمات الإعلامية للمجتمع، الى دور المشارك الفعال في الشبكة الكثيفة متعددة الأطراف، التى تشبه اليوم الى حد ما نسيج خيوط العنكبوت، يتصل من خلالها ويتفاعل مع غيره عبر اتصال كثيف مستمر وتبادل معلوماتي مباشر بين ملايين البشر على الكرة الأرضية، دون أية عوائق أو قيود تذكر، في مجتمع أصبح يطلق عليه تسمية «المجتمع المعلوماتي» المتشابك بواسطة شبكات الحاسبات الإلكترونية الشخصية المنتشرة في كل أرجاء العالم. والتى في ظل المجتمع المعلوماتي يجب أن تكون الأرضية التى ينطلق منها لتحقيق تطور هادف في وعي وحياة الإنسان، وتدعم مواقف جميع الشرائح الاجتماعية بكل اتجاهاتها مما يزيد من لحمتها، وإسهامها في تطوير المجتمع المعلوماتي بحد ذاته[٤].

وحتمية الثورة الاتصالية والمعلوماتية التى تعمل على تغيير معالم العالم بسرعة هائلة، وحتمية تلك التغييرات تجعلها في وضع لا مفر منه وشاملة، وتزداد سرعتها بشكل دائم ومضطرد. وتختلف نتائجها الاقتصادية، لأنها تجلب معها فوائد ليست أقل أهمية وفاعلية، بل هي مؤثرة على القيم الإنسانية من خلال فوائد الثورات الإنسانية السابقة في مختلف دول العالم ومن بينها الدول الأقل نموا والنامية أيضا. حتى أصبح مصطلح «المعلوماتية» يملك وقعا سحريا بالفعل، بعد أن أصبحت تكنولوجيا المعلومات والاتصال والإعلام الحديثة اليوم القوة المحركة الحقيقية والمتحكمة بالإقتصاد العالمي والتقدم التكنولوجي والعلمي في العالم بأسره، وأصبحت مصدرا هاما لمضاعفة المعارف والقيم الروحية الجديدة لدى الإنسان، الذي أصبح ينظر إليها بارتياب في الآونة الأخيرة، خاصة بعد توسع وانتشار مجالات استخدام المنجزات العلمية والتكنولوجية للقرن العشرين[٥].

**** التدفق الهائل للمعلومات عبر الفضاء الواسع الممتد استوجب ما عُرف بـ (الأمن الاعلامي) للدول.**

وتطور تكنولوجيا ووسائل الاتصال كقاعدة أساسية لتطور المجتمع منذ أواخر القرن التاسع عشر وحتى اليوم نتج عنه حقيقة أصبحت فيها أجهزة



الحاسب الإلكتروني الشخصية في بعض الدول كالولايات المتحدة الأمريكية تنتج وتباع أكثر من أجهزة الاستقبال التلفزيونية، وهو ما يؤكد ظاهرة انتشار أجهزة الاتصال الإلكترونية، وأجهزة الحاسب الإلكتروني على المستوى الشعبي في الدول المتطورة[٦].

والانتقال من الحاسب الإلكتروني الشخصي الى شبكات الاتصال المفتوحة الذى حدث خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين، أحدث تغييرات جوهرية في تكنولوجيا الحاسبات الإلكترونية، التى بدلت النظرة السائدة من استخدامها. بحيث أصبحت نظم الحاسب الآلي حتى عام ١٩٩٤م مفتوحة على بعضها، وأصبحت نظم إدارة المعلومات، ونظم معالجة النصوص، ونظم إدارة وتمرير المعلومات وحتى تقنيات نقل الصور المتحركة تستخدم كوسيلة عادية داخل آليات العمل في المؤسسات الحكومية والشركات والمؤسسات العامة والخاصة، وكوسيلة من وسائل نظم الإدارة والتنسيق والسيطرة والتوجيه والمتابعة فيها. وما أن حل عام ١٩٩٥م حتى تبدل الوضع من جديد وأصبحت نظم الحاسب الآلي المنفتحة تتغير بسرعة، وشملت مختلف دول العالم المتقدمة والنامية، ولكن بوتائر وبأشكال ومستويات مختلفة. وأصبح الاتجاه العام للتطور بذلك يتجه نحو الدمج والتوحيد، وخاصة بعد أن تم الاعتراف دولياً بشبكة المعلومات الدولية «الانترنيت»[٧].

والتقنيات الرقمية التى أصبحت البديل للتقنيات التقليدية، فرضت حقائق منها:

- أن الصحف والمجلات واسعة الانتشار أخذت بتجميع واخراج صفحاتها على الحاسبات الإلكترونية الآلية، وأصبحت النسخة الإلكترونية الجاهزة تنقل إلى أي مكان من العالم بسرعة هائلة، عبر شبكة الانترنيت العالمية ليتم طبعها في أماكن عدة متفرقة من العالم في آن معاً.

- أصبحت برامج الاذاعتين المسموعة والمرئية تنقل عبر ترددات إذاعية رقمية تزيد من إمكانيات انتشارها ووصولها للمستهدفين من عملية الاتصال بصفاء ووضوح تام. وهي البرامج نفسها التى يمكن سماعها ومشاهدتها عبر أجهزة الحاسب الإلكتروني الشخصي، الموصولة بشبكة المعلومات الدولية «الانترنيت».

مما جعل من تلك العملية سهلة جدا وميسرة، تؤمن تواصل كل وسائل الإعلام التقليدية مع بعضها البعض وفي نفس الوقت مع الساحة الإعلامية الواسعة جداً، بما يوحي بتوحيد خدمات وسائل الإعلام والاتصال الجماهيرية التقليدية وتكاملها، واتصالها واندماجها مع بعضها البعض، ليس عبر شاشات الحاسب الآلي الشخصي وحسب، بل وعبر شاشة التلفزيون أيضاً.

وكل هذا تحقق في ظل المجتمع المعلوماتي الذي من خصائصه أنه:

١ ـ مجتمع من شكل جديد، تشكل في الدول المتقدمة نتيجة للعولمة والثورات العلمية والمعلوماتية والتقنية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، التي نتجت عن التطور الهائل لتكنولوجيا وتقنيات المعلوماتية ووسائل الإعلام والاتصال الجماهيرية.

٢ ـ مجتمع المعرفة، الذى يتحقق فيه لكل إنسان وفي أية دولة من العالم الرفاهية والتقدم والنجاح عن طريق الوصول الحر للمعلومات التى يحتاجها دون أية حواجز أو معيقات تذكر. وكل ما يحتاجه الإنسان فيه هو إتقان مهارات استخدام وسائط ووسائل الاتصال بشبكات المعلومات الوطنية والإقليمية والدولية والتعامل مع المعلومات التى تتيحها له تلك الشبكات.

٣ ـ مجتمع العولمة الإعلامية الذى لا يوجد فيه ما يعيق تبادل المعلومات من وقت ومساحة وحدود سياسية وهو المجتمع الذى تتحول فيه المعلومات تدريجياً الى وسيلة من وسائل الحوار والتكامل المتبادل للثقافات المختلفة، ولا يعيق من جانب آخر خلق الإمكانيات الجديدة للتطور الذاتي لكل مجتمع[٨].

وأصبح يوفر المعلومات الكاملة ويضعها في متناول الجميع، للاعتماد عليها عند اجراء الدراسات التحليلية والعلمية التى لابد وأن تساعد على اتخاذ قرارات صحيحة وموزونة عند وضع السياسات التنموية الاقتصادية والاجتماعية والعلمية، ولتوجيه النشاطات الانتاجية نحو رفعة وتقدم ورفاهية الأمم والشعوب المختلفة. ومن هذه النظرة التفاؤلية نرى أن المجتمع المعلوماتي قد يحمل في طياته إمكانيات كبيرة تتيح فرصة ترشيد بناء الدولة القومية، وتطوير المجتمع القومي، وتتيح الظروف المثلى لاستخدام الموارد والمقدرات المحلية، وتوظيفها عملياً في خدمة كل ما يساعد على رفع فاعلية ووتائر الإنتاج. وهذا على ما نعتقد لا يمكن أن يتم دون تطوير البنى التحتية للخدمات العامة، وتطوير التعليم الوظيفي بما يتلاءم واحتياجات المجتمع المعلوماتي الآخذ بالانتشار، ومن أجل الوصول بالاقتصاد الى مرحلة الاستثمار الأمثل للموارد الطبيعية، وحماية البيئة والمحافظة عليها سليمة معافاة للأجيال القادمة، والانتقال عبر مراحل التطور المتعاقبة بشكل سليم يضمن حماية الأمن القومي والمصالح الوطنية العليا.

**** العولمة ومجتمع المعلومات، نتاج واقعى لتطور المجتمع الانساني.**

وموضوع شبكة الانترنيت والمجال الإعلامي

للدول النامية يقف وجهاً لوجه أمام تحديات المجتمع المعلوماتي الآخذ بالتطور والتوسع والثبات في دول العالم المتقدم، والتأخر عنه في الدول النامية يزيد من هوة التخلف عن الركب الحضاري الإنساني سريع التطور، إن لم تتخذ حكومات تلك الدول اجراءات عاجلة تؤدي الى تحقيق نقلة نوعية في البنى التحتية لوسائل الإعلام والاتصال الجماهيرية التقليدية فيها. عن طريق إقامة البنية التحتية الأساسية الحديثة لتكنولوجيا المعلومات والاتصال، وإعداد الأجيال الناشئة وتمكينها من استخدام تقنيات وتكنولوجيا الاتصال والمعلومات الحديثة التى تكفل دخولها المتكافىء الى المجتمع المعلوماتي الدولي الذي تفرضه العولمة وتجعله حتمياً لا مفر منه.

**** أمن وسلامة الساحة الاعلامية العربية.. علامة استفهام عريضة..!**

ومشاكل تشكل المجتمع المعلوماتي في الدول النامية أصبحت تهدد أمن وسلامة المجتمع والبيئة في الدول النامية والأقل تطوراً على السواء، وأصبحت تهدد بانتشار البطالة وتقليص فرص العمل التقليدية المتوفرة عالمياً. وهو وضع أشبه ما يكون بالوضع الذى رافق الثورة الصناعية في الدول الأوروبية المتقدمة[٩]،.

وللخروج من المأزق لابد للدول النامية من تحقيق شروط بناء المجتمع المعلوماتي التى تتلخص في:

١ ـ تشكيل ساحة معلوماتية عالمية موحدة. وتعميق عمليات التكامل الإعلامي والاقتصادي المحلي والاقليمي والعالمي.

٢ ـ إنشاء القاعدة المادية المعتمدة على منجزات التكنولوجية الحديثة، ومنها تكنولوجيا المعلومات، وشبكات الحاسب الإلكتروني، وشبكات الاتصال المسموعة والمرئيةعبر الأقمار الصناعية، ووضعها في خدمة الاقتصاد الوطني، الذي لابد وأن يعتمد على استخدام تكنولوجيا المعلومات وإمكانياتها الواعدة.

٣ ـ إنشاء سوق المعلومات واعتباره أحد عوامل الإنتاج مثله مثل الموارد الطبيعية، وقوة العمل، ورأس المال، لأن الموارد المعلوماتية هي من موارد التطور الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، والعمل على تلبية الحاجات الاستهلاكية للمجتمع من المنتجات والخدمات الإعلامية.

٤ ـ تطوير البنية التحتية للاتصالات المسموعة والمرئية، والمواصلات، وتنظيمها.

٥ ـ رفع مستوى التعليم بمستوياته وتخصصاته المختلفة، وتطوير العلوم والتكنولوجيا والثقافة من خلال توسيع إمكانيات استخدام نظم تبادل المعلومات على المستوى الوطني والقومي والإسلامي

العالمي، ورفع مستوى الكفاءة المهنية وتشجيع المواهب الإبداعية.

٦ ـ توفير سبل حماية الأمن الإعلامي للفرد، والمجتمع، والدولة.

٧ ـ وضع السبل الكفيلة باحترام وحماية حقوق الأفراد والمؤسسات العامة والخاصة في حرية الوصول والحصول على المعلومات وتوزيعها كشرط من شروط التطور العادل[١٠].

ومشكلة الإدارة والتحكم بسيل المعلومات المتدفق الى داخل المجتمع المعلوماتي، الذي من المفترض أن يكون مفتوحاً وحراً ولا يتعرض لأية حواجز أو عوائق هي صلب المشكلة، لأن أسلوب التحكم من الأعلى إلى الأسفل لا يصلح للمجتمع المعلوماتي، ولأنه من المستحيل فيه تعميم المعلومات من خلال مركز واحد، لأن شبكات المعلومات الإلكترونية هي شبكات منفتحة ومتعددة الأطراف. وهي مشكلة قائمة وتشغل الجميع دون استثناء.

وآفاق المجتمع المعلوماتي أمام وسائل الإعلام والاتصال الجماهيرية العربية والإسلامية لابد وأن تساهم بشكل فعال في عملية التفاعل المشترك بين وسائل الإعلام والاتصال الجماهيرية التقليدية العربية والإسلامية كقناة لتوصيل المعلومات، والساحة الإعلامية التى تشكل السوق الاستهلاكية الكبيرة للموارد الإعلامية التى تتيحها تلك الوسائل عبر شبكات الحاسب الإلكتروني الآخذة في الانتشار يوماً بعد يوم. وفي ظروف الدول العربية التى تملك ساحة إعلامية ضخمة تمتد من الخليج الى المحيط، لابد من تطوير وتحسين قنوات اتصالها عبر شبكة الانترنيت العالمية، وتطوير البدائل اللغوية لمواردها الإعلامية لجعلها في متناول أكبر ساحة ممكنة من الساحة الإعلامية العالمية وبلغاتها القومية، أخذاً وعطاء، ولتوضيح وجهة النظر العربية من القضايا الراهنة للعالم أجمع، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: مشكلة الضرائب التى تفرضها الدول المتقدمة (المستهلكة للنفط) على النفط ومنتجاته وآثارها السلبية على الدول العربية المنتجة للنفط[١١].

والحفاظ في نفس الوقت على أمن وسلامة الساحة الإعلامية العربية وتطويرها بما يكفل الحوار الثقافي متعدد الأطراف، ويضمن انتقال المعلومات العلمية والتقنية المتطورة من العالم المتقدم الى المستخدم العربي ليساهم بدوره في عملية تطوير المجتمع العربي اقتصاديا وعلميا وثقافيا واجتماعيا. ويضمن للعرب وجوداً أكثر فاعلية على الساحة الإعلامية الدولية.

وفي الوقت نفسه، فإن النهوض بوسائل الإعلام والاتصال العربية والإسلامي التقليدية جنباً الى جنب مع استيعاب تقنيات الاتصال الجماهيري الحديثة، يتطلب أيضاً ابتكار صيغة عامة للمشاركة بين المؤسسات الإعلامية والجماعات المثقفة والعلماء والباحثين العرب والمسلمين داخل الوطن العربي والعالم الإسلامي وخارجهما، من أجل استنباط أطر جديدة ومتنوعة للتعاون.

وفي النهاية لابد من تعزيز التعاون بين وسائل الإعلام والاتصال، والمؤسسات الإعلامية العربية والإسلامية مع دول الجوار للعالمين العربي

والإسلامي الذي تتيحه وسائل المعلوماتية والاتصال المتطورة من خلال دعم كل صور التبادل العلمي والفكري والثقافي معها، وهي مهمة تقع في رأيي على عاتق أصحاب القرار السياسي، والمنظمات الإعلامية العربية والإسلامية المعنية للاضطلاع بالمهام المطلوبة في المجال الإعلامي والفكري والعلمي، والعمل على تعزيز قدرة وسائل الإعلام والاتصال الجماهيرية العربية والإسلامية على إرساء أسس السلام العادل وتعزيز الأمن والاستقرار داخل الأقطار العربية والإسلامية، وفي العالم أجمع، دون إغفال أهمية التعاون الإيجابي مع الاتحادات والمؤسسات الإعلامية العالمية المعنية بتقدم الإعلام وحرية التعبير والثقافة، وهي مسألة تأخر فيها العرب كثيرا حسبما ذكر الصحفي العربي المعروف ابراهيم نافع[١٢].

وأرى أنه لابد من وضع برنامج منطقي وواقعي على المستوى العربي والإسلامي لتحقيق التعاون والتنسيق في العمل، بالشكل الذي يتعزز فيه مشاركة الصحفيين كأفراد، ومن خلال نقاباتهم المهنية ومؤسساتهم الإعلامية، ومن خلال المنابر الإعلامية والمهنية العالمية، ومشاركتهم الفاعلة في صناعة الخبر عن أهم الأحداث العالمية الجارية هنا وهناك، وعن الأحداث العربية للساحة الإعلامية العربية والعالمية وبثها عن طريق وسائل الاتصال الحديثة. وقبل ذلك بطبيعة الحال، فإنه من الضروري تنمية علاقة المشاركة والتعاون البناء بين الأوساط الصحفية والدولة ومؤسساتها السياسية والدستورية في كل الأقطار العربية والإسلامية، على أساس من العمل المشترك لمصلحة الوطن والأمة، وفي الوقت نفسه الاضطلاع بالمهام المطلوبة على المستوى الإقليمي والعالمي. وهذا يتطلب الإسراع في وضع وتطبيق برنامج إعلامي يضمن فاعلية أكبر لوسائل الإعلام العربية والإسلامية عبر شبكات الاتصال المتطورة، ويضمن لها دورا أكثر فاعلية يساعدها في أداء أدوارها المتنوعة في مجالات التوعية العلمية والاقتصادية والتقنية والمعرفية والتنويرية والتثقيفية والتربوية وفي التصدي لأعباء التنمية الشاملة في المجتمع. كما أنه سوف يساعد أيضا على الارتقاء بوسائل الإعلام العربية والإسلامية إلى مصاف كبريات وسائل الإعلام العالمية، وسوف يساعد بالضرورة على تمكين وسائل الإعلام والاتصال الجماهيرية العربية والإسلامية من الأخذ بدورها الريادي والطليعي في كل القضايا الوطنية والقومية، وفي الانتقال إلى المجتمع المعلوماتي المنفتح باتجاهين أخذا وعطاء، وهو المجتمع الذي يعتبر وليدا للعولمة وتداعياتها الإعلامية بشكل أكثر ايجابية وفاعلية وتأثيراً.

الهوامش :

(١) أنظر: سيوينتيورينكو و.ف : المجتمع المعلوماتي والمعلومات العلمية.
http://intra. rfbr. ru/pub/vestnik/V3 - 99/1 - 1.htm (باللغة الروسية)

(٢) أنظر: المصدر السابق، ود. محمد نعمان جلال: العولمة بين الخصائص القومية والمقتضيات الدولية القاهرة: مجلة السياسة الدولية، عدد ١٤٥، يوليو ٢٠٠١. ص ٤٢ – ٤٨. د. محمد البخاري: العلاقات العامة كهدف من أهداف التبادل الإعلامي الدولي، مقرر لطلاب الماجستير. طشقند: جامعة طشقند الحكومية للدراسات الشرقية ٢٠٠٠. ص ١٨ ـ ٦٦. (باللغة

الروسية) د. محمد البخاري: الحرب الإعلامية والأمن الإعلامي الوطني. أبو ظبي: صحيفة الاتحاد، الثلاثاء ٢٣ يناير ٢٠٠١. صفحة ٣٣.د.محمد البخاري: الأمن الإعلامي الوطني في ظل العولة. أبو ظبي: صحيفة الاتحاد، الاثنين ٢٢ يناير ٢٠٠١. صفحة ٣٤. د. محمد البخاري: العولة والأمن الإعلامي الدولي. مجلة «معلومات دولية» دمشق: العدد ٦٥/ صيف ٢٠٠٠. ص ١٢٩ ـ ١٤٤.

(٣) THE INFORMATION SOCIETY AND THE DEVELOPING WORLD: A SOUTH AFRICA PERSPECTIVE (DRAFT 5, VERSION 5.1, APRIL 1996).

(٤) أنظر: يرشوفا ت.ف: آفاق قضايا الانتقال إلى المجتمع المعلوماتي في القرن الحادي والعشرين. http://intra. rfbr. ru/pub/vestnik/V3 - 99/1 - 5.htm (باللغة الروسية)

(٥) أنظر: طريق روسيا الى المجتمع المعلوماتي (الأسس، المؤشرات، المشاكل، والخصائص) غ.ل. صامولیان، د.س. تشيريشكين، و.ن. فيرشينسكايا، وآخرون. موسكو: معهد نظم التحليل في أكاديمية العلوم الروسية، ١٩٩٧، ص ٦٤ (باللغة الروسية)

(٦) INFORMATION SOCITY: CHALLENGES FOR POLITICS, ECONOMY AND SOCIETY - HTTP:// WWW. BMWI-INFO2000. DE/GIP/ FAKTEN/ZVEI E/INDEX.HTML

(٧) أنظر: كليمينكو س.، أورازميتوف ف: وسط حياة المجتمع المعلوماتي // إرتسفتي: بروتفينو، إم إف تي، إي إف وي، ١٩٩٥. (باللغة الروسية).

(٨) أنظر: يرشوفا ت.ف: آفاق قضايا الانتقال إلى المجتمع المعلوماتي في القرن الحادي والعشرين. http://intra. rfbr. ru/pub/vestnik/V3 99/1-5.htm (باللغة الروسية).

كليمينكو س، أورازميتوف ف: وسط حياة المجتمع المعلوماتي // إرتسفتي : بروتفينو، إم إف تي، إي إف وي، ١٩٩٥م (باللغة الروسية)

زاسورسكي يا.ن : المجتمع الإعلامي ووسائل الاعلام الجماهيرية. http://intra. rfbr. ru/pub/vestnik/V3 – 99/2-1.htm(باللغة الروسية).

Building the European Information Society for us all: Final policy report of the high-Level expert group, April 1997 / European Commission. Directorate- General for employment, industrial relations and social affairs. Unit V/B/4. - (Brussels, manuscript completed in April 1997).

(٩) The Information Society and the Developing World: A South Africa Perspective (Draft 5, Version 5.1, April 1996).

(١٠) أنظر: طريق روسيا إلى المجتمع المعلوماتي (الأسس، المؤشرات، المشاكل، والخصائص). تأليف: غ.ل. صامولیان، د.س. تشيريشكين، و.ن. فيرشينسكايا، وآخرون. موسكو: معهد نظم التحليل في أكاديمية العلوم الروسية ١٩٩٧م. ص ٦٤. (باللغة الروسية).

(١١) أنظر: خالد يوسف السلمي: العلاقات التجارية بين دول مجلس التعاون الخليجي ودول الجماعة الأوروبية. الرياض: في بحوث دبلوماسية. معهد الدراسات الدبلوماسية ١٩٩٩م. ص ١٠٣ ـ ١٨٠.

(١٢) انظر: ابراهيم نافع: مستقبل الصحافة في مصر ـ القاهرة: الأهرام، ٢٩ يونيو/ حزيران ٢٠٠١، العدد ٤١٨٤٣.

برامج الأطفال التلفزيونية

إن أطفال اليوم هم رجال ونساء المستقبل الذين تعقد عليهم الأمة آمالها وتطلعاتها. وتأتي أهمية مرحلة الطفولة لكونها الأساس الذي يبني عليه الفرد في مستقبله وقادم أيامه مجالات حياته ومدى صلاحيته ومساهمته كمواطن.

ولا ريب أن تقديم إعلام للطفل - بطريقة علمية مفيدة تُبنى على فهم خصائص الطفل ومراحل نموه بمختلف مجالاتها، والتعرف على طبيعة وخصائص كل وسيلة إعلامية، - يساهم بشكل كبير في تعليم الأطفال وتثقيفهم وتوعيتهم وتوجيههم نحو سلوكيات إيجابية، وغيرها من الأهداف التى يسعى إعلام الطفل لتحقيقها.. مما يمكنهم مستقبلا من تطوير أنفسهم واستثمار كافة الإمكانات والموارد المتاحة في مجتمعهم ومن ثم المشاركة في صناعة مستقبل أمتهم للمضي بها نحو الرقي والتقدم.

والاعتقاد أو الظن بأن التعامل مع الأطفال بصفة عامة أمر سهل وبسيط اعتقاد وظن خاطىء تماما، لأن ذلك يؤدي الى عدم الاهتمام بموضوع التعامل مع الأطفال التعامل الأمثل والسليم وعدم إعطاء الموضوع حقه من الأهمية والخطورة في مراحل الطفل المختلفة.

ومن الطبيعي أن نعرف أن صعوبة التعامل مع الطفل وأهميتها تتمثل في أن الطفل إذا تعرض لمواد إعلامية تقدم موضوعات ومضامين أقل من مستواه العقلي والفكري فإن الطفل ينفر منها، ولا تحظى باهتمامه ومتابعته. وفي الجانب الآخر إذا تعرض الطفل لمواد إعلامية تقدم موضوعات ومضامين أعلى من مستواه العقلي والفكري فإنه لا يتمكن من فهمها واستيعابها وبالتالي ينفر منها أيضا ولا تحظى باهتمامه ومتابعته.

وهنا تأتي خطورة وأهمية وحساسية التعامل مع الطفل في العصر الحاضر- وتزداد أهمية ذلك في التلفزيون لما يتمتع به من صفات وخصائص تميزه عن بقية وسائل الإعلام الأخرى.

النظرة الى برامج الأطفال ـ الأهمية والبداية :

أعتقد أن من أهم الموضوعات التي يجب مراعاتها والعناية بها في بداية وضع رؤية مستقبلية لبرامج الأطفال التلفزيونية هو معرفة النظرة الى برامج الأطفال التلفزيونية من قبل المسئولين في التلفزيون، والعاملين في برامج الأطفال، والأسرة التي يعيش فيها الطفل، ونظرة الطفل نفسه الى البرامج التلفزيونية التي تقدم وتعرض له.

وتؤكد إحدى الدراسات التي أجريت على المسئولين عن برامج الأطفال: أن المسئولين في القنوات التلفزيونية لا ينظرون الى برامج الأطفال بالشكل الذي يعكس أهميتها ودورها في حياة الطفل. وبالتالي ينظر الى هذه البرامج كفترة زمنية محددة أو نسبة من البرامج التي يقدمها التلفزيون خلال خريطة البرامج أو



د. عيسى محمد القايدي
- المملكة العربية السعودية -

هيكل البرامج، من الضروري تقديمها أو بثها سواء عبر برامج الأطفال الأجنبية الجاهزة، أو عبر إنتاج برامج محلية عادية في أغلب الأحوال في حدود الامكانات المتاحة. وتنعكس هذه النظرة من قبل المسئولين على وضع برامج الأطفال التلفزيونية التي يتم قطعها أو إدراج برامج أخرى خلال فترة برامج الأطفال.

وتعكس أهمية النظرة الى برامج الأطفال ومدى أهميتها، عناية المجتمع المحلي بهذه البرامج من خلال كافة القطاعات المعنية، وخاصة المتعلقة بشئون الطفل، للقيام بدور أكبر ومساهمة أكثر فاعلية لإعطاء هذه البرامج حقها من الأهمية، والقيام بتأثير على المسئولين والقنوات التلفزيونية للاهتمام بهذه البرامج.

وتعد نظرة العاملين في برامج الأطفال من معدين ومقدمين ومخرجين وغيرهم ذات أهمية كبيرة عند التفكير في رؤية مستقبلية لبرامج الأطفال التلفزيونية، فإدراك ومعرفة العاملين في برامج الأطفال الى أهمية وخطورة ما يقومون به من عمل في هذه البرامج ومدى تأثيرها على الطفل يجعلهم يهتمون بشكل أكبر بمعرفة الطفل معرفة سليمة علمية، ومعرفة الوسيلة التي يقدمون خلالها برامج الأطفال التلفزيونية، وبذل الجهود التي يطورون بها أنفسهم من خلال زيادة المعرفة والالتحاق بدورات تدريبية وغيرها من الوسائل التي تؤثر في مدى أدائهم لعملهم.

أما نظرة الأسرة التي يعيش فيها الطفل الى برامج الأطفال التلفزيونية، والى التلفزيون بصفة عامة فهي تؤثر بشكل مباشر في مدى معرفتها لدور وتأثير هذا الجهاز في الطفل، ومن ثم إدراكها لدورها الهام في علاقة الطفل بالتلفزيون.

ويمكن القول إن النظرة التى يعتمدها كل المعنيين بالطفل في المجتمع وخاصة القائمين على جهاز التلفزيون والعاملين في برامج الأطفال والأسرة تعد الأساس الذي يُبْنَى عليه، وتؤثر في كل الجهود في مجال برامج الأطفال التلفزيونية.

**** بعض الفضائيات برامج الأطفال عندها لا تعدو أن تكون حيزاً زمنياً.**

وضع رؤية لإعلام الطفل :

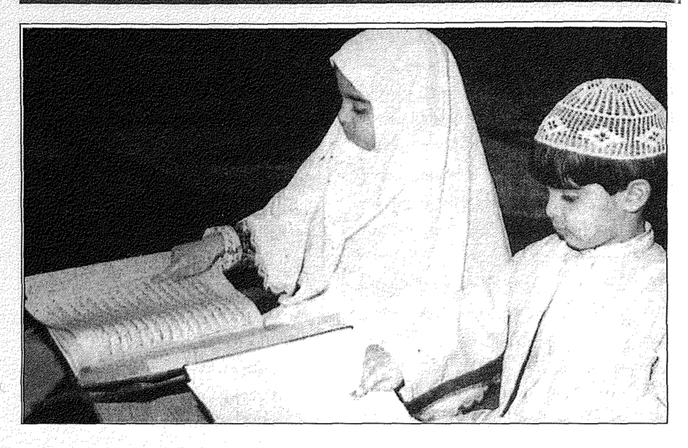
عندما تتغير نظرتنا الى برامج الأطفال التلفزيونية نبدأ في أولى خطوات تحسين وتطوير هذه البرامج، والتى تتمثل في وضع رؤية لإعلام الطفل بصفة عامة، وبرامج الأطفال التلفزيونية بصفة خاصة. وهذه الرؤية لابد أن تكون معلومة ومعروفة بكل تفاصيلها وأبعادها للعاملين في مجال برامج الأطفال التلفزيونية ومن ثم - وهو الأهم - أن تؤثر هذه الرؤية في مضمون وشكل ما يقدم وينتج للطفل من برامج مرئية.

ولأننا نعيش في مجتمع مسلم لابد أن تراعي برامج الأطفال التلفزيونية المنظور الإسلامي لإعلام الطفل الذي يبين عددا من القواعد والأصول التى تحكمه، وفي مقدمتها أن القرآن الكريم وسنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هما المصدر الرئيسي لصياغة رؤية إسلامية لإعلام الطفل، وهي رؤية واضحة المعالم محدودة الأهداف محكومة بالقواعد التى تحددها الشريعة الإسلامية.

وبالرغم من أن هذه الرؤية تستند الى قواعد ثابتة في العقيدة لا يجوز التغيير أو التبديل فيها مهما تغيرت الأزمنة وتغيرت الأمكنة؛ إلا أنها غير جامدة، وتقبل التطور والتجديد بما يتلاءم مع مقتضيات العصر واحتياجات الأطفال، ومتطلبات الحياة، ومراعاة المكان والزمان. وبذلك تكفل الشريعة الإسلامية لوسائل الإعلام الحرية الكاملة في تناول قضايا الأطفال، ومعالجة مشكلاتهم انطلاقا من كفالة حرية التفكير والتعبير، وحرية الرأى، شريطة عدم المساس بالثوابت وأركان الإسلام الرئيسية التى يجب التسليم بما جاءت به من معطيات.

والمنظور الإسلامي لإعلام الطفل يعتمد على عدد من الأسس من أهمها البساطة في المضمون والوضوح في اللفظ والمعنى، والثراء في المادة والتنوع في الأساليب والتطور في المعالجة، والدعوة العقلية التى تقوم على المنطق السليم وتستند الى البرهان الصحيح، والدعوة بالكلمة الطيبة والأسلوب الحسن والموعظة الحسنة التى تصل الى عقل الطفل وقلبه فيجد فيها الخير والسعادة.

وبذلك، لابد أن تهدف البرامج التلفزيونية الموجهة للطفل الى التعريف الصحيح للأطفال بالإسلام عقيدة وشريعة، وتوضيح القيم البناءة التى يؤكد عليها الإسلام، وتأكيد المبادىء النبيلة التى يحث عليها الإسلام، مما يسهم في الارتقاء بذوق الأطفال وملكاتهم الفكرية والوجدانية، ويحقق لهم السعادة والاستقرار والراحة النفسية. إضافة الى الأهداف الأخرى المعرفية والتعليمية والسلوكية والاجتماعية وغيرها التى تسعى لتحقيقها البرامج التلفزيونية الموجهة للأطفال.



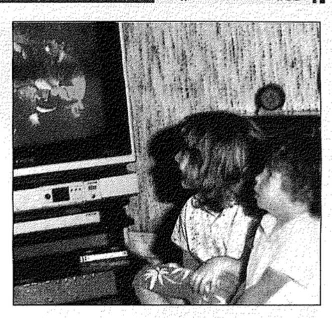
ولكي تكتمل هذه الرؤية لابد من معرفة مراحل نمو الطفل المختلفة، والخصائص التى تميز كل مرحلة في جوانبها الجسمية والعقلية واللغوية والنفسية والاجتماعية والأخلاقية، لعلاقتها القوية في ما يقدم للطفل في كل مرحلة، وعلاقتها أيضا بفهم الطفل للتلفزيون، حيث يختلف فهم الطفل للمحتوى أو المادة التى يقدمها التلفزيون باختلاف مرحلته العمرية، مما يؤدي الى استيعابه للمادة المقدمة، ومن ثم تأثره بها.

والطفل في مرحلة الطفولة المبكرة يتأثر في فهمه للتلفزيون بالتركيز على الذات، ويدرك شخصيات التلفزيون في اتجاه واحد وهي أنها كلها جيدة أو كلها سيئة بدون وجود أي موقف وسط. كما أنه غير قادر على إدراك وفهم الأحداث إلا من وجهة نظره الخاصة، وينظر الى التلفزيون والأشخاص والدمى والكارتون كحقيقة وواقع إضافة الى أنه لا يستطيع فهم المعاني المجردة، واستنتاج الأسباب، وتتبع سلسلة البرنامج أو القصة.

وفي مرحلة الطفولة المتوسطة يستطيع الطفل فهم قصة الفيلم، ومتابعة الأحداث المعروضة، ويقل تركيزه على الذات. أما في مرحلة الطفولة المتأخرة فإن الطفل يصبح قادرا على أن يتصور نفسه مع الآخرين في التلفزيون، وفهم المشاعر والأحاسيس والدوافع لدى أشخاص الفيلم، وما يرمز إليه الفيلم أو البرنامج، ويهتم بالبرامج أو المواد الواقعية التى يمكن أن تكون مفيدة للحياة العملية والمستقبلية.

أقسام مستقلة لبرامج الأطفال :

كشفت دراسة أجريت على برامج الأطفال التلفزيونية في دول الخليج العربية عن عدم وجود قسم مستقل أو إدارة مستقلة لبرامج الأطفال التلفزيونية في جميع دول الخليج التي استهدفتها الدراسة.. ففي بعض الدول تتبع برامج الأطفال قسم الأسرة أو قسم المرأة وفي بقية الدول يشرف على برامج الأطفال شخص واحد يتعاون معه بعض العاملين غير المتفرغين



للعمل في برامج الأطفال.

كما كشفت الدراسة التى أجريت على المسؤولين عن برامج الأطفال في هذه الدول أن في مقدمة المشكلات التى تواجههم في برامج الأطفال التلفزيونية عدم وجود قسم مستقل لبرامج الأطفال التلفزيونية.. وبذلك لا يستطيع المسؤولون عن برامج الأطفال في هذه الدول حصر جهدهم واهتمامهم ببرامج الأطفال لوجود التزامات ومسؤوليات أخرى أو أنهم يعملون بشكل فردي مع بعض المتعاونين من العاملين في التلفزيون أو خارجه.

**** برامج الأطفال تفتقد التخصصية والتفرغ.**

هذه النتيجة تؤكد ضرورة أن يكون لدينا قسم مستقل لبرامج الأطفال التلفزيونية في كل قناة تلفزيونية خاصة في دول الخليج لارتفاع نسبة الأطفال في هذه الدول من ناحية، ولتركيز جهود العاملين في برامج الأطفال للتفرغ للعمل في القسم والإعداد الجيد للبرامج وتقديم وإنتاج برامج ذات جودة عالية ومستوى جيد.

ويرتبط بإنشاء أقسام مستقلة لبرامج الأطفال تخصيص ميزانية مستقلة لهذه الأقسام وتزويدها بما تحتاجه من عاملين في مجالات الإعداد والتقديم وغيرها، وتزويدها باستوديوهات خاصة لإنتاج برامج الأطفال، وكذلك تزويد هذه الأقسام بما تحتاجه من مواد إعلامية ومختلف مصادر المعلومات المتعلقة بالطفل من صحف ومجلات وكتب وغيرها.

نسبة برامج الأطفال :

من الطبيعي أن تكون البرامج التلفزيونية التى يتم تقديمها وعرضها في التلفزيون في كل دولة مناسبة لطبيعة المجتمع ونسبة أفراده في مراحلهم العمرية المختلفة، أو على أقل تقدير أن يتم في هذه البرامج مراعاة طبيعة تكوين أفراد المجتمع بشكل مقبول أو جيد.. وفي دول الخليج يمثل الأطفال الذين تقل أعمارهم عن ١٥ سنة لعام ١٩٩٥م نسبة ٤٧ر١٩٪ من إجمالي السكان في الدول الخليجية أى أن الأطفال يشكلون حوالي نصف المجتمع الخليجي. وهذه النسبة يقدم لها على مستوى الخليج بصفة عامة - كما بينت إحدى الدراسات - برامج تلفزيونية خاصة بهم بنسبة ٧٪ فقط مما تقدمه هذه التلفزيونات من برامج.

وهذه النتيجة التى اعتمدت قناة تلفزيونية واحدة لكل دولة خليجية قد يوجد ما يساندها من برامج مرئية في قنوات تلفزيونية أخرى في بعض الدول كالإمارات والبحرين والكويت. ومن الملاحظ أن القنوات التلفزيونية توسعت في مدة البث وزادت ساعات إرسالها بعد انتشار القنوات الفضائية وقدمت العديد من البرامج التلفزيونية مع عدم الزيادة في الوقت المخصص للبرامج التلفزيونية للأطفال وبالتالي قلت

نسبة هذه البرامج لمجموع ما تقدمه القناة من برامج بشكل عام.

وتلفت هذه النتيجة النظر الى ضرورة زيادة الوقت المخصص لبرامج الأطفال التلفزيونية التى تقدمها القنوات، وأن تشكل هذه البرامج نسبة يراعى فيها نسبة الأطفال في المجتمع ومدى احتياجهم الى برامج موجهة لهم. خاصة في ظل وجود منافسات قوية في مجال برامج الأطفال عبر القنوات الفضائية التى يستقبلها المشاهدون من مختلف أنحاء العالم، مع الأخذ في الاعتبار أن بعض المشاهدين لا يتوفر لديهم مثل هذه القنوات وتكون متابعتهم منحصرة في القنوات المحلية التى تقل فيها برامج الأطفال التلفزيونية بشكل كبير.

العاملون في برامج الأطفال :

يُعَدّ العاملون في برامج الأطفال من العناصر الهامة في تقديم وإنتاج برامج مرئية جيدة للأطفال. ومن الضروري أن يكون العاملون في برامج الأطفال من معدين ومقدمين ومشرفين وغيرهم من ذوي الاختصاص، والإعداد الفني المناسب، والخبرة المصقولة، والتجربة الجيدة كل في مجاله. وكذلك إلحاقهم بالدورات التدريبية المتخصصة لإكسابهم المعارف والمهارات بغية رفع كفايتهم المهنية للحصول على أفضل إنتاجية ممكنة.

وبينت دراسة أجريت على العاملين في برامج الأطفال التلفزيونية أن جميع العاملين في دول الخليج ممن يحملون الشهادة الثانوية والشهادة الجامعية. واستكمالا لمستوى التحصيل الدراسي كان من الضروري التعرف على تخصصات العاملين في برامج الأطفال، من الحاصلين على المؤهل الجامعي، ومعرفة مدى قرب أو علاقة تخصصاتهم بما يقومون به من عمل أو مهام. وبينت النتائج عدم تخصص أي من العاملين في برامج الأطفال وفي جميع دول الخليج المستهدفة في هذه الدراسة في مجالي الطفل أو الإعلام. ولعل أقرب التخصصات لمجال الطفل التى تتوفر لدى العاملين في برامج الأطفال تخصصا التربية والاجتماع. أما التخصصات الأخرى للعاملين فكانت التجارة، والسفر والسياحة، ونظم المعلومات الإدارية، والفنون الجميلة، والدراسات الإسلامية، والتربية الرياضية، والهندسة البحرية، والأدب الإنجليزي، والآداب، واللغة العربية وآدابها.

وأوضحت الدراسة أن جميع العاملين الرسميين (أي العاملون بوظائف رسمية في جهاز التلفزيون) يقومون بمهام أكثر من وظيفة، كما أن معظم المتعاونين من خارج التلفزيون يقومون بأكثر من وظيفة في مجال برامج الأطفال وغير متفرغين، يمكن القول إنه ليس ثمة موظف رسمي أو متعاون يقوم بمهام وظيفة واحدة في مجال برامج الأطفال التلفزيونية بدول الخليج العربية. وإذا أضفنا الى ذلك ارتباط برامج الأطفال في بعض الدول ببرامج أخرى كالأسرة أو المرأة تبين لنا القصور في

**** القيم الدينية والخلقية والاجتماعية ينبغي غرسها في الطفل بحكمة ومنهجية.**

التخصص أو التفرغ لعمل معين في مجال برامج الأطفال التلفزيونية.

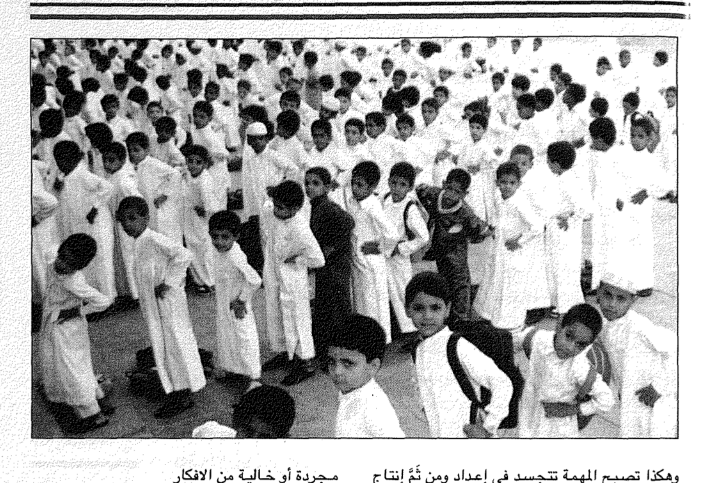
هذه النتيجة تؤكد ضرورة الاهتمام والعناية بالعاملين في برامج الأطفال التلفزيونية بمختلف مجالاتهم وتخصصاتهم وخاصة كاتب أو معد برامج الأطفال التلفزيونية الذي يعد من أهم العاملين في برامج الأطفال، لأن ما يقوم به من عمل يشكل الأساس الذي يبنى عليه مراحل إنتاج برامج الأطفال حتى تظهر بالشكل النهائي وتعرض لجمهور الأطفال، وتوضح العديد من الدراسات عدم وجود كتاب متخصصين في برامج الأطفال التلفزيونية.

ولابد أن يدرك كاتب أو معد برامج الأطفال التلفزيونية جمهوره الذى يقوم بالإعداد أو الكتابة له، لأن كتابته في مادتها وطريقتها، وشكلها ومضمونها تتوقف على نوع هذا الجمهور وخصائصه المعينة. وعلى هذا الأساس يجب أن يعرف خصائص وسمات كل مرحلة من مراحل نمو الطفل، وفي مختلف المجالات. كما يجب أن يعرف إمكانات من سيقومون بالتنفيذ والأداء ليضع في اعتباره الاستفادة الى أقصى حد ممكن من مستوى الأداء المتاح لعمله.

**** البرامج الأوربية منتجة في ثقافة وبيئة مغايرة لثقافتنا وبيئتنا.**

كذلك عليه أن يدرك ماذا يكتب للطفل باختيار المضمون المناسب له في مجتمعه المسلم وربطه بالواقع، والشكل المناسب الذي يقدم من خلاله هذا المضمون الذي يتناسب مع الطفل.. ولكي نحقق التجاوب بين الطفل وبين ما يقدم إليه من برامج، يجب أن ننظر الى العالم بمنظاره، وأن نراه كما يراه هو، وبذلك نتمكن من تحديد ما ينبغي أن يقدم له من ناحية مادته، وطريقة عرضه بالأسلوب الذي يفضله من وجهة نظره، ومن منطلق تخيله لنتمكن من تحقيق الأثر المنشود لهذه البرامج، وأن يعرف المعد أن ما يقوم به من عمل نوع من التربية في المقام الأول، وأن تحقيق أهداف البرامج من خلال المحتوى والشكل يتم في إطار قواعد التربية السليمة، وفي ضوء أصول علم نفس الأطفال. إضافة الى مراعاة الاعتبارات الفنية المتعلقة بالتلفزيون لأن الإعداد الجيد للبرامج التلفزيونية يتطلب فهم هذه الوسيلة وإمكاناتها لتقديم المادة التلفزيونية في صور حية ومشاهد ولقطات متكاملة وبطريقة مقنعة، وللمساعدة في الاستفادة واستغلال خصائص وسمات التلفزيون.

إن كل ما يتعلق بإعداد برامج الأطفال التلفزيونية يهدف الى إثارة اهتمام الطفل، ومن ثم متابعته للبرامج والتأثر بما تقدمه له من معلومات وقيم وسلوكيات. وليس صعبا أن تثير اهتمام الأطفال، أو تجذبهم بواسطة الأفلام وبرامج التسلية والترفيه والمواد المتعلقة بالموسيقى الصاخبة أو الرياضية، ولكن من الضروري أن تثير اهتمامهم وتجذبهم بواسطة البرامج والمواد التى لا يهتمون بها، وفي نفس الوقت تقدم لهم معلومات ومعارف أكثر أهمية، وترسخ في أذهانهم رؤية سليمة للمجتمع المحيط بهم والعالم من حولهم، وتساهم في تربيتهم في مختلف المجالات.



وهكذا تصبح المهمة تتجسد في إعداد ومن ثَمَّ إنتاج أكثر البرامج جاذبية، وفي الوقت ذاته، أكثر البرامج جودة وفنية وقيمة، بحيث تكون قادرة على أن تجذب الطفل وتلفت اهتمامه، وتحافظ على هذا الاهتمام مستمرا.

البرامج الأجنبية :

لا تخلو برامج الأطفال التلفزيونية الأجنبية من الأفكار والقيم والمعتقدات التى تعكس طبيعة المجتمعات التى أنتجت هذه البرامج. وقد حذرت جميع الدراسات التى تناولت تحليل مضمون برامج الأطفال التلفزيونية من خطورة البرامج الأجنبية المخصصة للأطفال لما تنطوي عليه من مخالفات لدين وقيم وعادات وتقاليد المجتمع المسلم، وما تحدثه من تأثيرات سلبية في الأطفال وخاصة في مجال الدين والعقيدة.

ولا فرق في ذلك بين نوعية البرامج التلفزيونية الموجهة للطفل، فحتى المادة الترفيهية التلفزيونية ليست مجردة أو خالية من الافكار والقيم ووجهات النظر، والترفيه شكل أو أسلوب لتقديم محتوى ما، ولذلك فإن المادة الترفيهية التى يقدمها التلفزيون يتم انتقاؤها واختيارها ومن ثم مراجعتها وتقديمها وعرضها من نفس الإطار المرجعي الإعلامي والأيديولوجي والثقافي وغيرها التى تنتقى وتختار منه المواد الإعلامية الأخرى. وتعطى أهمية خاصة لمواد الترفيه في التلفزيون، بما في ذلك برامج الأطفال الترفيهية، مما يجعلها أكثر المواد التلفزيونية مقدرة على

**** نحن في حاجة ماسة لان يكون لبرامج الاطفال أقسام متخصصة خاصة بها.**



الوصول الى المشاهد، وعلى التأثير فيه. وتزداد أهمية التأثير الذي تحققه لأنها تؤثر بطريقة غير مباشرة، وغير علنية وبالتالي غير محسوسة. وتتضاعف قوة هذا التأثير من جراء حقيقة بالغة الأهمية وهي أن المشاهدين ـ كبارا وصغارا ـ لا يعون حقيقة أنهم عرضة للتأثير من خلال هذه المواد، التى تبدو بريئة ولا تستهدف تحقيق أية أهداف، أو خدمة أية مصالح، وبالتالي تصبح عملية التأثير أكثر فاعلية.

**** المادة المقدمة للطفل تحتاج لكثير من العناية والتدقيق.**

ورغم أن بعض القنوات التلفزيونية الخليجية توقفت عن تقديم وعرض الرسوم المتحركة المقدمة بلغتها الأصلية إلا أن البعض الآخر مازال يقدمها وجاءت في الرسوم المتحركة المدبلجة في مقدمة أنواع البرامج التى تقدمها القنوات الخليجية بنسبة بلغت ٧٨ر٤٤٪، وجاءت الرسوم المتحركة المقدمة بلغتها الأصلية في المرتبة الثالثة بنسبة ٤٩ر١٩٪ من إجمالي الزمن المخصص لكل نوعية، ولا شك أن نسبة البرامج الأجنبية ترتفع إذا أضفنا الى ذلك البرامج الأخرى الأجنبية.

وجاء التلفزيون السعودي بقناته الأولى في مقدمة الدول التى تعرض برامج الأطفال التلفزيونية بلغتها الأجنبية حيث وصلت نسبتها الى ١٥ر٥٧٪ من إجمالي الزمن المخصص لكل نوعية من برامج الأطفال التلفزيونية.

وبينت الدراسة أن جميع الدول الخليجية تستورد أفلام الرسوم المتحركة من عدة دول أجنبية جاء في مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية ثم بريطانيا ثم اليابان. وهذه النتيجة تؤكد ضرورة الاهتمام مستقبلا وبشكل كبير بتقليل استيراد البرامج الأجنبية التلفزيونية الموجهة للطفل وإحلال البرامج المحلية بشكل تدريجي حتى يتم الاستغناء بشكل كامل عن البرامج الأجنبية أو الاقتصار على برامج معينة في أضيق الحدود وباعتبارات معينة.

مشاركة الأطفال :

مشاركة الأطفال في تقديم وإنتاج برامج مرئية موجهة لهم تعد مسؤولية مشتركة لعدد من القطاعات أو الجهات المعنية بشئون الطفل كالأسرة والعاملين في برامج الأطفال والجمعيات أو المؤسسات المختصة بشئون الطفل؛ لأن هذه المشاركة تضفي المزيد من الأهمية لتأثير البرامج التلفزيونية في الطفل ومدى متابعته لها واهتمامه بها.

وهذه المشاركة من الضروري أن تكون فاعلة ورئيسة في الإعداد للبرامج أو أخذ رأيهم ومقترحاتهم ومرئياتهم والعناية فيما يقدم لهم، وكذلك مشاركتهم في تقديم البرامج التلفزيونية وغيرها من المشاركات

الفاعلة كالاستضافة والحوار وتقديم الهوايات والاختراعات والإنشاد وغيرها من مجالات مشاركة الأطفال في برامجهم التلفزيونية مع الاهتمام بتشجيعهم معنويا وماديا لحثهم على المزيد من المشاركة واستقطاب الأطفال الآخرين للمشاركة في البرامج.

وفي هذا الجانب أيضا لابد من إلغاء أو تقليل المشاركات السطحية للأطفال مثل الاكتفاء بذكر الأسماء فقط لمجموعة كبيرة من الأطفال في البرنامج الواحد كما نشاهده في بعض البرامج، وكذلك المشاركات السلبية للأطفال مثل تحفيظ الأطفال المشاركين فيها الإجابات عن الأسئلة التى تطرح عليهم لأن ذلك يؤثر في الأطفال المشاهدين لهذه البرامج الذين يشعرون بالنقص أمام زملائهم المشاركين، كما أن ذلك يلغي شخصية ومبادرة الطفل المشارك.

البرامج التلفزيونية والأسرة :

تأتي أهمية تأثير البرامج التلفزيونية في الأسرة لأهمية ودور الأسرة في تنشئة وتنمية الطفل، وبالتالى فإن أي تأثير للبرامج التلفزيونية ـ سواء كان إيجابيا أم سلبيا ـ في الأسرة أو أحد أفرادها وبخاصة الأب أو الأم ينعكس بصورة غير مباشرة على الطفل. وهي بذلك تحدث تأثيراً أو بعداً آخر لتأثير التلفزيون في الطفل بجانب التأثير المباشر الذي يحدثه التلفزيون في الطفل نتيجة العلاقة المباشرة بين الطفل والتلفزيون.

ويؤلف دور الأسرة في تعامل الأطفال مع التلفزيون محورا ثالثا لتأثير التلفزيون في الطفل، ومن الأمور المسلَّم بها أن الأطفال الذين يُتْركون بلا إشراف أو توجيه سوف يتوجهون الى التلفزيون لما يتمتع به من خصائص جذب وإغراء. وطالما ترك الآباء والأمهات أطفالهم أمام التلفزيون، سواء كانوا يقصدون ذلك أم لا يقصدونه، فإن الأطفال سوف يتأثرون به، وتصبح مشاهدة التلفزيون عادة سريعة التمكن من الأطفال.

بالإضافة الى ذلك فإن تحكم التلفزيون في أوقات الأطفال يُعَدّ من الأمور المخيفة فعلا، وبصرف النظر عن جودة البرامج ومحتواها، فإن الأطفال الذين يشاهدون التلفزيون لمدة ست ساعات في اليوم، أو حتى ثلاث ساعات حرموا من حياة الطفولة العادية.

وحتى لو سلمنا بأن جميع البرامج التى يشاهدها الطفل هي برامج تستحق المشاهدة ومهمة، وتساعد على النمو العقلي للطفل، وتعمل على توسيع آفاقه، فإنه يجب القول، كما يؤكد الخبراء، وبالرغم من كل ما يمكن أن يقال لصالح التلفزيون، فإن طريقة المشاهدة المستمرة وبدون انقطاع للبرامج هي العدو الأول للأطفال. وبالتالي فإن من الواجب أن تتم مشاهدة التلفزيون بطريقة جيدة، وإذا كان الأطفال مسموحا لهم بمشاهدة التلفزيون يجب توجيههم نحو مشاهدة بعض البرامج وليس كل البرامج؛ وبناء على ذلك فإن أفضل البرامج التى ينبغي أن يشاهدها الأطفال تقع مسئوليتها على عاتق الآباء

**** حرية التفكير والتعبير وحرية الرأي من مقومات شخصية الطفل.**

والأمهات بالدرجة الأولى.

وطريقة تعامل الآباء والأمهات مع التلفزيون تؤثر أيضا في الطفل فإذا كان الاباء والأمهات يشاهدون برامج تلفزيونية متوسطة ومعتدلة، ويسمحون لأبنائهم في مشاهدتها، فإنهم في نفس الوقت يؤكدون على معنى التوسط والاعتدال في شخصيات أطفالهم. كما أن مساعدة الأطفال في تعليمهم المشاهدة التى ينتقون فيها ما يشاهدون، ويميزون في ذلك بين الطيب والردىء، يساعدهم على أن يتعلموا كيف يشاهدون قدرا أقل من برامج التلفزيون، وعلى أن يروا الأشياء بعمق أكثر. وتحديد الوقت الكافي من مشاهدة الأطفال للتلفزيون بشكل قاطع يعتمد على استكشاف المقدار الجيد من البرامج التلفزيونية التى قد يسمح للأطفال بمشاهدتها.

ويمكن القول إن الأسرة تؤلف عاملا مهما وأساسيا في تعامل الطفل مع التلفزيون، ومن ثم الاستفادة من تأثيراته الإيجابية، وتجنب أو الحد من تأثيراته السلبية، من خلال العناية بعلاقة الطفل بالتلفزيون، ومعرفة أهمية ونوع ومدى وتأثير هذه العلاقة. وقد أوصت الدراسات بضرورة توعية الأفراد في كيفية استخدام التلفزيون بطريقة هادفة. وهذا يتطلب العمل الجاد على توعية الأسرة من خلال وسائل الإعلام، والمؤسسات المعنية بالأسرة والطفل، وعن طريق نشرات التوعية والمحاضرات وورش العمل لتدريب أفراد الأسرة على كيفية المشاهدة النقدية، وأساليب تطور الحوار والتواصل بين أفراد الأسرة، وطرق تنظيم ساعات المشاهدة، وتطوير أنشطة وبرامج الأطفال والشباب كبدائل عن التلفزيون.

**** تبعية برامج الأطفال لأقسام أخرى أفقدها الوعي الكامل بأهميتها.**

وتزداد أهمية الأسرة ودورها في علاقة الطفل بالبرامج التلفزيونية في العصر الحاضر الذي تميز بانتشار القنوات الفضائية القادمة من جميع أنحاء العالم، وأصبح لزاما عليها القيام بتحصين أطفالها بالمنهج الإسلامي فكرا وقولا وعملا، وترسيخ المبادىء والقيم الأخلاقية، وتربيتهم تربية ذاتية، وتوعيتهم بخطورة وسلبية ما تتضمنه بعض البرامج المرئية وخاصة الأجنبية.

البرامج التلفزيونية والمجتمع :

تعرضنا في الفقرة السابقة لدور الأسرة في علاقة الطفل بالتلفزيون ومتابعته وتعرضه للبرامج التلفزيونية الموجهة له لأهميتها في المجتمع. وبجانبها العديد من المؤسسات والقطاعات والجهات المعنية بالطفل بصفة عامة التى لها دور هام ومؤثر في تقديم وإنتاج برامج مرئية للأطفال. ومن هذه الجهات رياض الأطفال والمدارس الحكومية والخاصة، والجمعيات المهتمة بشئون الطفل سواء كانت جمعيات عامة تهتم بالأطفال أو جمعيات خاصة بالأطفال أو جمعيات تهتم بفئة معينة من الأطفال كجمعيات الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، وكذلك الأقسام الجامعية التى تعنى بجوانب الطفل في النواحي التربوية والنفسية والاجتماعية والصحية وغيرها، ووسائل الإعلام المختلفة المكتوبة والمسموعة والتلفزيونية التى تهتم بالطفل

وغيرها من الجهات التى تعنى بالطفل في القطاعين العام والخاص.

ويمكن لهذه الجهات أن تؤدي دورا هاما في تقديم وإنتاج برامج مرئية للأطفال وتطوير وتحسين هذه البرامج في مجالات مختلفة من أهمها تحليل وتقويم ما يقدم للطفل من برامج مرئية ، والمساهمة في التخطيط والإعداد والتقديم لهذه البرامج، وتقديم الاستشارات المتخصصة لهذه البرامج، والمساهمة في تنفيذ وتبني ودعم الدراسات والدورات التدريبية وحلقات النقاش وورش العمل والندوات والمحاضرات في مجال برامج الأطفال التلفزيونية، كما ينبغي أن تقدم هذه الجهات دعما ماديا لإنتاج هذه البرامج. ولا شك أن كل ذلك يؤثر بشكل إيجابي في مستقبل برامج الأطفال التلفزيونية.

الدراسات والأبحاث :

رغم وجود العديد من الدراسات التى تناولت برامج الأطفال التلفزيونية بمختلف جوانبها ومجالاتها، إلا أن الملاحظ على هذه الدراسات والأبحاث أنها تظهر في أوقات متفاوتة وبعيدة زمنيا، واقتصار العديد منها على جوانب معينة مع إهمال جوانب أخرى هامة في برامج الأطفال التلفزيونية مثل الدراسات الميدانية للأطفال المعنيين بهذه البرامج للتعرف على آرائهم ووجهات نظرهم حول البرامج المقدمة لهم ومقترحاتهم لتطوير وتحسين هذه البرامج ومتطلباتهم ورغباتهم التى يريدونها من برامجهم التلفزيونية. ولعل السبب في عدم الخوض في هذا المجال يعود الى صعوبة إجراء مثل هذه الدراسات وتصميم الأداة المناسبة لهم، ووجود العديد من العوائق الرسمية والاجتماعية لتطبيقها على أرض الواقع. ورغم ذلك لابد أن ننظر الى هذا الموضوع بشكل عملي ومناقشته للتغلب على هذه العوائق والاستفادة من هذه الدراسات الهامة وما توصلت إليه من نتائج في برامج الأطفال التلفزيونية.

وفي الجانب الآخر للدراسات والأبحاث التى تعنى بالبرامج التلفزيونية نجد أن هناك عدم استفادة من النتائج التى توصلت إليها هذه الدراسات في تقديم وإنتاج برامج مرئية للأطفال، ولتحقيق مستقبل جيد ومفيد لهذه البرامج لابد من اهتمام وعناية العاملين في هذه البرامج، وبقية القطاعات المهتمة بالطفل كالأسرة وغيرها من الاطلاع على هذه الدراسات ونتائجها للاستفادة منها، وفي الجانب الآخر لابد للباحثين والدارسين في مجال البرامج التلفزيونية أن يقوموا بدور وجهد في نشر نتائج دراساتهم وتقديمها بشكل مختصر وموجز ومبسط لتحقيق الاستفادة منها في تقديم وإنتاج برامج الأطفال التلفزيونية.

**** عقلية الطفل وعاطفته تتحكمان في اختياراته.**



روائح البصل في شهر العسل!!

حدثنا سعيد الكاتب[١] قال: دعيت - في عهد مولانا المأمون - الى مجلس الأديبة الأريبة «فضل» الشاعرة[٢] فوجدتها نهاية في الجمال والفصاحة والكمال، يجتمع عندها الأدباء، ويتناشد لديها الشعراء، وكانت تتعصب لهم، وتقضي حوائجهم بمنزلتها وجاهها عند الأشراف، فأعجبتني براعتها، وسحرتني روعتها، فهام القلب بها:

وقد فهمتُ الذي أخفت فقلت لها:

بُوحي بلا ونعمْ من بيّن الكلم

قولي نعم إنها إن قلت نافعة

ليست عسى وعسى صبر إلى نعم

قلبي سقيم وداء الحبّ أسقمه

ولو أردت شفيت القلب من سقم

قالت: فؤادك بين البيض مقتسمٌ

ما حاجتي في فؤاد منك مُقتسم؟![٣]

فكتبت إليها على «أوراق الورد» أعذب وأرق مما سطر «الرافعي» الى «مي»:

تظنون أني قد تبدلتُ بعدكم

بديلا وبعض الظن إثم ومنكرُ

إذا كان قلبي في يديك رهينة

فكيف بلا قلب أصافي وأهجرُ؟![٤]

فأرسلتْ إليّ جذوة من لواعج وجدها:

الصبر ينقص والسقام يزيدُ

والدار نائية وأنت سعيدُ

إني أعوذ بحرمتي بك في الهوى

من أن يُطاع لديك فيّ حسودُ![٥]

ثم اتصل حبل الوداد بيننا، ووثقنا عراه بالخطبة، فقالت لي ذات مرّة تمازحني: قد كدت تذوب شوقاً، وتشتعل ضراماً قبل لقائنا، حتى خشيتُ عليك أن تكون كصاحب سعد!

قلت: النفس مولعة بحب العاجل! فما حكاية سعد يا ستي، أسعد الله أيامك بالستر والمسرة، ووقاك شرّ المكياج والتطرية؟!

قالت: روي أن شاباً تعلّق بفتاة يقال لها «دنيا» ولكن حبال الوصل تقطعت، إذ جاءه صاحبه سعد فحدّثه عنها، وأخبره أن دنيا قد زُوّجت، وأنها الليلة تزف الى زوجها! فجُنّ جنونه، وطار صوابه، وصعد تلة وأنشأ يتحسر على أنغام الربابة:

أرى عهدها كالورد ليس بدائم

ولا خير فيمن لا يدوم له عهدُ

وعهدي لها كالآس حسناً ونضرة

له نضرة تبقى إذا فني الوردُ

وحدثتني يا سعد عنها فزدتني

جنوناً فزدني من حديثك يا سعدُ

هواها هوى لم تعرف النفس مثله

فليس له قبل وليس له بعدُ[٦]



د. أحمد عطية السعودي

- الأردن -

قلت: تباً لهذا المجنون، فلعله لو ظفر «بدنياه» لطلقها على الرغم من هواها الذي ليس له قبل، ولا بعد! أما يقال: الدنيا كالدابة إن ركبتها حملتك، وإن ركبتك قتلتك! وكم من «دنيا» قد تحولت عن صاحبها، ورمحته مولية، ولم يدم عهدها، ولا خير فيمن لا يدوم له عهد!

قالت: عجباً لكم يا معشر الرجال، لم لا تحسنون الظن بربات الحجال، وهنّ رياحين لكم، وكلكم يشتهي شمَّ الرياحين! أما يقال: الدنيا كالماء المالح كلما ازددت منه شرباً ازددت عطشاً! فأنتم من غير القوارير كالعطشى في الصحراء الكبرى.

قلت : حنانيك عزيزتي، إن بدا مني جفاء، أو تطاول أو إيذاء:

تعالى نجدد عهد الرضا
ونصفح في الحب عما مضى
ونجري على سنة العاشقين
ونضمن عني وعنك الرضا
فيبذل هذا لهذا هواه
ويصبر في حبه للقضا[٧]

قالت: وما سنة العاشقين التى نجدد بها عهد الرضا إذا تزوجنا بإذن الله؟

قلت : شهر العسل شهر النزهة والفرجة في بلاد الفرنجة!

قالت : وَلِمَ نقضي شهر العسل في بلاد الفرنجة، وبلادنا أجل وأجمل، وعسلها أصفى وأحلى، ونحن ننشد كل يوم:

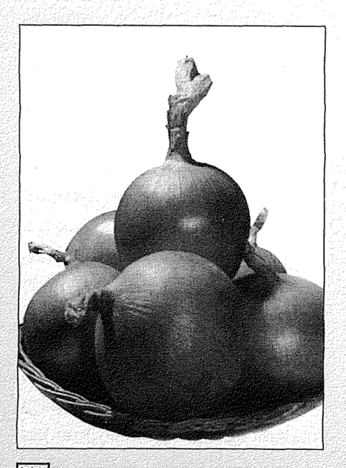
بلاد العُرب أوطاني
من الشام لبغدان ؟!

قلت : قد اعتاد بعض العرب المستغربة - حاشا العاربة - على «التعسيل» ونشر الغسيل، والإسراف والتبذير في بلاد العم سام!.

قالت : وما تعني بالتعسيل ونشر الغسيل، وما يفعل في شهر العسل؟

قلت : لا علم لي بذلك، ولكنني سمعت أن عالماً رفيع العماد قد حل ضيفاً ببغداد، فوجب علينا أن نكرمه، ونفيد من علمه وسعة اطلاعه، فهو خبير بالعسل ومشتقاته حتى اشتهر بين أهل الأندلس «بابن العسَّال»[٨].

قالت : ومن يكون ابن العسال هذا ؟



قلت : من يكون ؟ سامحك الله يا فضل، تعرفين أبقراط وأم قراط، وهوميروس وفيثاغورس، ولا تعرفين الأديب الشاعر القاضي الفقيه ابن العسّال؟! سندعوه غداً بإذن الله، ونكرمه أعظم إكرام، وسوف تعرفينه.

قال سعيد الكاتب : فلما سكتت «فضل» عن الكلام المباح، والأحاديث الملاح عجلتُ الى دار الضيافة، فإذا هو فيها كالقمر تحف به كواكب الأدباء، فدعوته الى الغداء في منتدى الأدباء، فلبى النداء.. وأكرمنا مثواه، وقدمنا له مع الغداء شيئاً من عسل ليكون أحسن مدخل، وتجاذبنا أطراف الحديث. فقلت: يا أبا محمد، ما تقول في العسل؟

قال : إنه من آلاء الله، وصيدلية كاملة في الغذاء والدواء، ولو طالعت يوميات نحلة لرأيت العمل الدائب بدقة ونظام، وجودة وإحكام، فليس في الخلية عاطل عن العمل، أو فاسد كالحوت يبلع العسل، أو خائن ماكر يهلك النحل!

قلت : ما عن هذا أسألك ، إنما أسألك عن شهر العسل.

قال : تسألني عن مترجّلة بنت حداثة وصاحبها الخواجا اللذين ابتدعا خاتم الخطبة، وإكليل العرس والصمدة، والصالون والطبلة، وشهر العسل، وغداء العمل؛ فاقتفى آثارهما بطن من بني يعرب، وظهر من بنات يغرب، فجاسوا خلال لندن وباريس، وبون وجنيف، وروما وكييف، يقضون شهر عسلهم في التمتع بالحدائق، والسهر في الفنادق، ومشاهدة الأفلام، والارتماء على الشواطىء، والتهافت على الحرام.

قالت فضل : يا أبا محمد، ما أرى مثل مترجلة بنت حداثة، وقد فرّت من المنكرات ثم ما لبثت أن وقعت في شباك الخواجا، فانقادت له طمعاً في عسله إلا كمثل الغزال والكلب؛ فإن الغزال شديد العدو، سريع الخطو، فإذا انطلق كلب الصيد يلاحقه، هب يسابق الريح، ولكنه لكثرة تلفته يوبق نفسه، فينظر فإذا الكلب خلفه، وقد أسرع، وكشر عن أنيابه، فتخور عزيمته، ويستسلم!

قال : ما الخواجا إلا أطلس عسّال[٩]، وما أكثر الغزلان اليعربية التى وقعت في الحبائل الشهوانية، فأقبلت نفوسهم تعبّ من كؤوس الخنا والرذيلة، وهم يحسبون أنه العسل والفضيلة

والنّفس راغبةٌ إذا رغّبتها
وإذا تُردّ الى قليل تقنعُ [١٠]

قلت: يا أبا محمد، نضر الله وجهك، أنت من خبراء العالم بالعسل ومشتقاته، وأصنافه وتركيباته، فما أحسن أنواعه؟.

قال : أحسنها وأصفاها، وأطيبها وأعلاها هو العسل الإيماني الذي يمتص رحيقه من أزهار الطهر والعفاف، ومن ثمار الرضا والكفاف، وهو الذي تتجمع عصارته قطرة قطرة حتى تصير نهراً في جنات النعيم، فعسل المفسد في دنياه شهر، وعسل المؤمن في أخراه نهر بل أنهار، واقرأ إن شئت: «مَثَلُ الجنة التى وُعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مُصَفّى»[١١].

قلت : فما شر أنواعه وأخطرها ؟

قال : شرها وأضرها العسل الشيطاني الذي يُمتص رحيقه من أشواك المجون والفجور، والتبرج والسفور، فتتجمع نجاسته قطرة قطرة حتى تصير شجرة، واقرأ إن شئت: {إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم * طلعها كأنه رؤوس الشياطين}[١٢].

قالت : إن أذنتما لي فسأضرب مثلا للعسل

الإيماني ببيت التابعي سعيد بن المسيب[١٣] فقد كانت له ابنة مؤمنة عالمة، فطلبها الخليفة عبد الملك بن مروان لابنه الوليد، وأرسل عامله على المدينة ليرهبه ويرغبه، ولكن الشيخ أبى أن يزوّج ولي العهد؛ لأن عبد الملك إنما أراد أن يخطبه لبيعته. وكان للشيخ سعيد تلميذ فقير، فزوّجه ابنته بمهر قدره ثلاثة دراهم.. وامتلأ بيت العروسين مودة وبركة، ونعما بأطايب السمن والعسل.

قلت : حسنًا، فاضرب لنا يا أبا محمد مثل العسل الشيطاني من الواقع المر لبني الأصفر وحلّق بنا في أجواء الحكمة البالغة «يعدهم ويمنّيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً»[١٤].

قال : زعموا أن رجلا عاش في العصر الحديدي يقال له المستر ابن رشدي الهندي[١٥] «قال هيرودوت أبو التاريخ: المستر والمصطر من أسماء عفاريت الطرف الأغر في عصر جنون البقر» وأنه هام بعجوز شمطاء تدعى «تاتشر» طمعاً في عسلها الإسترليني «قالت هيرودوتة أم التاريخ: وتاتشر فصيلة سامة من أفاعي الكوبرا، وكان جدها بلفور ثعباناً مشهوراً باللسع واللدغ»[١٦]، واشترطت لنفسها مهراً باهظاً فأذعن وأعلن: سلي ما شئت بأبي أنت وأمي، وخالي وعمّي ، سلي يا أجمل من «هايد بارك»، ويا أرق دقاً من «بج بن»! إن أشرت أتيت لك بحليب السباع، أو رأس الزير سالم، أو حيتان الفوكلاند. فأشارت أن مهرها أن يسحره إبليس، ويطعن الكنز النفيس إرضاء للإنجليز.. فركع وخضع، واستلقى على ظهره، فنفخ إبليس في دماغه، وحشاه خبثاً ولعنة، فأمسك بالقلم الإنجليزي وسطّر «الآيات الشيطانية» ولكن المحبوبة الشمطاء خدعته وطردته من بيتها، وسكبت عسلها - أمام ناظريه - لكلابها، وأسكنته في دهليز يتجرّع السم والحنظل.

قلنا : يا أبا محمد، ماذا علينا لو قضينا شهر العسل بالحلال الطيب في ربوع الأندلس أو في رحاب القدس لنكحل أعيننا بأمجاد الأجداد، ونسعد بالأرض التى تدر لبناً وعسلا؟.

قال : لقد هيجتما عليَّ ساكناً، وذكرتماني بجراح نازفة، أين أنتما يرحمكما الله؟ أما الأندلس فاستولى عليها الفرنج، وأقاموا لأهلها «محاكم التفتيش» بعد أن وعدوهم بشهر عسل لذيذ، إذا فاوضوا واستسلموا. وأما القدس فقد احتلها المغضوب عليهم، وارتكبوا فيها أفظع الجرائم، وشربوا لبنها وعسلها، وطالبوا بالمفاوضة والاستسلام.. فلا - والله - يطيب عسل لحر أبي بعد ضياع الفردوسين.

قلت : فكيف إذن يستمتع العرسان بشهر العسل بعد المصاب الجلل، والأمة أحوج ما تكون إلي قدرات رجالها وإبداعات شبابها؟.

قال : وهل تظنهما يستمتعان ؟ والله لا يجنيان من بلاد الخواجات إلا الانغماس في الشهوات، وتضييع الواجبات والأوقات. وسرعان ما يدب الخلاف والتنافر بينهما، فتغلي الغيرة في صدرها، ويعتمل الشك في نفسه:

إن القلوب إذا تنافر ودّها
مثل الزجاجة كسرها لا يجبرُ

فإذا ذهب الى المسبح و«السّونا» ذهبت إلى «الفيديو كليب» والسينما، ثم إذا رجعا تنازعا وتلاسعا، وأعلن إبليس بينهما حالة الطوارىء القصوى.

قالت فضل : ما الفيديو كليب يا أبا محمد، وما السّونا ؟

قال : أكرمك الله، بل هو فيديو كلاب، فيه رقص ورفس ودنص، وعواء ومواء وثغاء، أما السونا فهي

حجرة بخار معدّة للياقة الجسم، وإذابة الشحم! فإذا اختلف العروسان عمد أبو الشباب الى تنفيرها بالمخاصمة والمعاكسة، وقررت أم الفيديو كلاب استخدام غاز الأعصاب، فلجأت الي البصل أكلا وتقشيراً، وملأت برائحته فمها وملابسها حتى غلب البصل على المسك لا كما قال الشاعر البصّال بشّار :

فــــإذا أدنيت منهـــا بصـــــلا

غلب المسكُ على ريح البـــــصل !

قالت : يا أبا محمد، أرجو أن تسدي اليّ والى بنات جيلي نصيحة لنعض عليها بالنواجذ، فالنصيحة عند العقلاء تشترى بذهب عياره «٢٤».

قال :

يا ابنتي إن أردت آية حــــــسن

وجمــالا يزين جســمـاً وعــقـلا

فــانبـذي عـادة التـبـرج نبـذاً

فـجـمـال النفوس أسـمى وأعلى

يصنع الصـــانعـــون ورداً ولكن

وردة الروض لا تُضــــارع شكلا

ثم مدَّ ابن العسّال يده فأخرج من حقيبته قارورة ورسالة، وقال : في هذه القارورة مزيج من عسل أبطال الأندلس: الغافقي، وصقر قريش، والمنصور بن أبى عامر، والمعتمد بن عبّاد، وهي تذكرة لكما ولأدباء المنتدى، أما هذه الرسالة فأهديها الى كلّ عروس وعريس في هذا العالم العويص.

قال سعيد الكاتب: فلما قرأت الرسالة انفجرتُ ضاحكاً من عرسان آخر الزمان حتى استلقيتُ على ظهري، وجعلتُ أدور في البيت، وأنا أردد عنوانها الطريف:

« روائح البصل في شهر العسل » !!

الهوامش :

(١) سعيد الكاتب: أبو حميد سعيد بن حميد أديب شاعر من كتّاب الدواوين البارزين في أيام المأمون، تعلق بفضل الشاعرة، ولم يثبت أنه تزوجها ت ٢٥٠هـ.

(٢) فضل الشاعرة : شاعرة ظريفة برعت في كلّ فن، وكان الأدباء يجتمعون عندها، وكانت تقضي حوائجهم. هويت سعيداً، ت ٢٦٠هـ.

(٣) الأبيات للشاعر ربيعة بن ثابت الأسدي ت ١٩٨هـ.

(٤) البيتان لسعيد الكاتب نفسه.

(٥) البيتان لفضل الشاعرة نفسها.

(٦) هذه الأبيات لابن أبي عيينة أنشدها في صاحبته «دنيا» التى أهديت إلى زوجها.

(٧) الأبيات لسعيد الكاتب نفسه.

(٨) ابن العسّال : أبو محمد عبد الله بن فرج، ولد في طليطلة بالأندلس، وتعلّم على ابن عبد البرّ ومكي بن أبي طالب، وتولى القضاء. وهو فقيه زاهد، وأديب فصيح، وشاعر مطبوع، ت ٤٨٧هـ.

(٩) أطلس عسّال: الأطلس الذئب الأغبر، والعسّال من العسلان: مشي الذئب بسرعة.

(١٠) البيت لأبي ذؤيب الهذلي.

(١١) سورة محمد آية/ ١٥.

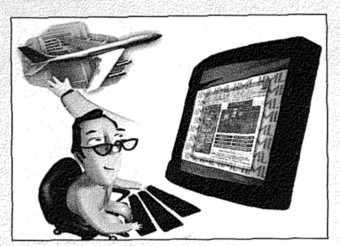
(١٢) الصافات آية ٦٤، ٦٥.

(١٣) سعيد بن المسيب: سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة، كان يعيش من التجارة بالزيت، جمع بين الحديث والفقه والزهد، ت ٩٤هـ.

(١٤) النساء آية/ ١٢٠.

(١٥) سلمان رشدي: كاتب طعن في الرسول {صلى الله عليه وسلم} في كتابه «آيات شيطانية» ورعته مارغريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانية في التسعينيات من القرن العشرين.

(١٦) بلفور : وزير خارجية بريطانيا الذي وعد اليهود بإقامة وطن لهم في فلسطين العربية المسلمة عام ١٩١٧م.



منتدى المنهل (٢)

(الانترنت: صرعة ثقافية .. أم ثقافة حتمية)

دأبت مجلتكم المنهل على مد جسر التواصل العلمي والفكري بينها وبين المثقفين والكتاب في أرجاء الوطن العربي منذ نشأتها وحتى وقتنا الحاضر وهي حريصة على ابقاء هذا التواصل موصولا بإذنه تعالى.

وترغب مجلتكم المنهل في فتح باب للحوار والمناقشة مع (قرائها) ومحبيها وأيضا مع المثقفين وشداة الأدب ومحبيه، من خلاله تطرح قضية عامة (اجتماعية - ثقافية - تربوية - علمية) وتأمل استقبال آرائكم وتوجهاتكم ومشاركاتكم وكتاباتكم حول هذه القضية وملابساتها مشاركة منها في الحوار ودعما للتواصل.

وسيتم قراءة جميع ما يرد من آراء حول موضوع النقاش وتقييمه، ونشر أبرز الآراء على صفحات (منهلكم) وسوف تخصص إدارة (المنهل) مكافأة عينية وأخرى نقدية لأبرز موضوعين يردان للمجلة اسهاما منها في الحوار ودعما للتواصل.

وسيتم قراءة جميع ما يرد من آراء حول موضوع النقاش وتقييمه، ونشر أبرز الآراء على صفحات (منهلكم) وسوف تخصص ادارة المنهل مكافأة عينية وأخرى نقدية لأبرز موضوعين يردان للمجلة اسهاما منها في التشجيع والمواصلة.

آملين أن تكون المشاركة في حدود صفحتين (A4).

موضوع الحوار :

((الانترنت: صرعة ثقافية .. أم ثقافة حتمية)).

محاور النقاش :

* الانترنت وافد جديد نتعامل معه بدهشة (حاطب الليل).

فهل نأخذ منه كل شيء (غثه وثمينه) ؟!

* لكل أمة ثوابتها وهي مرتكزات وجودها، ومعالم هويتها ويبقى هامش التحرك ليس بخارج عن اطار تلك الثوابت.. بهذا الفهم الى أي حدّ يمكننا التعامل مع معطيات هذه الشبكة المعلوماتية..؟!

* التعامل مع الانترنت، هل أضعف الحاجة الى الكتاب المطبوع أم هو تكامل وتواصل بينهما؟!

* بعض المثقفين يرى أن ثقافة الانترنت (ثقافة حتمية) منْ لم يجدْ التعامل معها يُعدّ في الأميين فماذا ترى ؟!

* الأمم تتداخل ثقافاتها، تتكامل وتتواصل، لكن لا تلغى إحداها الأخرى .. من هذا المنطلق لماذا لا نحسن التعريف بثقافتنا للآخرين عبر هذه الشبكة العالمية..؟!

إشارة

وصلتنا مجموعة طيبة من مشاركات القراء الأكارم عن موضوع (منتدى المنهل) السابق في العدد (٥٩٢) .. وسوف ننشر المشاركات المختارة من قبل الهيئة العلمية للمجلة. عن هذه الحلقة وسابقتها معاً في العدد القادم بإذن الله تعالى حتى نفسح المجال لمشاركات أكثر من القراء.

الرسائل الكونية.. بين المعطيات والحقائق

يبحث العلماء بشكل جدي منذ سنوات مسألة وجود حضارات كونية أخرى، كما يدرسون الامكانات المختلفة على آثار تلك الحضارات، حيث يقع البث العفوي لموجات الراديو والتلفزيون في مقدمة تلك الامكانات. وقد جرت، ومازالت تجرى، محاولات كثيرة لالتقاط الموجات الراديوية القادمة من الكون وتحليلها لمعرفة ما اذا كانت قد صدرت عن أجهزة مصنوعة أو عن أجسام طبيعية.

إلا أن المحاولات المذكورة لم تخلص الى نتيجة حاسمة فيما يتعلق بتمييز أي مصدر صنعي للموجات الملتقطة، نستثني من ذلك نبضات راديوية كونية التقطت عام ١٩٧٤م وسجلت على أشرطة مغناطيسية. وقد أشار التحليل الأولي الى احتمال صدورها عن أجهزة مصنوعة. الا أن الدراسة التفصيلية لم تكن سهلة، وكانت تستوجب توظيف امكانات كبيرة تنطوي على برنامج عمل شاق يستغرق عدة سنوات.. وما أدرانا، فقد تتمخض مثل هذه الدراسة عن أن الموجات المسجلة قد قدمت من أجسام طبيعية.

آثار مبهمة :

هناك أسئلة كثيرة تترى وتتوالد في أذهان العلماء حول هذه الظاهرة التى لم تفك مغالقها حتى هذا اليوم، أبرزها: ما الذي يحول دون أن يكون جوار الشمس والأرض غارقا في بث ليزري من موجات لا تستطيع أجهزتنا أن تتحسسها؟؟ وان ذلك البث قد لبث زمنا طويلا كاثر متميز من آثار الحضارات الكونية؟.. لماذا لا نعيد دراسة بعض الظواهر المتعلقة بالخفوت الدوري لعدد من النجوم البعيدة؟.. ألا يمكن أن تكون حالات نادرة من أحداث الخفوت قد نجمت عن كسوف صنعي صمم أصلا لاطلاق رسالة في الكون.. تشبه هذه الرسالة الاشارات الدخانية التى كان الأقدمون يتبادلونها عبر القمم الجبلية الشاهقة؟

حول هذه الأطروحة الأخيرة يذهب بعض العلماء، مثل عالم الفلك الفرنسي جاك ليونيل، الى القول: قد لا تكون الآثار المعممة الوسيلة الوحيدة للفت أنظار الآخرين في الكون، فالرسائل المقصودة ليست مستبعدة كليا. ونتوقف على سبيل المثال لا الحصر عند الخلايا المعدنية. لو حاولنا خلط الألمنيوم بالرصاص لغطس الرصاص بالألمنيوم في مركبات الفضاء فهو أمر ممكن، ذلك أن انعدام الجذب الثقالي يؤدي الى نجاح عملية الخلط المتجانس.. ماذا لو وقع علماء الآثار على خليطة متجانسة من الألمنيوم والرصاص تعود الى أزمان غابرة.. لن يكون هناك الا تفسير واحد لمثل هذا الاكتشاف ألا وهو زيارة للأرض قامت بها كائنات كونية في تلك الأزمان وتركت الخليطة كاثر من آثارها.

نستطيع أن نتصور آثارا أخرى بالاستناد الى معارفنا الأرضية: ان أكثر أشكال عنصر التكنتيوم استقرارا هو ذلك الذي يضم ٩٩ بروتونا ونيوترونا. تتحلل نصف كمية هذا العنصر في مئتي ألف سنة وتنجم عن التحلل مجموعة أخرى من العناصر، تتحلل نصف الكمية المتبقية في مئتي ألف سنة وهكذا. يعني ذلك أن كلّ ما صنع في الكون من هذا العنصر قد اختفى بحلول المرحلة الراهنة من عمر الكون. إن اكتشاف عينة من هذا العنصر في أرضنا سيؤكد ولا شك زيارة قامت بها حضارات كونية أخرى لأرضنا لأنها ستكون المسؤولة عن تصنيع هذه العينة. تتحلل كل العناصر الكيميائية الأثقل من الأورانيوم ٢٣٨ بشكل عفوي في مدد زمنية قصيرة، الا أن هناك ما يدعو للاعتقاد بأن قوى الارتباط بين البرتونات والنيوترونات ستؤدي الى بروز عناصر مستقرة وذلك سيمكن من بناء نوى تضم ١١٤ بروتونا و١٨٤ نيوترونا.

نذكر هنا بأن الأورانيوم ٢٣٨ الذي أشرنا اليه يضم في نواته ٢٣٨ بروتونا ونيوترونا. وهكذا فان بناء نوى مستقرة من هذا الطراز مستحيل بالقياس الى التكنولوجيا المعاصرة، وكان مستحيلا بالطبع بالنسبة للحضارات الأرضية السابقة. مرة أخرى نقول ان اكتشاف نوى مستقرة من النوع المذكور سيضيف شاهدا متميزا الى قائمة آثار الحضارات الكونية.

وحيدون في الكون :

إن أكثر ما قد يؤدي الى الاحباط هو أن تقضى احدى الحضارات الكونية تاركة آثارها في أرجاء الكون، تأتي بعد ذلك حضارة أخرى فتكشف تلك الآثار وتأخذ بالبحث عن الحضارة المنشودة دون جدوى.

د.م.شريف مفلح

- سورية -

بالمقابل حاول العلماء منذ بزوغ عصر الفضاء لفت الأنظار الى حقيقة وجودنا على كوكب الأرض وبذلوا محاولات عدة في هذا السياق. ولابدّ أن نشير الى أن لفت الأنظار الى حقيقة وجودنا هو مجرد افتراض، فقد لا يكون هناك في الكون من نلفت نظره الى أي شيء، اذ ليس من المستبعد أن نكون وحيدين في هذا الكون الفسيح. وعلى الرغم من ذلك انطلقت أولى وأهم الرسائل من هذا الصنف على متن المركبة بايونير ١٠ صبيحة الثالث من آذار/ مارس ١٩٧٢م.

لقد جابت المركبة أرجاء المجموعة الشمسية وأخذت الآن بالابتعاد عن هذه المجموعة، لكن المركبة لن تدلف الى أية منظومة كوكبية أخرى في الألف مليون سنة القادمة ويلزمها ٨٠٠٠ سنة حتى تصل أقرب النجوم الى شمسنا والذي يبعد عنها نحو ٣ أو ٤ سنة ضوئية.

ويشبه اطلاق الرسالة على متن بايونير ١٠ ما كان يحدث في القرون الخالية لدى تحطم سفينة، فلربما أن أحد البحارة استطاع النجاة بنفسه الى جزيرة نائية خالية من السكان.. كان البحّار يرمي زجاجة في البحر يضمنها رسالة تبلغ عن موضعه. وان حدث أن مرّت سفينة أخرى والتقطت الزجاجة فانها ولا شك كانت تسارع الى انقاذه.

ان رسالة بايونير هي عبارة عن لوحة مستطيلة من الألمنيوم المطلي بالذهب، يساوي طول اللوحة ٢٢٫٥سم وعرضها ١٥سم. ان فعل التآكل في الفضاء الكوني هو فعل بالغ الضآلة، لذا يتوقع العلماء أن تبقى الرسالة صالحة لمئات الملايين من السنين. وقد تضمنت اللوحة معلومات خاصة بذرة الهيدروجين، انطلاقا من توافق فعالية هذه الذرة باطلاق موجات راديوية يساوي طول الموجة احداها ٢١ سم وتواترها ١٤٢٠ ميغاهرتز. ويعني ذلك أن هذين الرقمين يشكلان حدين متميزين في الكون أحدهما للأبعاد المكانية والآخر للقياسات الزمانية، ذلك أن الهيدروجين هو العنصر السائد في الكون، انطلاقا من تصور العلماء أن أية مدينة أو جهة قد تلتقي الرسالة مصادفة لن يصعب عليها فهم هذا الجزء من الرسالة. وللتحقق كتب العدد ٨ في الهامش الأيمن للرسالة مترجما الى نظام العدّ الثنائي ووضع بين معترضتين.

رسالة من أرضنا :

أما عن امكانية افادة المدينة المفترضة من هذا العدد فنقول: ان الرسالة حملت في جانبيها الأيمن رسمين لرجل وامرأة عاريين باعتبارهما الممثلين الرئيسيين للحياة على كوكب الأرض وقد رفع الرجل يده اليمنى محييا. ويوجد خلف الرسمين شكل عام للمركبة أطول من الرجل بقليل.

ان المدينة التي ستعثر على الرسالة ستلتقط المركبة معها، وستميز الشكل العام المذكور، ثم تجري مقارنة بين طول المركبة وطول الرجل، فتستنتج طول المركبة الذي هو ثمانية أضعاف طول الموجة الراديوية التي ذكرناها ٢١ سم.. فسرعان ما تخلص تلك المدينة أو الجهة الى الطول الوسطي للرجل، وكذلك المرأة التي تبدو أقصر من الرجل بقليل.

وقد كتبت بعض الأعداد بالنظام الثنائي الى يسار الرجل والمرأة، ثم تم توزيع هذه الأعداد بشكل شعاعي ينطلق من نقطة محددة.. انها تمثل الأدوار الزمنية المميزة للنجوم النابضة، وهي معالم كونية شائعة.. انها منارات كونية بحق، ولابد المدينة المفترضة أن تكون مهيئة لاستيعابها. ويفترض العلماء أن المدينة المستقبلة للرسالة ستستنتج أن النجوم النابضة المذكورة في الرسالة قد رصدت من جوار شمسنا، ولا سيما أن الرسالة تضم في قسمها الأسفل دائرة كبيرة تمثل الشمس وتسع دوائر صغيرة تمثل المجموعة الشمسية. وقد أشير الى الكوكب الثالث بسهم تعلوه المركبة للدلالة على موقع اطلاق المركبة الذي هو كوكب الأرض.



وغنيّ عن القول أن هذه الأدوار لن تكون ذاتها عند وصول الرسالة.. فالأدوار تتغير بكميات طفيفة وبايقاعات بالغة الانتظام.. كما انها تمثل بمجموعها حالة فريدة لا تنطبق الا على الحيّز من مجرتنا حيث توجد الشمس ومجموعتها. وباختصار، ستكشف المدينة المفترضة موقع الشمس وتاريخ اطلاق الرسالة.. ولكن.. قد لا يكون هناك أية مدينة على الاطلاق..





لقد سبق القول في الحلقة الماضية أن الرحاب المكية المشرفة تولاها الأمير ابن فيروز على ما ذكره الإمام تقي الدين محمد الفاسي رحمة الله عليه في تاريخه شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، وأن ولايته كانت في ولاية الملك المنصور نور الدين الرسولى ملك اليمن ووالى الرحاب المكية المشرفة. وقد جاء ذكره مجردا عن الاسم والنسب. وقد تولى بعده أو في هذه الفترة لعدم ورود ما يستدل به على تحديد من خلف من في ولاية مكة شرفها الله تعالى:

الأمير ابن مجلي ـ الأمير الزاهد :

ذكرهما الإمام الفاسي في شفاء الغرام، وأن ولايتهما كانت في زمان الملك نور الدين الرسولى ملك اليمن وتولى الأمر بالرحاب المكية المشرفة في هذه الفترة أيضا:

الأمير ابن عبدان ـ الأمير ابن الوليدى ـ الأمير ابن التعزى:

على ما ذكره العلامة السيد عز الدين بن فهد الهاشمى المكى عالم البلد الحرام في زمانه في تاريخه غاية المرام في أخبار سلطنة البلد الحرام، وكانت ولايته في زمن الملك المنصور الرسولى ملك اليمن أيضا وكان من ولاة هذه الفترة أيضا :

الأمير الطنبغا :

حسبما ذكره العلامة نجم الدين الشيخ عمر بن فهد الهاشمى المكى رحمه الله في تاريخه إتحاف الورى بأخبار أم القرى. وربط ولايته بقصة مقتل رجل من أهل الطائف في سنة ٦٢٧ للهجرة الشريفة، وهؤلاء الأمراء ورد ذكرهم في كتب التأريخ الملمة بهذا الشأن مجردين عن الاسم والنسب. وحالهم كحال الأمراء الذين تولوا البلد الحرام في أيام فتنة القرامطة، وقد ذكرتهم كما ورد في كتابى جلاء العينين بذكر أمراء الحرمين الشريفين، وممن تولى إمارة البلدة المعظمة في هذه الفترة:

الأمير محمد بن أحمد بن المسيب اليماني رحمة الله عليه:

على ما ذكره الإمام الفاسي في شفاء الغرام، في شهر ربيع الأول سنة ٦٤٥ للهجرة المباركة. ولكن العلامة نجم الدين عمر بن فهد الهاشمى ذكر أن ولايته كانت في سنة ٦٤٦ للهجرة خلفا للأمير.

فخر الدين الشلاح الذى سبق وأن ذكرناه في ولاية الملك المنصور نور الدين عمر الرسولي ملك اليمن ووالى البلاد المكية المشرفة آنذاك. وذكر أنه أساء السيرة في أهل بيت الله عز وجل. وأعاد الجبايات والمكوس وفرض الضرائب الجائرة على سكان البلد الحرام، مما كان السلطان نور الدين عمر الملك المنصور قد أبطلها إذ لا جبايات ولا ضرائب على المسلمين، فخلع هذه المربعة الأمير ابن المسيب



السيد ضياء محمد عطار

- المدينة المنورة -

واستولى على الأموال التى كانت تأتى من اليمن لسكان بلد الله عز وجل ومواساتهم. فكانت هذه التجاوزات سببا للقبض عليه من قبل أمير الجند بالبلد الحرام الشريف أبي سعد الحسن. وبذلك انتهت ولايته للبلد الحرام في التاسع من شهر ذى القعدة الحرام سنة ٦٤٧ للهجرة كما ذكره العلامة عز الدين بن فهد الهاشمي في غاية المرام. ويذكر أنه لما علم بخلافه للملك المنصور في الأمور الحسنة والسيرة الطيبة وثب عليه. وأنهى ولايته لمكة شرفها الله وكانت مدة ولايته للملك المنصور عمر بن على بن رسول نحوا من سنتين وبضعة أشهر فخلفه عليها:

الأمير الشريف أبو سعد الحسن بن على بن قتادة الحسنى رحمة الله عليه:

في ولاية البلدة المعظمة. بعد أن وثب على الأمير بن المسيب كما سبق. وكانت ولايته في شهر ذى القعدة الحرام سنة ٦٤٧ للهجرة الشريفة وذلك ولاء للسلطان الملك المنصور عمر بن رسول ملك اليمن. وبه عادت ولاية البلدة المعظمة والبقعة المكرمة الى آل ثائر في أولاد السيد قتادة مرة أخرى. وقتادة هو الشريف قتادة بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن على بن عبد الله بن محمد الثائر الحسنى العلوى أمير ينبع سابقا وأمير البلد الحرام. وكانت ولاية الديار المكية المشرفة قد انقطعت عنهم قرابة سبع وعشرين سنة في هذه الفترة بملوك اليمن وسلاطين مصر وكان ولاتهم من قد سبق ذكرهم.

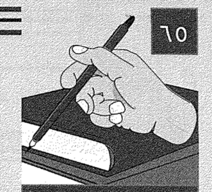
وكان الأمير أبو سعد الحسن قد عينه الملك المنصور على جنوده بمكة شرفها الله في سنة ٦٣٩ للهجرة الشريفة فكان قائما بعمله هذا على خير ما يرام حتى رآى تصرفات الأمير محمد بن المسيب السابق الذكر وما قام به من السيرة المذمومة ونجم خلافه للملك المنصور الذى رسم له حسن السيرة في أهل بلد الله والمجاورين والحجاج والعمار وخلافهم انقض وقبض عليه وصادر جميع الأموال التى بحوزته من الأموال العامة وأصدر بذلك محضرا من أعيان الحرم ثم استقل بولاية البلدة المحرمة دون خضوع لنفوذ خارجى من يومه ذلك.

وبهذا عزَّ أمره وقوى سلطانه، وبسط العدل في ربوع الديار المكية المقدسة. وكان الأمير أبو سعد الحسن كما قال عنه الإمام الفاسي في تاريخه العقد الثمين: رجلا فاضلا طيب الأعراق حسن الأخلاق شديد الحياء وكان قد جمع بين الشجاعة والجود والكرم، والعلم والعمل، وكان يقول الشعر وينظمه وكان أديبا فصيحا شاعرا، ولم يزل على ولايته حتى خرج عليه ابن عمه السيد جماز بن حسن بن قتادة ونافسه الإمارة بالبلد الحرام. ثم تمكن منه وقتله في الحرم في الثالث من شهر شعبان وقيل في شهر رمضان المبارك سنة ٦٥١ للهجرة فمات شهيدا، وهو ممن توفي بمكة شرفها الله من ولاتها، وكانت مدة ولايته نحوا من ثلاث سنوات وبضعة أشهر. فخلفه على ولاية البلدة المحرمة:

الأمير الشريف جماز بن حسن بن قتادة الحسنى رحمة الله عليه:

وكانت ولايته في شهر شعبان سنة ٦٥١ للهجرة انتزاعا وتغلبا خلفا لابن عمه السيد أبو سعد الحسن كما ذكره الإمام الفاسي في شفاء الغرام وذكر العلامة نجم الدين بن فهد الهاشمى في (إتحاف الورى) أنه استعان بالملك الناصر على ذلك-

والحديث بقية إن شاء الله تعالى.



! شجون صديق !

عرفته رقيق الإحساس، قوى الشعور، ناحل الجسم، لو توكأت عليه لانهدم، كما قال بشار بن برد، وكان مشغوفا بالاطلاع الثقافي، ترى كل يوم في يده كتاباً جديدا، وتسأله عنه فيحدثك عن أجمل ما فيه، ويتطرق إلى نقد ما لا يوافق عليه في أدب حيى خجول.

رأيتــه نمطاً نادراً بين المدرسين في مــدرســتـى، فآثرته بمودتي، وكان مدرسا للتاريخ ولكنه لم يكتف بالمقرر المدرسي كغيره من الزملاء، بل أخذ يدرس المصادر الأولى في شوق ويكتب تعليقات يعرضها عليّ، فأكبر جهده، وأقول إذا لم أوافق على بعض ما اتجه إليه، إنه أحسن وأفضل ممن لا يقرءون ولا ينقدون، وسيأتي يوم قريب يبلغ فيه ذروة الكمال.

وتصــادف أن كتب إليّ الأستـاذ محب الدين الخطيب، يطلب أن أكتب عن أبطال الاسلام الذين لم يكتب عنهم أحد، وهم لا يقلّون عن المشتهرين جدارة، وحدد أسماء بأعيانها مثل النعمان بن مقرن وعماد الدين زنكى وقتيبة بن مسلم، فكان الأستاذ الزميل يساعدنى في استعارة المراجع، وفي شراء ما يتطلبه البحث من مصادر، ويعدّ ذلك مصدر سعادة له، ويقول لي: أنت تدفعني للعمل، وسأكون في يوم ما مؤرخا، لأنى أتابعك حين تقرأه وحين تجمع العناصر، وحين تنسق الحديث في اطمئنان، وهى تجربة لم أعهدها من قبل وسأحاول أن أسير على الطريق.

لقد توثقت الصلة بيننا، زمالة في العمل، وتعاوناً في البحث، فسعدت به، وسعد بي، وأصبح يحتل مكانة من نفسي!.

ثم شاء الله سبحانه أن يقع في هوى مدرسة تزامله معنا في المدرسة، وهو لا يزال في مقدمة الشباب ينشد الحب، ويهفو للغد المأمول، وكانت الفتاة ماكرة لعوبا تنشد مصلحتها الخاصة دون أن تشاركه عاطفته، وهو لا يعرف ذلك بل يعرف نقيضه تماما، وهكذا ارتطم بالأحداث.

كان بدء الصداقة أنها جاءت إليه ذات صباح، وكانت تقطن القاهرة، وتعمل في مدارس الفيوم، وتسافر يوم الخميس ظهرا وتحضر صباح السبت، فأرادت أن تضيف الخميس الى الجمعة فتكون الإجازة يومين لا يوما واحدا، وقد رأت أن صاحبنا وديع رقيق وهو يدرس مادة التاريخ في الفصل الذى تدرس فيه يوم الخميس مادة الانجليزى فأخذت تسرّ إليه اقتراحها، وكأنها تتحدث الى حبيب تعرفه من قديم، وقد قالت له: إن جدول العمل المدرسي يحتم أن أدرس يوم الخميس، ولي به حصة واحدة في الفصل الذى تدرس به التاريخ، فلنتفق على أن تأخذ أنت الحصة، وكأنها فى مقررك الدراسى، وأنا أغيب دون أن يشعر أحد! وكانت نظرتها تعطى الكثير من علائم الحب والشوق، وقد شفعت رجاءها بقولها، ليس لي في المدرسة غيرك إذ لا أميل إلى أحد سواك فأنت لست زميلى فقط، ولكن أكثر من ذلك، وقلبك يحدثك!

المسألة خطيرة، وإذا كُشف أمرها أدّت الى



أ. د. محمد رجب البيومي

عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر - مصر

عواقب وخيمة، فهذه مدرسة تترك عملها الرسمي المنوط بها، وتحاول أن تعوض الحصة فيما قبلها من دروس الأسبوع، وهذا مدرس يعاونها على الخيانة العلمية، ويقوم بما لم يُعهد إليه، ومالا يحتمله مقرره المحدود في حصتين لا ثلاث، والحبّ أعمى، فقد وافق المدرس، وعدّها شهامة ومروءة، ولم يسأل نفسه ماذا يكون الحال لو كُشف الأمر، وبدأ التحقيق!.

وقد سار الأمر وفق هذا الاتفاق دون أن يبعث على الريبة، لأن الطالبات يعتقدن أن الحصة للتاريخ لا للغة الانجليزية فلا شكوى، وكأن الله قد رحم هذا المسكين، فلم يحدث ما يبعث على السؤال ثم الاستجواب، ومرّ العام على منواله الخادع، وصاحبنا لا يقبض غير الابتسام المشجع، ويرى فيه دلالة حب لا يتداخله الريب، وقد يُفضي الى زفاف قريب.

وجاءت العطلة السنوية، وكانت تمتد حينئذ الى شهرين ونصف، فأخذ صاحبنا يعاني من الفراق أكثر مما يتحمله قلبه الواهن، وصادف أن ذهب الى المدرسة فرأى في البريد خطاباً للمدرسة الغائبة في القاهرة، فحمله بين يديه كما يحمل أعز الذخائر، ورأى أن ينتهز من ذلك فرصة لمراسلتها، فأخذ الخطاب، ووضعه في ظرف أكبر من حجمه، وأرسله مسجلا بعنوانها الذى نقله من إدارة المدرسة، وكتب ورقة صغيرة تقول لها: إنه وجد هذا الخطاب، ويخشى أن يحمل من الأنباء السريعة ما يشغلك، فلذلك بادر بارساله مسجلا، وأخذ ينتظر الرد السريع، فهو يذهب كل صباح الى المدرسة، ويسأل عن البريد، دون جدوى، ويقول لقد بعثت الخطاب مسجلا، فلم لم ترسل الرد؟ أتكون مريضة؟ لعل الله يجعله خيرا. وهو مع ذلك يذهب يوميا لمراجعة البريد دون جدوى.

ثم أقبل العام، وسارعت المدرسة لمراجعة جدولها المدرسي، فلم تر صاحبنا يشترك معها في فصل واحد، وإذن فلا ضرورة لاستقباله، والزميل متلهف على لقائها، ويصطنع الصبر وهي تروح وتغدو دون أن يجد منها أدنى إشارة، ثم رأى أن يفتح باب الحديث، فاعترض طريقها، ليقول لها، إنه وجد خطاباً باسمها، وخاف أن يكون هاما بالنسبة إليها، فأرسله مسجلا، فهل وصل؟ وفوجىء بها تقول: لقد ضحكت مع والدى كثيرا لهذا العمل؟ خطاب من تلميذة لا يقدّم ولا يؤخر يجعلك ترسله اليّ وكأنه يحمل شيكا بألف جنيه!! ثم تركته وفي وجهها علامة الاشمئزاز!

صُعق صاحبنا، لأنه وجد آماله تنهار فجأة، كما يتهدم القصر الشامخ بزلزال مفاجيء، وذهب الى منزله حزينا يتقطع قلبه أسفا، ثم جاءت الأنباء إلينا بانتقاله الى المستشفى مريضا بالزائدة الدودية التى يجب استئصالها، فأسرعنا الى زيارته، ونظرت إليه، فوجدت في عينه عبرة توشك أن تسيل! فآثرت أن أبقى معه بعد خروج الزملاء لأعلم من أمره ما أجهل!

ولم يكن في حاجة الى سؤالي، بل بادر بنفسه فأطلعنى على حديث المقابلة اللعينة التى نغصت عيشته، ولم يذق النوم بعدها، حتى داهمته الزائدة الدودية فكادت تقضي عليه، وقد غضب غضباً عنيفا لهذا الجحود البغيض! لقد كان فى مقدورها أن تتحدث عن الرسالة بمودة، وأن تظهر لصاحبها كفاء ما يستحق من شكر، إذ عرّض نفسه للمساءلة التأديبية في سبيلها؟ كان في مقدورها ذلك وان لم تحمل له أدنى ميل قلبي، أما أن تقول إن الرسالة كانت مادة سخرية بينها وبين أبيها، فهذا مالا يطاق!

ولم أر بُدا من أن أواسى صاحبى بشتى

العبارات، كما أذكر أنى قلت له، لا تأس على هؤلاء، فقد أراحك الله من هذا الطراز الجحود، ولو قدر لها أن تكون زوجتك لأرتك من الأهوال ما يقضى عليك! فاحمد الله ثم احمد الله! وأذكر أننا تناقلنا حديث الشعر والفكاهة والأدب، وقلت له إن صاحبتك ستبحث هذا العام عن زميل آخر تخدعه كما خدعتك لأنها من الطراز الذى قال عنه القائل:

اليوم عندك دلّها وحديثها
وغداً لغيرك جيدها والمعصم

وخرج من المستشفى بعد العلاج، ثم فوجئت به يتقدم بطلب الى عميدة الدار يرجو به أن توافق على نقله للمدرسة الصناعية لأنه تحدث مع المفتش بالمديرية في ذلك، وأبدى استعداده لو وافقت السيدة المديرة! فدهشت السيدة لما لم تتوقع، وهى تعرف في الزميل حرصا على العمل، وكفاءة في المادة، وقالت له: يارجل إن مستوى المدرسة الصناعية، لا يناسب مركزك ولا يذهب إليها غير من يضعهم المفتش في الصف الثانى كفاءة وعلماً، لأن المواد الثقافية هناك ضئيلة، وقد لا تُؤَدَّى لاشتغال الطلاب بالدروس العملية، فماذا جدّ بعقلك، وكان الجواب حاضرا هيأه من قبل، فقال، لقد التحقت بالدراسات العليا بكلية الآداب وأريد أن أتفرغ للبحث العلمي، والمدرسة الصناعية هي التى ستساعدنى على ذلك ورجائى أن تكونى في صفي نظراً لما أحلم به من مستقبل مشرّف! وحين سمعت هذه الحجة التى لفقها الزميل تلفيقا ناجحاً بادرت بالقبول.

لم يفاتحنى الرجل فيما نوى أن يفعل، ففوجئت بانتقاله الى المدرسة في مدى سريع، وأسفت لحرمانى من رؤيته اليومية، ثم انتقلت الى منزله بعد الغروب، لأسأله عن تصرفه الشاذ، فقال لى في صراحة: أخى أنا لا أصبر عن رؤيتها، وأكاد أرتمى عليها حين أراها، وأخشى إذا صادفتها في الطريق أن أتذلل لها بما يهين كرامتي، فأنا أعرف نفسى جيدا، ولابد أن تعذرنى فآخر الدواء الكيّ.

ولم ينقطع تزاورنا، فكنت أذهب إليه في منزله أسبوعيا، كما يأتى اليّ، وفي زيارة هادئة حدثنى أنه بدأ يستريح، وأن الخصام أحدث له هدوءا لا عهد له به، ويدعو الله أن يتم عليه هذه النعمة التى ستنقذه من الجحيم، وأطال الحديث في ذلك إطالة حمدتها وسررت منها وكانت لى تجربة من قبل، في السلوّ بعد الحنين، والراحة بعد العناء، فخرجت من لدنه، وفي نفسى خواطر شتى رأيت أن أنظمها في قصيدة تحت عنوان (راحة الخصام) وقد جاء فيها:

نويتُ خصامها ولبثْتُ أخشى
هياج مشاعرى غبّ الخصام
كتمتُ عواطفى وبعدتُ عنها
كما امتنع المريض عن الطعام
وبدءاً كنت أشرد في ذهول
لذكراها، ويرجع لي اعتزامي
أحسّ بمحنة فأقول ربي
معى في محنتى، وبه اعتصامي
اذا التهب الغليل تلوت آيا
من القرآن تبرد من أوامي
مران كان يرهقنى ابتداء
فأصبح هينا سلس الزمام
ألفت به الخصام لحسن حظى
فأصبح بعدها سلس الزمام
فلم أزْفُر، لرؤيتها حنيناً
وقد ماست بممشوق القوام
ولم أرصد محياها وضيئا
وقلبى فائر النبضات دام
ولم أخشع بمجلسها خجولا
أنافقها بمعسول الكلام
رأيت شموخها يزداد بغياً
ويطمس كل معنى لاحترامي

فأزمعت الخصام وكان خيراً
لديّ من المذلة في الوئام
صبرت بل اصطنعت الصبر حتى
سلوت، وكانت السلوى مرامي
خصامٌ كاد أن يغدو وصالا
لما أبدى من الحنق الجسام

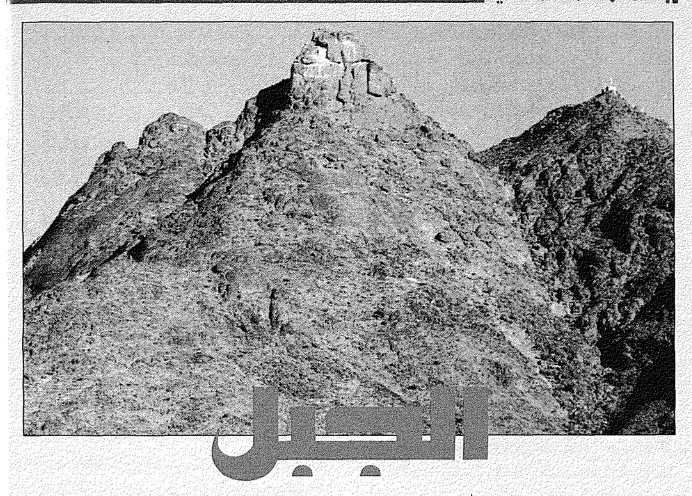
ولكن هل انتهى الأمر الى ذلك؟ .. لقد جدَّ من الأحداث ما أعاد الحرب جذعة، فإن هذه الماكرة تعرف في أعماقها شدة كلفه بها، وسطوة غرامها بقلبه، فأرادت أن تستغله بعد ابتعاده عن مسرح الأحداث بمدرستها، فأبصرها ذات صباح تقف أمام مدرسته، وتبتسم له ابتسامة ينخلع لها قلبه الضعيف، فأقبل نحوها وهو لا يصدق عينه، فتظاهرت بالأسف لفراقه، وأعلنت أنها عرفت مكانته في قلبها منذ انتقل الى مدرسته الجديدة، ثم قالت ان ابن أختها تلميذ بالمدرسة الابتدائية، وهو يسكن بهذه المدينة مع أمه، ويريد درساً خصوصيا في اللغة الانجليزية، وهي تعلم أنه درّس هذه المادة بمدرستها حين احتاجت الى مدرس، ولم تسعفها الوزارة بمن تريد، فاختارته العميدة، وهو مدرس التاريخ فأدى الدرس كأحسن ما يكون الأداء، وحين حدثتها أختها بالأمس عن ولدها، وضرورة احتياجه الى مدرس لم تفكر في غيره، ثم قالت ستأخذ أجرك كاملا، فهذا شيء، وعلاقتنا شيء آخر، وأنا لك في مستقبلك السعيد. لقد كانت كلمة (وأنا لك في مستقبلك السعيد) كافية لأن يعلن صاحبنا قبوله، وأن يصر على أن الدرس سيكون مجانيا من أجلها، ولن يقبل مليما واحدا، وهذا ما كانت تتوقعه، ودبرت الحيلة لاتمامه، ومنذ اليوم والمسكين يتوجه الى المنزل ثلاث مرات في الأسبوع، ويبذل الجهد كل الجهد في تعليم التلميذ الخائب، بل تطوع لتدريس مواد أخرى وهو في أتم الابتهاج.

ثم كانت المحنة - المحنة الخاصة بقلبه - حين حدثه التلميذ أنه سيذهب مع الأسرة يوم الخميس القادم الى القاهرة فلا ضرورة لحضوره هذا اليوم، لأن خالته هذه الماكرة سيتم زفافها هناك الى محاسب بمديرية الضرائب!! لقد نزك الخبر على قلبه نزول الصاعقة من السماء تهوى على جسم هش فتكتسحه اكتساحا! أين قول هذه الكاذبة (أنا لك في مستقبلك السعيد) قبل ثلاثة أشهر قضاها مدرسا خصوصيا متفانياً في أداء رسالته دون مقابل، وفي ظنه أنه أصبح أحد أفراد الأسرة، وستتحقق منيته عن قريب.

خرج المسكين يجر رجله جرا، وهي تسير به تلقائيا دون عقل واع يدفع بها الى المسير ولولا رحمة الله لصدمته سيارة فأتت عليه، وظل بالمنزل يومين لا يبرحه الى مدرسته ثم أرسل اليّ فوجدت شبحا لم يتحمل الصدمة الثانية، واستمعت إلى قصته، فقلت له يا أخى، أنت مدرس ناجح، ولك مستقبل زاهر بإذن الله تعالى، ولابد أن تبحث عن عروس مناسبة تنسيك ما أنت فيه، فالدنيا تحفل بمن هي خير منها! هلم هلّم، فقال في انكسار إن والدتى منذ عامين قد عيَّنت لى جارة مهذبة تحمل كفاءة المعلمين، وتعمل بالمدرسة الأولية، وهي ذات حسن وافر، وكانت تحدثنى في أدب، قبل أن تخبرها والدتى برغبتها في أن تكون عروسي! فجللها الحياء، وجعلت تبتعد كلما رأتني! ولكن والدتى تطمئنها، وأنا في مأساة حبى بعيد عنها، لا أفكر فيها! وسأذهب يوم الخميس لأعلن رغبتى، وستفرح والدتى، فقد كثر إلحاحها، وقد بالغت في الثناء عليها وعلى أهلها مبالغة لم تأت عن فراغ، ولكن عن بحث وتنقيب.

قلت : هداك الله ثم هداك، لقد ساعدت الأقدار على توفيقك، ويخيل اليّ أن هذه الماكرة كانت ستذيقك الأهوال لو اقترنت بك، وقد أنجاك الله! ثم داومت زيارته في ثلاثة أيام متعاقبة حتى جاء الخميس، وقد اعتزم اعتزاما لا يقبل النكوص! وكان تفكيره في الجارة المهذبة ماحياً لما أحسه من خذلان في الموقف الأليم!

إن قصته هذه لا تبرح مخيلتى، وقد أردت أن أبوح بها للقارىء، فقد يجد فيها موضعا للتأمل الرشيد.



الجبل في الشعر الجاهلي بين الواقعي والتخييلي

العلاقة بين الشاعر الجاهلي والمكان علاقة عضوية، وليس هناك من يماري في أن تجربته الشعرية تنطلق غالبا من محورية المكان، وإدراكه لسلطته القدرية والأزلية على حياته ووجوده المادي والمعنوي وذكرياته وواقعه وخياله. في كل قصيدة تقريبا هناك بداية من مكان ما، والإشارات المكانية في قصائد ما قبل الإسلام هي نموذج لرؤية الشاعر للكون وللحياة، وإحساسه بحيزه الذي يتحرك فيه.

يوجد الشاعر الجاهلي في مكان حقيقي حين ينظم القصيدة، لكن انتماءه قد يكون لأمكنة أخرى، ربما كانت هي التى ترد في تلك القصيدة، وربما أخرى تنزاح دلالتها وتختفي تحت ستار كلماته، فيحدث ربط بين الواقعي والتخييلي، و«لن نستفيد شيئا كثيرا إذا تمسكنا بالتمييز القديم بين التخييل والواقع كإطار مرجعي. إن النص الأدبي مزيج من الواقع وأنواع التخييل»[١]، ومن ثم فإن للقصيدة؛ أية قصيدة، دلالة مرجعية يقدم الشاعر بوساطتها صياغة جمالية لوظيفة المكان؛ فهو لا يعيش فيه فقط، وإنما يعيش داخله

إبراهيم أمغار
كلية الآداب والعلوم الإنسانية - المغرب

ويتجاوزه الى ما وراءه في الوقت نفسه؛ ولهذا يمكن القول بأن المكان جزء من الإنسان ومكون حضاري فاعل في تاريخه وذاكرته وحياته، وليس مجرد زخرفة إضافية تؤثث فضاء القصيدة، كما أنه بحضوره القوي المتعالي يستحيل عليه أن يختفي أو أن ينعدم، ليس لأنه كيان مادي رمادي منعدم الطعم والشخصية، بل بسبب الرؤية الإنسانية التى لا تعبر عن نفسها إلا من خلال أشكال حضارية محددة، ومنها فضاء المكان وتصوره له الذي ينفتح، حسب غريماس وكورطيس، على ثلاث وجهات[٢]:

- وجهة نظر هندسية: وهذه لها علاقة بالمكان بمفهومه الجغرافي.
- وجهة نظر نفسية فيزيولوجية؛ يؤثثها الوعي واللاوعي والوجود المادي للإنسان.
- وجهة نظر اجتماعية ثقافية؛ تتشابك فيها تمظهرات هذا الوعي بالواقع الاجتماعي الثقافي، أو الحضاري بكلمة جد معبرة ودقيقة.

إن هذا يبين بجلاء أن المكان ليس فضاء خاليا من أي مضمون، بل هو رمز يكشف عن إمكانيات دلالية متعددة، من منابع مختلفة: نفسية، وثقافية، واجتماعية، وجغرافية.. والرمز جزء من جوهر الإنسان[٣]، وهو ضروري بالنسبة إليه بحيث «يكشف أكثر طرائق كينونته خفاء»[٤]؛ إنه قوة كاشفة وإيمائية «تقذف بالإنسان في عالم روحاني (...) أغنى بكثير من عالم لحظته التاريخية المغلق»[٥].

وانطلاقا من هذا الاقتناع بأن المكان يتجاوز مفهومه الجغرافي، لكونه أوسع منه ومشتملا عليه في آن واحد، سنحاول مقاربة صورة الجبل في القصيدة الجاهلية، وسنحاول رصد هذا العنصر المكاني باعتباره رمزا له دلالاته الثقافية والاجتماعية والتاريخية في الشعر العربي الجاهلي؛ وإن كان المنطلق، ضرورة هو التحديد الجغرافي.

ولم يأت اختيار هذا العنصر اعتباطا، وإنما لأنه من أكثر الأمكنة ورودا في هذا الشعر؛ ولأنه يكشف بجلاء عن ارتباط الإنسان بالمكان، وتصوره له:

١- سمات الجبل في الثقافة :

ارتفع الشيء بنفسه إذا علا، وارتفع الشيء أيضا تقدم، ومن معاني الارتفاع الواردة في المعجم: الشرف، والعظمة، والكرم، والاكتناز[٦]، ومن ثم فإن الارتفاع غالبا ما يدل على العزة، والدرجة، والمرتبة المعنوية أو الفضائية، ومما يؤكد ذلك قول الشاعر السَّموأل:

لنا جبلٌ يحتلُّه من نُجيره
منيعٌ يردُّ الطرف وهو كليلُ

فمنعة القوم من منعة جبلهم الذى يلجؤون إليه عندما يستجير بهم أحد، وهو كفيل بأن يرد غائلة المغيرين والمعتدين، وهو المعنى نفسه الذى يؤكده القرآن الكريم على لسان ابن نوح {**سآوي إلى جبل يعصمني من الماء**} (هود/ ٤٣).

ولا شك أن الجبل هو أكبر تجل طبيعي للارتفاع والتعالي، وهو الشيء الذي من شأنه أن يوجه بصر

المكان عند الشاعر الجاهلي جزء حضاري وفاعل في حياته

الناس وقلوبهم نحو السماء، حيث يكشف مجرد التأمل فيه القوة والعزة والثبات واللاتناهي[٧]. ولذلك يمثل الجبل مكانا مفضلا للعبادة، لا سيما وأنه يساهم في رمزية السمو نظرا لقربه من السماء، وكان الإنسان القديم يعتقد أن المطر ينزل من السماء عبر الجبل، وكل عمليات استنزال المطر كانت تتم عبر الجبل. وهو موضع التبتل والتحنف، ومن المعروف أن الرسول {صلى الله عليه وسلم} قبل البعثة كان يصعد جبل ثور، ويتحنث في غار حراء[*أ]. ومن الأمور الدالة حج العرب الى عدة جبال كعرفات والمزدلفة..

وقد تضمن القرآن عدة لمحات تشير الى قدسية الجبل[*ب]:

{وإذ قال ابراهيم: رب أرني كيف تُحْيِ الموتى؟ قال: أو لم تؤمن؟ قال: بلى ولكن ليطمئن قلبي. قال: فخذ أربعة من الطير فَصُرْهُنَّ إليك ثُمَّ اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا} (البقرة/ ٢٦٠)[*ج]، **{قال: لن تراني، ولكن انظر الى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخرَّ موسى صعقا}** (الأعراف/ ١٤٣)[*د]، **{ففهَّمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما، وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين}** (الانبياء/ ٧٩). **{ولقد آتينا داود منا فضلا، يا جبال أوبي معه والطير}** (سبأ/ ١٠)، **{لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعا من خشية الله}** (الحشر/ ٢١).

وكانت الجبال دائما مصدر مقارنة مع قدرة الله الكبيرة التى لا تحدها أية قدرة أخرى، كيفما كانت. وكانت هذه المقارنة لرسوخ اعتقاد العرب في الجاهلية بأن الجبال أعظم ما في الوجود، وأكثر الأشياء صمودا أمام حوادث الدهر وتصرفات البشر، وقد أزال الله سبحانه وتعالى هذا التصور في آيات عديدة، منها قوله تعالى:

- **{تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخرُّ الجبال هدّا}** (مريم/ ٩٠).
- **{ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا}** (طه/ ١٠٥).
- **{وبُسَّت الجبال بساً، فكانت هباء منبثا}** (الواقعة/ ٥ - ٦).
- **{وحُملت الأرض والجبال فدُكّتا دكّة واحدة}** (الحاقة/ ١٤).
- **{وإذا الجبال نسفت}** (المرسلات/ ١٠).
- **{وتكون الجبال كالعهن المنفوش}** (القارعة/ ٥).

٢- سمات الجبل في الشعر :

(أ) الدلالة الأنثروبولوجية للجبل:

الجبل، إذن، فضاء تجل للسماوي والعلوي، وكل ما ينبثق عن هذا التعالي يكون مشبعا بقدسية كونية[٨]، ولهذا فإن مصدر الماء المبارك من الإله لابد وأن يكون

من جبل كما يقول عبيد بن الأبرص:

بارك في مائها الإله فما
يبصُ منهُ كـأنهُ عسلُ
من ماء حجناء في مُمنَّعة
أحرزها في تنوفة جبلُ[*]

وحين يقول امرؤ القيس :

عيناك دمعهما سجالُ
كأن شأنيهما أوشالُ

فهو لا يرسم صورة شعرية فقط، تشبه انهمار الدموع؛ دموع الفقدان والضياع، بالأوشال، أي المياه المتقطرة من بين صخور الجبال قليلا قليلا؛ فهذه المياه لها رمزية أبعد، مغايرة لمياه الغدران أو الآبار.. فمياه الجبال هي رمز للحياة الجديدة؛ مياه من مصدر علوي، ولذلك تعلقت بها نفس الشاعر.

وفي بيت آخر موال يقول امرؤ القيس :

ناعمة نائم أبجلها
كأن حاركها أثالُ[*]

فهو يشبه عضوا من أعضاء الناقة القوية بـ «أثال»، وهو جبل له شكل طوبرغرافي مميز، لكن دلالته اللغوية تقدم لنا معنى جديدا يؤكد أن هذا الجبل ليس مكانا جغرافيا فقط، بل ولج مجالا وظيفيا رمزيا، فـ «أثلة كل شيء أصله، (...) وأثل يأثل أثولا وتأثل: تأصل»[٩]، ومن ثم فإن تشبيه الناقة بهذا الجبل إسقاط لمعانيه عليها، فهي مثله الشيء الدائم، المجموع، الأصيل، والمتصف بالمجد[١٠]. وهذا التلازم بين الحيوان، والناقة خصوصا، وجبل «أثال» وارد في قصائد عدة[١١]، ومنها قول متمم بن نويرة يصف ناقته التي ترافقه في رحلته:

**** الجبل يمثل رمزاً له دلالاته الثقافية والاجتماعية والتاريخية في الشعر العربي الجاهلي.**

مجدة عنس كأن سراتها
فدنٌ تُطيف به النبيط مُرفعُ
قاظت أثال الى الملا وتربعت
بالحزْن عازبة تُسن وتودعُ

وفي رحلة لربيعة بن مقروم، تصبح الناقة حمارا وحشيا يعدل عن مياه «قو» ليرد مياها أخرى أقربها «أثال»، وذلك لحرصه على أتنه من تقلبات الدهر، ومطاردة الصياد وكلابه، فالجبل مانع له منها:

تجانف عن شرائع بطن قو
وحاد بها عن السبق الكراعُ
وأقرب مورد من حيث راحا
أثال أو غمازة أو نطاعُ

ويمكن لنا أن نتصور بحذر أن لهذه العلاقة بين الحيوان والجبل جذورا أسطورية، قد تتفق وإشارة على البطل الى أن ما بقي من صورة الحمار الوحشي في الشعر، تكون ملامح من أسطورة مفقودة، تتصل اتصالا كبيرا بالترحل، والانتقال التي تقوم بها الأحياء البدوية بين مناطق الرعي وموارد المياه[١٢].

أما علاقة الإنسان بالجبل فلا متناهية، فهي مصدر لقوته وبأسه يحميه حتى من الموت، كما يقول عنترة بن شداد:

فلو لاح لي شخص الحمَام لقيتهُ
بقلب شديد البأس كالجبل الراسي

** الجبل رمز للشموخ والكبرياء والمنعة والثبات.

فالجبل، في تصوره كائن ممتد في الزمن، لا تعدو عليه نوائب الدهر، وهو خالد لأنه مترسب في المكان، ولا تؤثر فيه كل الظواهر الكونية الكبرى؛ ولذلك يقول أوس بن حجر:

ألم تُكْسَف الشمس والبدرُ والـ
كواكب للجبل الواجب

وينتصب الجبل أيضا بطبيعته المتعالية معاندا لكل مرتحل ومغريا بالتحدى والصراع، إنه يعرقل الجياد، ويقف حائلا دون اقتفاء المنهزمين المعتصمين بالأشكال المرتفعة التى تحتضن المحتمي بها، وتعاند الأقوياء؛ يقول حسان بن ثابت[١٣]:

ويوم ودان أجلوا أهله رقصا
بالخيل حتى نهانا الحزن والجبلُ

ويظهر الجبل أيضا رمزا للقوة والقدرة التى يكتسبها كل من يجرؤ على ارتفاعه، فيعتليه متحديا من يعيشون بين الحفر؛ فهذا كبش النعمان بن المنذر يتبختر في حمى صاحبه، ويتحدى الناس بتنقلاته المثيرة بين المرتفعات، وبانتهاكه لحماهم، ويتحدى أيضا علباء بن أرقم، وفي هذا السياق يماثل هذا الموقف قصة نبي الله صالح، فالنهاية تتم بعقر الكبش والناقة؛ إذ انهما يمثلان القدرة القاهرة؛ القدرة الإلهية التى يتمرد عليها كفار ثمود[*هـ]، وسلطة الملك الطاغي التى يرفضها الشاعر وقومه[١٤]:

وأي مليك من معد علمتمُ
يعذبُ عبداً، ذي جلال وذي كرمْ
أمنْ أجل كبش لم يكنْ عند قرية
ولا عند أذواد رتاع ولا غنمْ
يمشي كأن لا حي بالجزع غيرُه
ويعلو جراثيم المخارم والأكمْ

يظهر لنا، إذن، أن علاقة الشاعر الجاهلي بالجبل غير مستقرة؛ فهو أحيانا خاضع لسلطته، راض بتعاليه الذي يحاول تمثله أو «استمداده» (من المدد)، وفي أحيان أخرى يكون مستعدا للدخول في صراع معه، عازما على تحديه وقهره، بل وإخضاعه كما يقول عنترة:

بل لو صدمتُ بهمّتي جبلي حرى
قسماً وحق أبي قبيس تزلزلا

ورغم ما في هذا البيت من مواجهة لجبلين، إلا أن الشاعر يقسم فيه أيضا بجبل آخر هو جبل «أبي قبيس» والقسم به دليل على تقديسه؛ وتميزه راجع الى إشرافه على المسجد الحرام بمكة، ولا شك أن لاسمه المشتق من القبس دلالة فوق طبيعية، فالقبس هو النار وهي، كما هو معلوم، من المعبودات الشائعة في جزيرة العرب، خصوصا عند الأقوام المتصلة بالفرس والمجوس، وهي تسمية دالة على الخصوبة أيضا، يقول الشاعر[١٥]:

حملت ثلاثة فوضعت تمّا
فأُمٌّ لقوة وأبٌ قبيسُ

والفحل القبيس هو ما كان سريع الإلقاح، ومن ثم يمثل الجبل الذكر التام الفحولة القادر على إخصاب النساء.

يستدعى الجبل، إذن، تصورين متقابلين، فمن جهة

يحلم الشاعر الجاهلي بمماثلته واحتواء سماته الدلالية والثقافية، بل يجسد له أحيانا كيانا سماويا متعاليا على الزمان والمكان، لا يمكن مقاومته. ومن جهة أخرى، يقبل الشاعر أحيانا على تحديه ومقاومته؛ كما أن هذه الازدواجية لا تبرز كشيء معطى، بل تتم عبر مستويين؛ واقعي مرجعي يستمد مكوناته من الصفات الطبيعية الجغرافية للجبل، ومستوى معرفي يضفي عليه سمات ثقافية ونفسية مستمدة من بقايا تصورات سائدة عند العرب، وخاضعة لأحوال وأحداث تاريخية ومعيشية (الحروب، الحج، الرحلة..)؛ وبواسطة هذه الدلائل يتحول الجبل الى رمز تخييلي أدبي في أشعار الجاهليين، وهذه في الحقيقة مصدر قوته العملية وحضوره النافذ. وممارسة الشاعر الجاهلي لعملية التخييل هاته تعني اعتبارها فعلا قصديا، وهو فعل تكون له جميع خصائص حدث ما. وليس المقصود به ذلك التعريف القديم للتخييل باعتباره غير واقع ومجرد أكاذيب وخداع، لأنه يميل الى جعل الطبيعة الخاصة للتخييل غامضة بدل توضيحها.

(ب) الجبل مقابلا للوادي:

لا يمكن أن نفهم الدلالة الرمزية للجبل في شعر الجاهليين، إلا باستحضار إحدى مقابلاته الطبيعية. ففي قصيدة امرىء القيس السالفة الذكر، مثلا، نجد قوله:

وغـائط قـد هبطتُ وحـدي
للقلب من خـوفـه اجـتـلالُ

فبعد أن كان حديثه عن الجبل الذي شبه دموعه بمياهه، وشبه أعضاء ناقته بشكله، انتقل الى الحديث عن واد واسع غائط أي عميق ممتد، وليس هذا الانتقال بالفجائي أو الغريب، فمن الطبيعي أن تتداعي الى ذهنه مباشرة صورة الوادي، فهو المقابل الطبيعي والجغرافي للجبل؛ إذ لا وجود لواد إلا بين جبلين، وإذا كان الجبل أعلى نقطة مرتفعة على سطح الأرض فإن الوادي أدنى نقطة منخفضة، المياه التى تنبع من أعالى الجبال لا تسيل إلا من خلال الأودية، فهي مسلك المياه والسيول، بل إن الوادي لم يسم واديا إلا لسيلانه[١٦]، «إنه شكل تندفع فيه سيول الرحمة أو الغضب، وتستقر في بطونه مياه الحياة، إنه مكان يلجه الشعراء طلبا لحماية الخصب، أو يخرجون منه نحو مغامرات أو غارات جديدة»[١٧].

يتقابل الوادي أيضا مع الجبل من حيث درجة الورود في شعر ما قبل الإسلام، فـ «أغلب نصوص الجاهلية لا تكاد تخلو من أشكال الوديان»[١٨]. وتبدو أهميته لتقلباته التى تجعله مقرا أو ممرا، مخصبا أو مجدبا، بناء أو هدما، علوا أو انخفاضا، سعة أو ضيقا، ولعل هذا يكون السر وراء وصف القرآن الكريم الشعراء بأنهم **{في كل واد يهيمون}** (الشعراء/ ٢٢٥).

وإذا كان الجبل هو

** اضافة الى قوته وامتداده اللامتناهي في أعماق الجاهليين: الجبل رمز تخييلي أدبي في اشعارهم.

** تشبيه الجاهلي لناقته بالجبل اسقاط لمعانى الجبل عليها.

التجسيد الطبيعي لقيم العزة والمنعة والقوة والخلود، فإن الوادي بانخفاضه يرمز، غالبا، الى الذل والانكسار، فهو ساحة القتال والحروب ومحل الموت؛ يقول عامر بن الطفيل:

وانقضت الخيل من وادي الذناب وقد
أصغت أسنتها حمرا من الودج

ويقول أيضا:

وبالنقع من وادي أبيدة جاهرت
أنيسا وقد أردين سادة خُثعما

ويقول عنترة :

ولقيت الأبطال في كل حرب
وهزمت الرجال في كل وادي

وغالبا ما تمثل الأودية أيضا مواقف للبكاء على ديار الحبيب، كما في مطلع معلقة امرىء القيس، وهي مكان التقاء العشاق لأنها تمثل أحضان الأرض ـ الأم؛ حيث الخصوبة والحماية من عنف الخارج، وترتبط بالنعمة ولذة العيش التى يرفضها الشاعر طرفة بن العبد بعد موت أصحابه:

أبعد بني ذرى بن عبدل إذ غدا
بهم من يرجى لذة العيش بالخفض

ولذلك يهرب الشعراء من الوادي الذى يمثل رحم الأنوثة الى الجبل المعاند بطبيعته والملائم أكثر لنفسيتهم، والذي يرون فيه عالم الذكورة والفحولة، يقول الأعشى[١٩]:

لن تزالوا كذالكم ثم لا زلـ
ـتُ لهم خالدا خلود الجبال

ويقول آخر :

لنا هضبة لا يدخل الذل وسطها
ويأوي إليها المستجير فيعصما

تضفي، إذن، هذه التقابلات الواقعية والتخييلية بين الجبل والوادي على شعر الجاهليين توترا وترددا بين عوالم كثيرة (العزة/ الذل، الحياة/ الموت، الذكورة/ الأنوثة..)، وهو ما يثبت أيضا تنامي الإحساس لدى الشعراء بالأمكنة وتحولاتها التى تكاد تتشابه مع التحولات الإنسانية.

لقد أوجزنا الكلام فيما سبق عن صورة الجبل ورمزيتها في التصور العربي الجاهلي، من خلال بعض النصوص الشعرية التى تمثل عينة يسيرة من كم أكبر، لكنها لا تخرج عن السياق العام لتصور العربي للمكان عموما؛ وينطلق هذا التصور من أن المكان مكون حضاري يتجاوز المعطيات المادية، رغم أن أقدامه مغروسة فيها؛ فالجبل كما رأينا جزء لا يتجزأ من العالم الطبيعي المادي، لكنه يتجه أيضا نحو ما هو متجاوز للمادة. ومن هنا هذه العلاقة الجدلية المتوترة بين الإنسان والجبل، يعيش في أنحائه ويتحرك وفق قوانينه الطبيعية، ولكنه في الوقت ذاته تتوق روحه الى عالم القيم التى اكتسبها من تصورات عربية قديمة؛ فهو في النهاية تعبير إدراكي لظاهرة مزدوجة: طبيعية وإنسانية، خاضعة لتحديدات مادية يمكن حصرها والتحكم فيها، وهي في الوقت ذاته مفارقة لحدود

المعطى النهائي الذي يتجاوز أفق الإنسان المنفصل عن الطبيعة والمالك لحرية أكبر في التعامل مع المكان والزمان. وبواسطة التخييل الشعري استطاع الشاعر الجاهلي تشكيل المكان الواقعي ليكون تربة خصبة تتجذر فيها تجاربه وتجارب غيره المستندة الى الثقافة والفكر والتاريخ.

الهوامش :

(١) التخييلي والخيالي من منظور الأنثروبولوجية الأدبية، فولفغانغ إيزر، ترجمة: حميد لحمداني والجيلالي الكدية، الناشر الأول بألمانيا Suhkamp Verlag، الطبعة الأولى ١٩٩٨م، ص ٠٧.

(٢) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولي، ١٩٨٥م، ص ١٦٤.

(٣) Mercia Eltade: Images et Symboles, Gallimard, paris, 1952, p. 13.

(٤) Ibid., p. 14.

(٥) Ibid., p. 15.

(٦) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، مادة (رفع).

(٧) Mercia ELIADE: Traite d;histoire des religions, payot, paris, 1983, p. 46.

(٨) Ibid., p. 89.

(*) يبصُّ: بصَّ الشيء بصاً وبصيصاً برق وتلألأ ولمع أو أضاء - حجناء: أي مائلة أو معوجة - تنوفة: التنوفة: الأرض القفر البعيدة الماء، وقيل التنوفة: المفازة.

(*) أبجلها : الأبجل عرق في باطن الذراع أو في الرجل، وكل شيء غليظ بجيل - حاركها: الحارك أعلى الكاهل - أثال: اسم جبل.

(٩) لسان العرب، مادة (أثل).

(١٠) الفضاء المتخيل في الشعر الجاهلي، رشيد نظيف، شركة النشر والتوزيع المدارس، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص ٠٥٧

(١١) نفسه، ص ٥٨ - ٠٥٩

(١٢) الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، على البطل، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨١، ص ١٤٤.

(١٣) الفضاء المتخيل في الشعر الجاهلي، ص ٢٥٥. ولنتذكر هنا احتماء الرسول [صلى الله عليه وسلم] بجبل أحد، والقصة المشهور عن عمر بن الخطاب الذي نادى من فوق منبره بالمدينة جيش المسلمين بفارس منبها قائدهم «يا سارية، الجبل الجبل».

(١٤) نفسه ، ص ١٤٥.

(١٥) لسان العرب، مادة (قبس).

(١٦) لسان العرب، مادة (ودي).

(١٧) الفضاء المتخيل في الشعر الجاهلي، ص ٢١٨.

(١٨) نفسه، ص ٣١٢.

(١٩) نفسه، ص ٢٥٧ - ٢٥٨.

المنهل :

(*أ) لا لأن الجبل يحمل خصوصية معنوية، بل لبعده المكاني، حيث لا شواغل من أهل أو دنيا تأخذ العابد عن عبادته.. وهذا الجبل وهذا الغار اكتسب مكانته الوجدانية في قلوب المسلمين لمكان وجود سيدنا رسول الله [صلى الله عليه وسلم] فيه.

(*ب) قدسية الجبل: ان كانت بمعنى المكانة الخاصة في الوجدان والعاطفة فلا غبار عليها، اما ان كانت بمعنى القداسة الروحية الدينية لذات الجبل، فهذا مالا نقول به.

(*ج) الجبل هنا معنى لتباعد المسافة، وان الله جلت قدرته قادر على جمع أجزاء تلك الطير من فوق قمم تلك الجبال.

(*د) المعنى هنا أن الجبل بكل ضخامته وثباته لا يستطيع الثبات امام تجلى الله سبحانه وتعالى.. فكيف يثبت بشر امام هذا التجلى العظيم.. وهذه النماذج لا قدسية فيها للجبل.. وحتى (عرفة.. والصفا والمروة..) هي جبال اختارها سبحانه وتعالى ليؤدى المسلم عندها بعض المناسك، لا ليقدسها أو يعظمها لذاتها.. والحجر الاسود قال فيه سيدنا عمر بن الخطاب: (... إني اعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع..) وجبل أحد (يحبنا ونحبه) حب قلبي متبادل، لكن لا قداسة ولا تعظيم.

[*هـ] الانسان يتمرد على ما يكون له فيه خيار التمرد، والناقة ما عقروها إلا لانه كان لهم خيار (الفعل من عدم الفعل) أما إن تعلقت القدرة الالهية بالا يمسها أحد بسوء، ما كان لأحد ان يصل اليها قط.. اذن: القدرة الالهية لا أحد يتمرد عليها.



الفرق بين خَلَقَ وبَدَعَ

الحمد لله، وصلى الله على سيدنا محمد ومن والاه، ومن أراد لهذه الأمة التيقظ والانتباه.

وبعد : فإننا هنا لا نريد أن نبين الفرق بين (خلق) و(بدع) بقدر ما نريد أن نبين كيف أن الله تعالى باين بين اللفظتين عند الاستعمال، وقبل أن أبين ذلك أعرف بكلمتيَ (خلق وبدع) عند أهل اللغة:

ففي التعاريف للمناوي[١] قال: الخلق: تقدير أمشاج ما يراد إظهاره بعد الامتزاج والتركيب صورة، ذكره الحرالي.

وقال غيره: أصله التقدير المستقيم، ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا اقتداء ، ومنه خلق السموات، ويستعمل في إيجاد شيء من شيء، نحو **{هو الذي خلقكم من نفس واحدة}**[٢].

وليس الخلق الذي هو الإبداع إلا لله.. اهـ.

وقال أبو هلال العسكري في الفروق اللغوية: الخلق: في اللغة التقدير، يقال خلقت الأديم (خفاً) إذا قدرته خفاً، ومنه خلق الثوب وأخلق: إذا لم يبق منه إلا تقديره، واخلولق السحاب: استوى، وإنه لخليق بكذا: أي شبيه به، كأن ذلك مقدر فيه، والخُلُق: العادة التي يعتادها الإنسان ويأخذ بها على مقدار بعينه، فإن زال عنه الى غيره، قيل تَخَلَّق بغير خُلقه، وفي القرآن الكريم **{إنْ هذا إلا خُلُق الأولين}**[٣] قال الفراء: يريد عادتهم.. والناس يقولون: لا خالق إلا الله، والمراد أن هذا اللفظ لا يطلق إلا لله تعالى إذ ليس أحد إلا وفي فعله سهو أو غلط يجري منه على غير تقدير، غير الله تعالى[٤].

هذا هو معنى (خلق) في اللغة.

وأما معنى (بدع) فقد قال الجرجاني في التعريفات[٥]: الإبداع: إيجاد الشيء من لا شيء، وقيل: الإبداع: تأسيس الشيء عن الشيء، والخلق: إيجاد شيء من شيء، قال الله تعالى **{خلقَ الإنسانَ من نطفة}**[٦]، والإبداع أعم من الخلق، ولذا قال تعالى **{بديع السموات والأرض}**[٧].

وفي المصباح المنير للفيومي قال: أبدع الله تعالى الخلق إبداعاً: خلقهم لا على مثال وأبدعت الشيء وابتدعته: استخرجته وأحدثته، ومنه قيل للحالة المخالفة (بدعة)... وفلان بدع في هذا الأمر أي هو أول من فعله، فيكون اسم فاعل، والبديع فعيل من هذا، فكأن معناه: هو منفرد بذلك من بين نظرائه[٨].

وقال أبو هلال العسكري: الابتداع: إيجاد ما لم يسبق الى مثله، يقال: أبدع فلان: إذا أتى بالشيء الغريب، وأبدعه الله؛ فهو مبدع وبديع[٩].

(قلت) بعد أن عرفنا ما عند القوم اللغويين - جزاهم الله تعالى خيراً - من تعريفات أقول: إن الله تعالى هو الخالق لكل شيء، وهو المسخر، لكن تأتي كلمة خلق عامة لكل شيء؛ مهما كان ذلك الشيء، سواء كان له مثيل أم لا، قال تعالى: **{خلق الإنسان من نطفة}**[١٠] فالإنسان له مثيل، وهو كل إنسان يماثله، وقال الله تعالى: **{خلق كل دابة من ماء}**[١١]، فالدواب لها مثيل ولها شبيه، ولكن عندما يذكر الله تعالى الأشياء التي لا مثيل لها يأتي بلفظ بدع.

قال الله تعالى: **{بديع السماوات والأرض، وإذا**



د. ياسين بن ناصر الخطيب

جامعة أم القرى - مكة المكرمة

قضى أمراً فإنما يقول له كنْ فيكونُ}[١٢]، وذلك لأن هذه السموات وهذه الأرض لا مثيل لها في تركيبها وما تحويه من الأشياء، وكذلك قوله تعالى: **{بديع السماوات والأرض أنَّى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليمٌ * ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل}**[١٣].

يدلك على ذلك ويبينه قوله جل جلاله لنبيه {صلى الله عليه وسلم} **{قل ما كنتُ بدْعاً من الرسُل وما أدري ما يُفعلُ بي ولا بكم إنْ أتَّبعُ إلا ما يُوحى إليَّ وما أنا إنا نذيرٌ مُبينٌ}**[١٤].

يعني بين لهم يا محمد وقل لهم: إنني لست أول من جاء بهذا الأمر؛ بل هناك من هم مثلي سبقوني الى هذا فأتى الله تعالى بكلمة (بدعاً) التى تغني عن كلام كثير، وتبين المراد بأخصر طريق.

وبعد ذلك رأيت كلاماً في المصباح المنير للفيومي يقول: ومنه قوله تعالى: **{ما كنت بدعاً من الرسل}** أي ما أنا بأول من جاء بالوحي من عند الله تعالى، وتشريع الشرائع، بل أرسل الله تعالى الرسل قبلي، مبشرين ومنذرين، فأنا على هداهم[١٥].

ومثله قوله تعالى: **{ثم قَفَّيْنا على آثارهم برسلنا وقفيْنا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون}**[١٦].

ومعنى **{ورهبانية ابتدعوها}** أي أنهم أتوا بشيء لم يُسْبَقوا إليه، ولا له مثيل بين الناس الذين قبلهم، كما أن الله تعالى لم يكتبها عليهم، فقوله تعالى **{ابتدعوها}** بينت لنا هذه الكلمة بأخصر عبارة، وبأوجز الكلام.

ويدلك على هذا أيضا أن الله تعالى قال: {خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين * والأنعام خلقها لكم فيها دفْءٌ ومنافع ومنها تأكلون * ولكم فيها جَمَال حين تُريحون وحين تسرحون * وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم * والخيلَ والبغالَ والحميرَ لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون}[١٧].

ولم يقل في كل ذلك بدع الإنسان من نطفة، ذلك لأن الإنسان له مثيل، كما لم يقل والأنعام بدعها لكم، لأن الأنعام متماثلة في خلقها، لأن الله تعالى قال: **{ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون}**[١٨].

وهكذا - باختصار - تبين لنا الفرق بين خلق وأبدع. والله أعلم.

الهوامش :

(١) التعاريف للمناوي ج ١ ص ٣٢٤.
(٢) سورة الاعراف آية/ ١٨٩.
(٣) سورة الشعراء آية/ ١٣٧.
(٤) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص ١١١.
(٥) التعريفات للجرجاني ج ١ ص ٢١.
(٦) سورة النحل آية/ ٤.
(٧) سورة الأنعام آية/ ١٠١.
(٨) المصباح المنير للفيومي ٤٤/١ (بدع).
(٩) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص ١٠٩.
(١٠) سورة النحل آية/ ٤.
(١١) سورة النور آية/ ٤٥.
(١٢) سورة البقرة آية/ ١١٧.
(١٣) سورة الانعام آية/ ١٠١ - ١٠٢.
(١٤) سورة الأحقاف آية/ ٩.
(١٥) المصباح المنير للفيومي ٤٤/١.
(١٦) سورة الحديد آية/ ٢٧.
(١٧) سورة النحل آية/ ٥ - ٨.
(١٨) سورة الذاريات آية/ ٤٩.

المسرح السياسي وإشكالياته

في الوقت الذي تجاوز المسرح العالمي تعريفه لمصطلح السياسي في المسرح؛ ما تزال الإشكاليات قائمة في الوطن العربي حول مفهوم المسرح السياسي وماهيته وممارساته؛ وهي إشكاليات ترتبط بإشكاليات المفهوم لمصطلح السياسة في الوطن العربي؛ وبالتالي مازال هناك غموض يؤدي الى فوضى في المصطلح؛ فوضى في التصنيف، وفوضى في الممارسة المسرحية؛ وبالتالي يمكن طرح اسئلة مثل:

- هل كل عمل مسرحي عربي يتناول ظاهرة سياسية هو مسرح سياسي ؟
- هل يدخل النقد الاجتماعي في تصنيف المسرح السياسي ؟
- أن يلجأ المسرح الى التراث العربي القديم لنقد ظواهر سياسية معاصرة هل يعني انه مسرح سياسي؟

الى آخر مثل هذه الأسئلة التى تعطي للمسرح السياسي العربي صفة الزئبقية وعدم الوضوح؛ فما يمكن وصفه بالمسرح السياسي في مكان يمكن وصفه بمسرح النقد الاجتماعي في مكان آخر؛ وعندما يحقق المسرح السياسي حضورا ما في فترة ما؛ سرعان ما يدخل في عملية تمييع يقوم بها المسرحيون أنفسهم لتصبح الحالات التى يصل إليها هذا المسرح عبئا على المسرح العربي اقل ما يوصف به بالتجارية.

وهكذا يعيش المسرح السياسي العربي في أزمة هي جزء من أزمة المسرح العربي ككل؛ ولكن يبدو أن ما يصنف نفسه بالمسرح السياسي العربي؛ واستنادا الى تجاربه الكثيرة؛ لا يظهر إلا ليتحول الى أزمة عاجلا أو آجلا. وليكون قدره السريع التمييع أو الانطفاء.

تاريخ المسرح السياسي في الغرب:

لا يذكر تاريخ المسرح في الغرب انه تم تداول مصطلح المسرح السياسي كصفة مميزة لمسرح ما؛ فالمسرح باعتباره جزءا من الطقوس الحياتية يتعرض للظواهر السياسية وغير السياسية؛ ولكن ظهر مصطلح المسرح السياسي مع شهرة اعمال المسرحي الايرلندي شون اوكيسي الذي ربما يكون أول من طرح المصطلح بلفظه وجسده عمليا على ارض الواقع؛ ولعل استعراض موجز لسيرة هذا المسرحي توضح فكرة المسرح السياسي الذي سماه وطرحه.

ولد شون اوكيسي في عام ١٨٢٨ في مدينة دبلن من أسرة فقيرة معدمة؛ وعاش طفولة بائسة أثرت تأثيرا كبيرا في أعماله المسرحية؛ فالحرمان الذي عانى منه؛ والفقر الذي عاشه سنين طويلة؛ وجو المقاومة الايرلندية للبريطانيين كان الأساس الذي بنى عليه

عبدالرحمن حمادي

- سوريا -

مسرحه؛ وقد تعرف على قادة المقاومة الايرلندية، وصار هو نفسه من أعضائها النشطين.

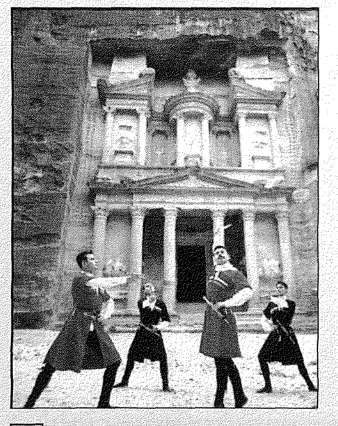
لم يدخل اوكيسي مدرسة؛ ولكنه تخرج من مدرسة الحياة، وفي بداياته المسرحية كتب ثلاث مسرحيات هي: (زهرة في الصقيع ـ عبد الحياة ـ اللون القرمزي) ولكن هذه المسرحيات لم تلق أي نجاح؛ وشن النقاد هجوما عنيفا عليها لأنها كانت تطرح مضامين غريبة عن المسرح السائد، وقد رد اوكيسي على هجوم النقاد قائلا: «ما على هؤلاء سوى أن يمجدوا أسيادهم؛ بينما أنا أتحدث في السياسة التى لا ترضي أسيادهم؛ وبالتالي لا ترضيهم.. إنني اكتب مسرحا سياسيا».. وبهذا الشكل بدأ تداول مصطلح المسرح السياسي في تقييم أعمال اوكيسي وليستمر المصطلح مجال دراسات وممارسات مسرحية تالية في الغرب؛ وقد تابع اوكيسي كتابة مسرحه بنفس المضامين؛ فكتب (خيال مقاتل) و(جونو والطاووس)؛ ثم في عام ١٩٢٦م كتب مسرحية (المحراث) التى حققت شهرة كبيرة غير متوقعة وألّبَت عليه السلطات؛ فهاجر الى بريطانيا وعاش فيها الى آخر عمره.

لقد قدم أو كيسي نمطا مسرحيا تمرديا على المسرح السائد آنذاك؛ فخرج على التقسيمات الصارمة وبالتالي لا يوجد في مسرحه نوع مسرحي خالص؛ بل هناك تمازج بين الكوميديا والتراجيديا، والشخصيات لا يوجد لها بعد محدد؛ وعندما تجر الأحداث المتفرج الى الضحك يكتشف أن الضحك إنما يأتي وهو يخفي وراءه المرارة؛ كما ان الشخصيات لا تتصارع مع بعضها بقدر ما تتصارع مع الوسط المحيط بها من فقر ومرض وقهر وقسوة؛ كما اعتمد على اللهجة الشعبية والأغنيات المحلية في الحوار ليكشف العوالم الداخلية لشخصياته.

وهكذا تمرد أوكيسي على المسرح النمطي المسيطر؛ فنبذ البلاغة ونزل الى الطبقات المهملة ليجعلها محور مواضيعه؛ ومن بينها اخرج ابطاله؛ واعتبر بذلك مؤسس ما عرف باسم المسرح السياسي الذي قلده عدد من المسرحيين الغربيين بعده.

وآراء أخرى :

ثمة اختلاف بين النقاد حول ماهية وتعريف المسرح السياسي؛ ففي بعض التعاريف هو المسرح



الذي ينشغل بأحداث سياسية معينة تمثل وجهات نظر محددة تجاه هذه الأحداث؛ ومبدعو هذا النوع من المسرح يستخدمون أساليب وطرقا فنية إخراجية متنوعة؛ بالإضافة الى فن الارتجال وغيرها من الوسائل والإمكانيات الفنية الأخرى التى تتضافر جميعها في خلق هذا المسرح الذي يعد ظاهرة مسرحية تنعكس في أعمال تتسم بتفوقها الفكري والفني؛ وعلى هذا يمكن استخدام تسمية المسرح السياسي على الأعمال التحريضية أو تستخدم في تحديد نوع من المسرحيات تتناول مضامين دعائية تستثير ردود فعل فورية عند المتفرجين في مواجهة هذه الأحداث؛ وتمتد تقاليد هذا المسرح وجذوره الى فترة المسرح الروسي أثناء ثورة أكتوبر عام ١٩١٧؛ حيث احتاجت الثورة هذا النوع من المسرح في عملية تبشير بمبادئها.

أما المخرج والنظر الألماني (ايروين بيسكاتور) فيرى في كتابه (تسييس المسرح) الصادر في ألمانيا عام ١٩٢٩م أن الشرط الأساسي لكي يكتسب المسرح صفة السياسي هو أن يعتمد على وثائق وحقائق معروفة للجمهور؛ ثم يعيد طرحها ضمن معالجات توجه الجمهور نحو رؤية سياسية يعمل من اجلها المسرحيون الذين يقدمون العمل، وهذا يعني أن يكون المسرحي سياسيا يمتلك الحجة والبرهان على طرحه السياسي عبر المسرح؛ وعندما يطلب منه أن يبرز وثائقه للجمهور فيجب أن يملكها ويبرزها؛ وعلى هذا فان المسرح المنتمي للبلشفية عند بيسكاتور لا ينتمي للمسرح السياسي لانه يطرح قضايا نظرية يمكن مناقضتها ومجادلتها من قبل الجمهور نفسه.

**** المسرح السياسي ليس خطابة وعظية بل هو تشكيل للواقع بكل تفاصيله ..**

وهكذا تعددت تعاريف المسرحيين والنقاد للمسرح السياسي؛ وتحول الأمر منذ الستينيات الى اجتهادات نظرية وعملية يحاول أصحابها تسييس المسرح عبر رؤاهم لوظيفة المسرح؛ فظهر ما يسمى (مسرح الشارع)؛ وينادي أصحابه بدمج المسرح بالحياة من خلال عروض مسرحية تجري في الشوارع وتعتمد التحريض هدفا لها؛ ومن اشهر المسرحيين الغربيين الذين تبنوا ومارسوا هذا النوع من المسرح الفنان اندريه بينديتو، والحوار الأساسي في هذا المسرح هو الارتجال من قبل الممثلين؛ والمادة الأساسية للحوار هي هموم الأحياء في الشارع الذي تقدم فيه المسرحية؛ والمواقف تكون وليدة لحظتها؛ والجمهور هم العابرون والمارون في الشارع؛ لذلك يجب لفت انتباههم في البداية بواسطة حركات بهلوانية ونشاطات تعتمد القدرات الجسدية للممثلين؛ ثم يتدرج العرض ليتوحد الممثلون مع المتفرجين ويصبح الجميع مؤدون مسرحيون لهموم الجميع.

وقد ظهر ضمن هذه المسارح السياسية ما عرف باسم مسرح جويريلا؛ ويعنى «مسرح العمليات

السياسية» أو «مسرح ما تحت الأرض» ويقوم أيضا على التحريض والاستثارة؛ وقد اسسه المسرحي رونييهترووب؛ ووضع أسسه في كتابه «حمل مسرح جويريلا».

المسرح الزنجي :

وكنموذج آخر للمسرح السياسي نتوقف عند المسرح الزنجي الذي يعتبر نموذجا مثاليا للمسرح السياسي في الولايات المتحدة الامريكية ، وتعود بدايات هذا المسرح الى عام ١٨١٦م عندما أسس فنان زنجي يدعى براون مسرحا صغيرا في ولاية مانهاتن وصار يقدم عليه مسرحيات ترفيهية للزنوج ، وبسرعة اشتهر هذا المسرح بين زنوج مانهاتن مما جعل مؤسسه براون يبني مسرحا أكبر سماه «مسرح البستان الافريقي» ، وقد حقق عبر هذا المسرح شهرة تجاوزت ولاية مانهاتن للولايات الاخرى المجاورة ، وسبب شهرته تعود بالدرجة الاولى الى طبيعة المسرحيات التي كان يقدمها ، فبالاضافة الى الاعمال الهزلية التي قدمها في البداية تحول الى النقد اللاذع ، ثم قدم مسرحيات قديمة من مسرح شكسبير ولما كان جميع الممثلين من الزنوج فقد بعث شعورا من الاعتزاز بين الزنوج في الولايات المتحدة وبأنهم لا يقلون مقدرة عن التعامل مع المسرح عن البيض ..

واستمر مسرح براون في صعوده نحو الشهرة؛ وبحكم التمييز العنصري السائد آنذاك حملت المسرحيات روح التحريض للزنوج وبعث مشاعر الاعتزاز بأصولهم الأفريقية؛ وأدى ذلك الى وقوع صدامات بين الزنوج والبيض؛ وبالتالي قامت السلطات الأمريكية بإغلاق المسرح في عام ١٨٢١؛ ولكن المسرح عاد وفتح أبوابه مجددا وقدم دراما تحت اسم «محاولة قتل ملك» وهي مسرحية تتحدث عن عصيان يقوم به مجموعة من الزنوج العبيد في جزيرة القديسة فينيست؛ وقد استمر العرض لمدة أربع سنوات متصلة؛ وكما هو متوقع؛ كان استمرار نجاح المسرحية هما يؤرق السلطات المحلية بسبب روح التحريض التى كانت تبثها بين الزنوج؛ فعادت واغلقت المسرح نهائيا بعد صدامات جرت بين البيض والزنوج بعد أحد عروض المسرحية.

لقد ترك مسرح البستان الأفريقي أثرا كبيرا في الواقع المسرحي الأمريكي فيما بعد؛ فقبل ظهور هذا المسرح كان من المحظور على الزنوج أن يظهروا في أية مسرحية كممثلين؛ وفي افضل الحالات كان من المسموح أن يظهر ممثل زنجي واحد فقط في دور المهرج أو الأحمق مع كل الصفات الشاذة؛ ولكن مسرح البستان الأفريقي منذ أن أسسه براون شكل تمردا على ما كان سائدا تجاه الزنوج؛ بل فرض هذا المسرح شهرته على البيض أنفسهم بحيث صارت تنظم لهم عروض خاصة بهم يذهب

**** الحرية والصدق والجرأة والقناعة ، المقومات الاساسية للمسرح السياسي .**

فيها المسرحيون الزنوج اليهم ويقدموا لهم مسرحهم مع طروحاته المناوئة للتمييز العنصري.

ومن الواضح أن مسرح البستان الأفريقي فرض تأثيره المقاوم بين الزنوج وغير الزنوج طوال السنوات التالية؛ ففي عام ١٩٢٧م قدمت مسرحية (يورجي وبيس)؛ وهي مسرحية جادة تحمل فكرا عظيما؛ واستمر عرضها فترة طويلة واحتشد المتفرجون لمشاهدة هذه المسرحية وتحية القائمين عليها من الزنوج؛ وقد استمر عرضها ثلاث سنوات متواصلة في مسرح يتسع لالف متفرج في الليلة الواحدة؛ وفي عام ١٩٣٦م قام الفنان اورسن ويلز وجون هاريسمان بانتاج مسرحية (مكبث) لشكسبير وبممثلين زنوج؛ وقد استمرت عروض المسرحية سبع سنوات متتالية في كافة أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية بنجاح كبير؛ وفي عام ١٩٤٣م قام الممثل الزنجي بول روبنسون بتقديم مسرحية (عطيل) لشكسبير لمدة عام كامل.. وفي جميع هذه المسرحيات لم يول المسرحيون الزنوج أهمية للتقاليد المسرحية المستوردة والحديثة؛ بل عبروا عن تراثهم الأفريقي وفلسفتهم الحياتية ورفضهم للتمييز العنصري؛ ولم يكن تحقيق ذلك سهلا؛ بل احتاج الى كثير من النضال الشاق حتى استطاعوا أن يفرضوا مسرحهم كمسرح فعال في المجتمع.

**** كل محاولات المسرح السياسي الجاد في عالمنا العربي باءت بالفشل..**

مسرح فاسبيندر :

وهو مدرسة أخرى من مدارس المسرح السياسي في الغرب؛ وبدايته كانت في عام ١٩٦٨م عندما اصدر المخرج السينمائي والمسرحي الألماني راينر فيرنر فاسبيندر بيانا وقع عليه عدد من الكتاب والمفكرين والمسرحيين؛ وفيه استعرض مسيرة المسرح السياسي في الغرب عموما وفي ألمانيا خصوصا؛ ورأى أن هذا المسرح لم يعد صالحا بعد التحولات السياسية والمادية التى أصابت المجتمع الغربي والتى أدت الى انهيار القيم وطغيان المصالح الفردية والجماعية.

ورأى فاسبيندر أن المسرح السياسي؛ أو المسرح المضاد كما أطلق عليه يجب أن يصعد من صدامه مع المسرح البرجوازي التقليدي وان يرتقي بوظيفته الى تطوير الأحداث المأخوذة من الواقع وإضفاء التنوير عليها عبر مسرح مضاد جديد مشحون بطابع الجرأة وسمة الغرابة والفضح والافتضاح؛ وكلما كان للمسرح قدرة الفضح صار مسرحا ثوريا وتحريضيا ضد ما هو سائد في حركة المجتمع.

على هذه الرؤية ينادي سبايندر الى إيجاد مسرح جديد بكل شيء؛ مسرح يفضح ويسعى الى تحقيق انقلاب من خلال معالجة تعري وتنير العقل وتدخل مباشرة على المدارك الحسية للمتفرج؛ مسرح يتجه الى تخير الشكل والبناء المناسبين دون قيود لينفذ

من خلالهما الى تفتيت الرؤية والأشكال السلبية التى صارت بحكم التكرار والعادة مألوفة للناس؛ ويجب ان يكون هذا المسرح كتلة كبيرة من القسوة والشر وتجسيدا للفساد؛ ولكنه لن يكون اكثر شرا وفسادا وقسوة مما يرتكبه البشر في العلن والسر؛ يقول فاسبيندر: «إن الإنسان يعيش الفساد والشر ويراهما كل يوم عشرات المرات؛ وهو إما لا ينتبه لهما بحكم تكرارهما؛ وإما يعتبرهما قدرا لابد منه؛ لهذا يجب على المسرح المضاد أن يضع المتفرج أمام عملية اكتشاف للشر والفساد والقسوة كما تجري في الحياة؛ ثم يكشف له الأشخاص والأسباب والعوامل التى تتحالف ليستمر الفساد والشر والقسوة؛ بعد ذلك يحرضه ليتمرد على الواقع الشرير والفاسد والقاسي وعلى الأشخاص المسببين لهذا الواقع؛ ومن الخطأ أن يلجأ المسرح للوعظ والإرشاد والخطابة الحماسية ليحرض المتفرج؛ بل يجب أن يمر الحدث الدرامي بسرعة وأن تتطور الشخصيات بقوة مدهشة؛ ثم في لحظة يجب أن تتلاشى مبالغات الحلم والرومانسية وكل الأفعال غير الصالحة أو غير الصادقة من تلقاء نفسها لتحل محلها لحظات تعرية الذات؛ وعلى هذا يجب على الممثل أن يعتمد التلقائية في الأداء متناسبا وجود الجمهور وكأنه يؤدي لنفسه».

ملامح أساسية :

من خلال هذا العرض السريع للمسرح السياسي ونماذج منه في الغرب نجد انه يتصف بصفات مشتركة عبر كل مدارسه منها:

- انه لم يأت كردة فعل على واقعة سياسية أو حدث سياسي عابر؛ ثم توقف بعد مرور هذا الحدث؛ بل إن المسرح السياسي في الغرب نشأ ليستمر؛ وعندما تنتهي الظروف السياسية أو الاجتماعية التى ظهر بسببها؛ يجد هذا المسرح لنفسه ظروفا أخرى ليستمر باعتباره رسالة مسرحية مستمرة ويجب ألا تتوقف؛ والعاملون فيه يمارسونه على أساس قناعة تامة به.

- يعطي المسرح السياسي بكافة مدارسه حيزا كبيراً لفن الارتجال ويبتعد عن البذخ في الديكور والملابس وغالبا لا يولي أهمية للخشبة المسرحية أو صالة العرض.

- مازال هذا المسرح يفرض حضوره واحترامه على جمهور المسرح في الغرب؛ وكل تجربة في المسرح السياسي ينظر إليها باحترام واهتمام من قبل النقاد والمسرحيين والجمهور.

- لا يطرح المسرح السياسي؛ أو المسرح البديل نفسه بديلا للمسرح التقليدي؛ بل ينظر اليه رغم صدامه معه باحترام؛ ويراه ضروريا لاستمرار المسرح السياسي؛ فيقول بيساتور مثلا في كتابه «تسييس المسرح»: (من الخطأ ألا نصطدم مع المسرح التقليدي البرجوازي؛ ولكن من الخطأ أيضا ألا

**** المسرح السياسي يشكل تاريخ البشرية ..**

نتظر إليه بتبجيل؛ فهذا المسرح يشكل تاريخ البشرية.. ولهذا لنرفض مقولة بعض الثوريين المتطرفين الذين يطالبون بإلغاء المسرح البرجوازي).

- إن المسرح التقليدي يخدمنا كمسرحيين مسيسين لانه يقدم للمتفرجين أعماله على شكل ألواح شوكولا لذيذة، ومهمتنا هي أن نكشف للمتفرجين بأن هذه الألوان من الشوكولا مزيفة وغير صحيحة ولا تناسبهم.

**** مسارحنا عمدت الى الالهاء السطحي**

المسرح السياسي العربي:

ما نريده من هذه العجالة عن المسرح السياسي في الغرب هو أن نبحث عن موقع المسرح السياسي في الوطن العربي؛ وكما قلنا في بداية هذه العجالة؛ سنجد انه يشكل جزءا من أزمة المسرح العربي ككل؛ ولنكون منصفين نعود الى المسرح العربي كفن مستورد، وحيث مازالت إحدى الإشكاليات التى مازال يعاني منها المسرح العربي هو موقعه من الثقافة العربية المعاصرة، فهو كفن مستورد جوبه منذ البداية بالرفض والحساسية، والرواد الذين نقلوه للثقافة العربية قدموه لفئة خاصة من المجتمع ولم يقدموه لكافة فئات المجتمع، والفئة التى اقتصر عليها حضور المسرح كانت طبقة تأثرت واندهشت بالحضارة الغربية المتفوقة ومعطياتها، أي أن المسرح العربي لم يبدأ بداية شعبية، وبقي مقصورا على طبقة الأغنياء السلطوية والمثقفة، وذلك لاسباب كثيرة منها حداثة هذا الفن في الثقافة العربية، وكل جديد طارىء لابد أن يجابه بنظرة ريب وتوجس، ومنها أن هذا الفن لم يكن من الممكن تعميمه بوسائل النشر المعروفة كالصحف والمجلات، بل يقدم في أماكن معينة ولجمهور معين.

لهذا، منذ البداية وحتى عقود تالية اعتبر هذا المسرح دخيلا على الثقافة العربية وفنا شبه مرفوض، وهذا ما أدى الى تنازلات كثيرة في سبيل خلق وترسيخ هذا الفن على الأرض العربية، وأول تلك التنازلات دمج المسرح بالغناء والرقص على نحو ما فعل ابو خليل القباني ورفاقه ومن جاء بعده، كما تأخر ظهور التأليف المسرحي الحرفي في الأقطار العربية الى الخمسينيات وما بعدها، وبهذا وذاك انقضت عدة عقود من عمر المسرح العربي وهو يحاول أن يثبت وجوده ودوره في الثقافة العربية، وطوال تلك العقود لا يمكن الحديث عن أي شكل من أشكال المسرح السياسي العربي، وهذا طبيعي.

وبعد الخمسينيات استطاع المسرح أن يحصل على الاعتراف به كفن أدبي، وربما من اصعب الفنون الأدبية، وحصل على اعتراف الجماهير العربية به كظاهرة حياتية مسلية بالدرجة الأولى، ولكنها مؤثرة وفعاله، فتم إدخال المسرح في نشاطات المدارس كوسيلة تثقيفية وتربوية وتوجيهية، وانشئت هيئات رسمية عربية مهمتها الإشراف على المسرح والتأليف وتشجيعه ودعمه، فدخل المسرح العربي بذلك تحت

وصاية المؤسسات العربية، وتحت هذه الوصاية وبدونها شقت الظاهرة المسرحية طريقها، ورسخت نفسها في الحياة العربية وواكبت الأحداث العربية، خاصة بعد هزيمة ١٩٦٧م فقد انبرى المسرح العربي قويا وأصيلا يعبر عن غضبة الإنسان العربي وفضح هزائم الأنظمة العسكرية واللامبالاة بمصير الإنسان والوطن، وقد جعل هذا المسرح من القضايا القومية التزاما صريحا، وعلى رأسها قضية فلسطين وقضية لبنان، ومظاهر التبعية للغرب الاشتراكي أو الرأسمالي والمخاطر التى تهدد الهوية الثقافية العربية، ونذكر من هذه الفترة على سبيل المثال لا الحصر سعد الدين ونوس ونجيب سرور وسعد الدين وهبه وعلي سالم وفوزي فهمي وعبد الكريم برشيد، ولكن هذه الفترة لم تلبث أن تراجعت لأسباب كثيرة، منها أن هذه الفترة كانت فترة تأزم بعد السبعينيات، وهي التى نجمت عن الجرح الذي اصبح عميقا في العقل العربي مما عمق التجزئة والتعصب القطري، وغياب المشروع الحضاري العربي، وفي هذه الأجواء انتكس الإبداع المسرحي واصبح الإخراج سيد الموقف في اتجاه الابتعاد عن الهموم القومية والتركيز على مسرح الإلهاء السطحي.

النقطة الثانية الهامة في المسرح السياسي العربي هي أن أي مسرح لا يترعرع ويبدع إلا في أجواء الحرية، والمسرح العربي لم يكن يستطيع الاستمرار الا في ظل الوصاية المؤسساتية التى هي جزء من وصاية السلطات العربية، وعندما ظهر من يخالف أعراف المؤسسات ووصايتها السياسية والاجتماعية واطلاق مشاريعه الخاصة، وجد الكثير من تثبيط الهمم في ظل بيروقراطية غير واعية، أو سلطوية ضيقة الأفق.

إن المسرح العربي الذي تكون تحت وصاية المؤسسات تحت تسمية الرعاية، ما كان ليستطيع تأسيس مسرح سياسي فعال أو دائم، اللهم إلا المسرح الخاص التجاري الذي تحت تسمية المسرح السياسي قدم كل ما يخطر على البال من ابتذال وانحطاط.

صحيح أن ثمة ومضات ظهرت في المسرح السياسي العربي، مثل مسرح الشوك في سورية الذى أسسه عمر حجو ودريد لحام، وفرقة تشرين لدريد لحام ونهاد قلعي، واستوديو الممثل لمحمد صبحي ولينين الرملي في مصر، والمسرح الجديد في تونس، ولكن هذه التجارب وغيرها سرعان ما واجهت التسطيح والتسخيف منذ منتصف ثمانينيات القرن الماضي، ففي سورية على سبيل المثال نجد أن رائعة سعد الله ونوس (حفلة سمر من اجل ٥ حزيران) ادخلها التكرار الإخراجي في التمييع وافرغها من محتواها، ومسرح الشوك توقف سريعا وخلّف عددا من المسارح التجارية التى استعارت منه ما يشبه تسميته مثل (مسرح دبابيس) و(مسرح خوازيق)، وفرقة تشرين التى أبدعت سياسيا بتعاون محمد الماغوط ودريد لحام في التأليف سرعان ما دخلت في مطب التكرار والإملال، وخاصة بعد أن انسحب منها محمد الماغوط فتوقفت بدورها.

وفي النتيجة نستطيع القول انه لا يوجد مسرح سياسي عربي بما تعنيه التسمية من معنى، ولا يمكن أن نقارن المسرح السياسي في الغرب بقرينه العربي، وان نسأل لماذا لا يوجد مسرح سياسي عربي مثل المسرح السياسي في الغرب، فهذا يعني ترفاً الآن لا لزوم له لأن المسرح العربي كله يعيش أزماته القاتلة، وعندما تنجح في إعادة الحياة الى المسرح العربي، فمن البديهي أن تعود الحياة أيضا للمسرح السياسي، وعندها يمكن النقاش حول المدارس والأساليب التى يجب اتباعها لتفعيل المسرح السياسي ضمن تفعيل دور المسرح العربي ككل.

(الصورة)

مسرحية من (ثلاثة مشاهد)

(شخصيات المسرحية)

أبو سامر - رجل في منتصف العقْد السابع من العمر.

أم سامر - زوجته ٤٧ عاما.

سامر - ابنهما ٢٤ عاما، طالب جامعي في السنة النهائية من دراسته.

هيفاء - فتاة في الثانية والعشرين من عمرها وفي السنة النهائية من دراستها الجامعية.

أم هيفاء - والدتها ٤٠ عاما.

ابو هيفاء - والدها في الثانية والخمسين من عمره.

بهيجة - والدة خديجة (أم هيفاء)، وزوجة أبي سامر القديمة. امرأة مقعدة في الستين من عمرها.

(المشهد الأول)

(غرفة متواضعة الأثاث يشغلها سرير حديدي مفرد ألصق على الجدران فوقه وحوله رسومات وملصقات عديدة بصورة متنافرة، على مقربة من السرير طاولة خشبية يغطيها شرشف أبيض رُصّت عليها بعض الكتب والمجلدات بصورة عشوائية).

(تُرى أم سامر في الغرفة منهمكة بترتيب أغراض ابنها. تمر لحظات وهي تقوم بذلك. تجلس على حافة السرير. تدفن رأسها في كفيها يغلفها الصمت).

(يدخل سامر غرفته بهدوء. يفاجىء أمه .. يطبع قبلة سريعة على رأسها).

سامر - ما الذي يشغل القمر؟!

أم سامر - *(وهي ترفع رأسها، وتمسح جفنيها بباطن كفيها)* لا شيء يا بني.

سامر - *(مقلدا أمه)* لا شيء يا بني!! *(ينفجر ضاحكا)* ألم يعد أبي بعد؟!

أم سامر - أبوك في غرفته . ماذا تريد من أبيك؟!

سامر - لا شيء ... لا شيء !!

أم سامر - *(وهي تلف ذراعها حول عنق ابنها وتقبله)* خير يا بني !! أراك على غير عادتك وقد تغيرت ملامح وجهك!!

سامر - *(وهو يشير إليها)* من يرى الجميل لابد وأن



إعداد : جودت أحمد الحمد

- الأردن -

يتغير.

أم سامر - *(بابتهاج)* آه منك !! وماذا وراء هذا الكلام المعسول؟

سامر - *(بشرود وصوت خافت)* لا شيء يا أمي ... لا شيء.

أم سامر - وكيف دراستك هذه الأيام؟

سامر - تمام التمام.

أم سامر - *(وكأنها تستشف ما بداخل ابنها من معاناة)* وكيف الجو؟

سامر - *(وقد أعجبته لعبة الجو، مقلداً أسلوب الراصد الجوي)* سيكون الجو دافئاً يوم غد، ثم تتعرض البلاد لمنخفض عميق يتحرك فوق قبرص، يتجه شرقاً ثم يتحرك جنوباً.

أم سامر - *(مقاطعة إياه)* على هونك!! الله يسترنا من منخفضاتك العميقة. لا أقصد الجو ... أسألك عن الجو الجو..

سامر - تقصدين ..!!

أم سامر - نعم .. أقصد ...

سامر - هذا ما أريد أن أستشيرك فيه.

أم سامر - *(وهي تُجْلس ابنها بقربها على حافة السرير)* خير إن شاء الله؟!

سامر - خير ... باختصار، أن البنت التى تحتل قلبي وتشغله يأتيها كل يوم من يخطبها ويحاول خطفها والابتعاد بها بعيداً لجنّة الأحلام وهي ترفض طوال الوقت بحجة أو أخرى لدرجة لم يعد بامكانها الاستمرار في الرفض والتسويف والتأجيل. وحينما رأيتها آخر مرة طلبت مني أن أسارع وأتصرف قبل فوات الأوان.

أم سامر - *(بجدية)* والمطلوب مني؟!

سامر - أن تقنعي والدي ... ويخطب لي هيفاء.

أم سامر - *(وقد انقلبت جديتها لفرح غامر مفاجىء)* هيفاء!! هيفاء!! اسم جميل والله، وأصبح حماة وجدة؟! أي حلم هذا؟!

سامر - ليس حلماً يا أمي . سترينها وستعجبك ببساطتها وجمالها وحلاوة حديثها.

أم سامر - *(وقد انتبهت لأمر كان قد فاتها)* لكنك مازلت طالباً!!

سامر - أعرف ذلك يا أمي . لكني في الفصل الأخير من دراستي، وما هي إلا أسابيع قليلة وأتخرج وتتخرج هيفاء أيضاً. لا يعقل أن أترك هيفاء تفلت مني دون أن أفعل شيئاً.

أم سامر - أتمنى ذلك اليوم الذي أطمئن فيه عليك وأُوكل أمرك لامرأة أخرى.

سامر - ومن يستغني عن ست الحبايب؟

أم سامر - آه منك يا ولد !!

سامر - أعتمد عليك إذن في إقناع والدي.

أم سامر - توكل على الله، ولن يحدث إلا ما يرضيك إن شاء الله.

(يخرج سامر . تستأنف أم سامر عملها في ترتيب الغرفة. يدخل أبو سامر، يحتضن مذياعاً يحرك مؤشره باستمرار من محطة لأخرى).

أم سامر - *(ببعض الضيق)* ألم تشبع استماعاً لهذا

المذياع اللعين؟!

أبو سامر ـ ولن أشبع أبداً. وكيف لي أن أشبع ولم أجد بعد ضالتي؟!

أم سامر ـ ضالتك؟! أيّة ضالة؟

أبو سامر ـ أحاول أن التقط خبراً يسر البال ويُطيّب الخاطر، يهبني خيطاً من الأمل ويُبدد العتمة التى خيمت وما تزال تخيم على حياتي منذ عشرات السنين.

أم سامر ـ عيش يا قديش !!

أبو سامر ـ ***(باحتجاج وحنق)*** أم سامر !!

أم سامر ـ ***(بتأفف)*** عُدنا لنفس الموضوع !! شبعنا كلاماً وأحلاماً..

أبو سامر ـ لكني لم أيأس بعد...!!

أم سامر ـ لم تيأس من ماذا؟!

أبو سامر ـ ***(وكأنه في حلم)*** لابد أن التقيهما ذات يوم. زارتني أمي في المنام ليلة أمس واعطتني شيئاً لا أعرف ما هو.

أم سامر ـ فأل خير إن شاء الله ... لكن ***(بتردد)*** لو ... أقصد ... لو كانتا من الأحياء لالتقيت بهما... ألم تقل لي مراراً وتكراراً..

أبو سامر ـ ***(مقاطعاً)*** نعم ... ذهبت لأحضر لهما بعض الماء، وعندما عدت للمكان الذي تركتهما فيه، وجدت الأرض وقد حرثتها وحرقتها قذائف العدو وصواريخه.. نعم حصدت كل شيء..

(يسمع قصف طائرات ... انفجارات ... نداءات ... أصوات استغاثة).

أم سامر ـ لم تُقصّر في البحث عنهما.

أبو سامر ـ لكن قلبي يحدثني بأنني سألتقيهما ذات يوم .. لن أكذب قلبي ***(وقد تهدج صوته)*** ما كان علي أن أتركهما... آه يا إلهي!! ما أزال أشعر بعقدة الذنب تلتف حول عنقي وتكاد تخنقني.

أم سامر ـ إنه أمر الله.

أبو سامر ـ والنعم بالله !! والنعم بالله!!

أم سامر ـ وماذا كان بإمكانك أن تفعل أمام الطائرات التى كانت تلاحق الناس الفارين ومطاردتهم خطوة خطوة والقضاء عليهم قبل أن يصلوا بر الأمان.

أبو سامر ـ نعم ... سبعة وعشرون عاماً مرت، سبعة وعشرون حزيران أسود ولم أفقد الأمل، ولن أفقده، في العثور على بهيجة، زوجتي، وخديجة، ابنتي، أو التأكد من مصيرهما على الأقل.

أم سامر ـ ***(وقد ضاقت ذرعاً بالحديث عن بهيجة وخديجة، تحاول تغيير مجرى الحديث)*** تذكرت.. أريد أن أفاتحك بموضوع مهم.

أبو سامر ـ ***(كمن أخذ على حين غرّة)*** موضوع؟! أيّ موضوع؟!

أم سامر ـ باختصار شديد .. نريد أن نخطب لسامر.

ابو سامر ـ تخطبين لمن؟! لسامر ؟!

أم سامر ـ نعم !!

أبو سامر ـ وهل جننت يا امرأة؟!

أم سامر ـ لا ـ لم أجن بعد. لكني قد أجن في أية لحظة. لا حلّ للمشكلة إلا بذلك.

أبو سامر ـ أية مشكلة؟

أم سامر ـ سامر.

أبو سامر ـ سامر ؟!

أم سامر ـ يا سيدي، القصة وما فيها أن سامر يحب إحدى زميلاته في الكلية ويريدنا أن نخطبها له قبل أن يسبقه إليها شخص آخر.

أبو سامر ـ وكيف نخطب له قبل أن يتخرج ويتوظف وينتج؟! أتريدين أن يكون عالة علينا، هو

وزوجته؟! أيعقل هذا؟!

أم سامر ـ لا تتعجل الأمور يا رجل ، واسمعني جيداً .. ***(ينفخ أبو سامر من الغيظ)*** لا تنفخ هكذا. سامر ابننا الوحيد وعلينا أن نوفر له كل ما نستطيع من أسباب السعادة والاستقرار.

ابو سامر ـ لكن الوقت غير مناسب لزواجه. الزواج ليس لعبة يتسلى بها المرء متى يشاء ويتركها متى يشاء.

أم سامر ـ ***(بلطف وهدوء)*** يا أبو سامر ... الولد مطلبه واضح. لا يريد أن يتزوج الآن .. يريد خطبة البنت فقط كيلا تضيع منه إلى الأبد.

أبو سامر ـ لكن ...

أم سامر ـ ***(تقاطعه)*** لا تضع العقدة في المنشار... اترك الأمر لصاحب الأمر..

أبو سامر ـ لدي شرط.

أم سامر ـ ***(باستهجان)*** شرط !!

أبو سامر ـ نطلب له البنت على أن نحدد موعد الفرح بعد أن يكون سامر قد استقر في عمل ما.

أم سامر ـ موافقة ... سأزف الخبر لسامر.

(يخرج أبو سامر من الغرفة وهو يحتضن مذياعه يحرك مؤشره من محطة لأخرى دون توقف.. تسمع أصوات المحطات المتداخلة..)

أم سامر ـ ***(وهي تتحرك باتجاه الباب وتنادي)*** سامر !! أين أنت يا سامر ***(يظهر سامر)***.

سامر ـ أهي قمحة أم شعيرة ؟!

ام سامر ـ لقد وافق أبوك على خطبة هيفاء لك بشرط ...

سامر ـ ***(مقاطعاً باستهجان)*** بشرط ؟!

أم سامر ـ بشرط ألا يتم الزواج إلا بعد أن تتخرج وتستقر في عمل.

سامر ـ موافق يا أمي لئلا تضيع هيفاء مني الى الأبد .. وخير البر عاجله.

(ينظر سامر وجه أمه بعينين يملؤهما الدمع. تحتضنه أمه . تمسح رأسه . تداعب شعره بيد حانية).. من غير المجدي يا بني الدخول في متاهات الحوار مع والدك هذه الأيام.. إنه دائم القلق متوتر الأعصاب.. دع الأمر لله (يتناول سامر يد أمه يغمرها بقبلاته).

(تنسدل الستارة.. يغمر المكان صوت أرغول حزين بينما تجري الاستعدادات للمشهد الثاني).

(المشهد الثاني)

(كافتيريا إحدى كليات الجامعة. يعج المكان بالطلبة، الأصوات، كما هي الأشياء والروائح متداخلة ، سامر وهيفاء يدخلان من باب الكافتيريا المشرع ، لا ينتبه لدخولهما أحد..).

سامر ـ ***(وهو يقود هيفاء لطاولة شاغرة)*** هيفاء ! لك عندي مفاجئة!!

هيفاء ـ سترك يارب!! ***(وهي ترفع يديها في دعاء)*** اللهم استرنا من مفاجأته!!

سامر ـ لا أمزح .. لقد حصلت أخيراً على موافقة أهلي لخطبتك.

هيفاء ـ ***(بصوت مندلق)*** صحيح؟! ***(ثم، وكأنها شعرت بمن يسمعها، بصوت خفيض لا يكاد يسمع)*** صحيح!! إذن فلتدعوني على شيء نأكله أو نشربه.

سامر ـ ***(ضاحكا)*** ومن يدفع الحساب؟

هيفاء ـ ***(وهي تبادله الضحك)*** ومن غيرك أيها السيد ؟

سامر - ماذا تشربين ؟

هيفاء - أي شيء.

سامر - *(مقلداً الممثل المصري عمر الحريري في مسرحية «شاهد ما شفش حاجة» إجابة واضحة محددة سيدتي .. قهوة ، شاي ، شاي بحليب، نسكافي، يا ابيض ... يا اسود!!)*

هيفاء - قهوة بشاي !! *(وتنفجر ضاحكة على مشروبها المبتكر للتو)، (يضحكان بصورة تلفت أنظار البعض من حولهما، يشير إليها وتخف حدة ضحكهما بالتدريج.. ينهض سامر ويسير باتجاه المحاسب تلاحقه عينا هيفاء، يتناول كأسين من الشاي، يضعهما على صينية، يدفع ثمنهما ويعود أدراجه، يجلس وهو يضع الصينية على الطاولة، يجد هيفاء وقد دفنت رأسها بين راحتيها وتستند على مرفقيها وقد انسدل شعرها على كتفيها وغطى جانبي وجهها)*.

سامر - نحن هنا *(وهو يقدم لها أحد الكأسين)* قهوة بشاي سيدتي !!

هيفاء - *(مداعبة)* أيّ أدب هذا الذي حلّ عليك؟! *(تدير له ظهرها وتسرح ببصرها بعيداً عنه)*.

سامر - ما بك يا هيفاء؟! بم تفكرين؟!

هيفاء - أفكر ؟! أنا لا أفكر .. أحاول فقط استرجاع....

سامر - *(مقاطعاً)* استرجاع !! استرجاع ماذا؟!

هيفاء - لا شيء .. أحاول أن أفهم وأستوعب ما يجري حولي.

سامر - فقط ؟

هيفاء - فقط.

سامر - *(بمرح)* إذن فلتدلقي هذا السطل *(وهو يشير لكأس الشاي)* في هذا الجوف الذي لا يرتوي *(وهو يشير لبطنها)*.

هيفاء - *(وهي تتناول كأس الشاي وترتشف شفطة مجلجلة)* قهوة بشاي!! *(تنفجر ضاحكة)*.

سامر - اخفضي الموجة قليلا كيلا يسمعك أهل سنغافورة، وتتناقل وكالات الأنباء قهقهاتك.

هيفاء - *(وهي تحدق في سامر)* ألم يبق لوكالات الأنباء شيئاً تتناوله سوى قهقهاتي؟!

سامر - بالطبع .. ألم يخبروك بذلك؟

هيفاء - من ؟!

سامر - الذين اخترعوا القهوة بالشاي.

(يقهقهان بصوت عال، تحدق فيهما عيون كثيرة مستهجنة وأخرى متقززة وأخرى حاسدة).

سامر - *(وهو يشير لهيفاء برأسه)* فلنذهب لمكان نكون فيه وحدنا.

هيفاء - *(وكأنها قد أفاقت من حلم)* نكون فيه وحدنا ؟!

سامر - أهي المرة الأولى التى نجلس فيها وحدنا بمعزل عن الآخرين؟!

هيفاء - لا ... لكنها المرة الأولى التى أشعر فيها بالحرج بعد أن أبلغتني ...

سامر - *(مقاطعاً)* فهمت !!

هيفاء - فهمت ماذا ؟

سامر - قبل اليوم كنت زميلا كأي زميل آخر.

هيفاء - أما الان فالوضع يختلف *(بدلع)* فلتذهب يا استاذ لأهلك ولتحددوا موعداً تشرفونا به تطلبون يد الآنسة العفيفة المهذبة، حضرتنا، لابنكم الشاب، سليط اللسان.

سامر - على هونك !! على هونك !! أين كنت تخبئين كل هذا الكلام وهذه الظرافة؟

هيفاء - *(بدلع)* أتريد أيها السيد القول بأنني لم أكن ظريفة من قبل؟

سامر - لم أقصد شيئاً .. لكن قدرك كما يبدو انسكب دفعة واحدة ولم يبق...

هيفاء - إياك والغلط ...

سامر - إذن فلتنطلقي كالسهم إلى عجوزيك ولتخبريهما بأننا سنتذوق قهوة ابنتهما المدللة مساء الخميس القادم.

هيفاء - ***(وكأنها لا تصدق ما تسمع من شدة الفرح)*** أحقاً ما تقول ؟!

سامر - حقاً

هيفاء - ستشرفونا غداً؟!

سامر - إن شاء الله.

هيفاء - ***(وهي تنهض والفرحة تغمرها)*** إلى اللقاء.

سامر - هيفاء ... انتظري ... أنا قادم معك .. ***(لا تستمع هيفاء إليه. تهرول بسرعة باتجاه الباب وتختفي بسرعة)***

(تنسدل الستارة بينما صوت الأرغول الحزين يغمر المكان بالتدريج استعداداً للمشهد الأخير).

(المشهد الثالث)

(غرفة الضيوف في دار أبي هيفاء.. تتزين الجدران بقطع وتحف أثرية تتناثر هنا وهناك.. أطباق من القش .. صور في إطارات قديمة.. سيوف وخناجر.. يظهر أبو هيفاء بلباس عربي وهو يفتح الباب لضيوفه).

أبو هيفاء - أهلا وسهلا .. تفضلوا .. أهلا وسهلا.

(يدخل أبو سامر تتبعه زوجته وابنه)

أبو سامر - ***(باقتضاب يرد على ترحيب أبي هيفاء بهم)*** وبكم.

(يأخذ أبو سامر وزوجته وابنه أماكنهم وسط تهليل وترحيب أبي هيفاء المتواصل.. يستأذن أبو هيفاء ويتوارى خارج الغرفة).

أم سامر - ***(تخاطب زوجها وعيناها تطوف المكان تتفحصه وتنظر محتوياته وأسلوب ترتيبه، وزوجها يرمقها بطرف عينه)*** أناس مستورون!!

أبو سامر - وهذا هو مطلبنا.

أم سامر - ***(وهي تنظر ابنها وهو يتململ في مقعده بقلق)*** اهدأ يا بُني.؟!

سامر - مللت من الانتظار يا أمي.

أم سامر - هانت !!

(ينهض أبو سامر .. يستدير .. يواجه الجدار .. يتأمل لوحة زيتية تزينه.. تتحرك عيناه تجوب الجدران .. ترتطم بطبق قش ملون يحتل إحدى الزوايا .. يخطو بضع خطوات باتجاهه.. يمد يده .. يتحسسه باعجاب ووله.. يشعر بقشعريرة تجتاح كل أنحاء جسده.. يرتجف.. يسحب يده، وعيناه ما تزالان معلقتان بالطبق).

أم سامر - ***(باستهجان)*** اجلس يا رجل !

(يلتفت أبو سامر إليها للحظة ثم ينشغل بتأملاته ثانية.. يقع نظره على سيف معلق بالقرب من الطبق فوق صورة في إطار خشبي قديم.. تمتد يده للسيف بحذر.. يتناوله .. يسحبه من غمده.. يتأمل نصله الحاد اللامع.. تتسع عيناه دهشة وهو يقلبه بين يديه..)

ابو سامر - ***(يحدث نفسه)*** أمر عجيب والله!! هذا السيف مألوف لديّ بنصله وغمده، بزخارفه وألوانه ولمعانه.. أيعقل أن يكون السيف ...؟! لكن ... لا ... من غير الممكن...!! فقد ضاع السيف الذي ورثته عن أبي مع من ضاعوا وهم في طريقهم للشرق قبل حوالي السبعة والعشرين عاماً.. ضاع السيف

كما ضاعت بهيجة، زوجتي، وكما ضاعت خديجة ابنتي..!! لكن؟! .. لكنه نفس السيف.. أستطيع تمييزه من بين ألف سيف ... نعم ... لكن ... كيف أفسر وجوده في هذا البيت؟!

أم سامر ـ *(وقد ضاقت ذرعاً بشروده)* تعال واجلس يا رجل.. أريد أن أسرّ لك شيئاً.

(لا يلتفت أبو سامر إليها ويبقى منشغلا يقلب السيف بين يديه.. يتحسس السيف.. يحتضنه للحظات ثم يعلقه برفق وعناية في مكانه.. تجتذبه الصورة ويدفعه حب الاستطلاع للوقوف أمامها.. تبدو الصورة في إطارها الخشبي القديم كأي صورة أخرى... لكنه يشعر من النظرة الأولى بشيء يجذبه بقوة نحوها... يحدق في الصورة مليّا.. تغبش عيناه.. يفركهما بمنديل ورقي .. يحملق ثانية في الصورة.)

ابو سامر ـ *(وكأنه يحدث نفسه)* لا ... لا ... لابد وأن شيئا ما أصابني .. أولا السيف ... ثانيا الصورة.. لا.. يخلق الله من الشبه أربعين.. ***(يحدق مرة أخرى في الصورة.. تغرورق عيناه بالدموع.. يضرب جبهته براحة كفه..)*** لا شك عندي الآن بأن هذا السيف سيفي الذي ورثته عن والدي.. نعم.. وهذه الصورة صورتي أنا وزوجتي بهيجة وابنتنا خديجة.. لكن... أيعقل أن تكون بهيجة حيّة؟! وأين هي الآن؟! وإلا كيف أفسر وجود هذه الأشياء هنا؟! وما علاقة أهل هذا البيت بالسيف والصورة؟! لا ... لا ... ماتت بهيجة منذ سبع وعشرين عاماً هي وابنتها.. حرقت قذائف الموت الحاقدة جسديهما كما حرقت كل شيء.. هكذا حدثني الناجون... آه ... بهيجة ... خديجة... بهيجة ... ***(يتصبب وجهه عرقاً، يشعر بالأرض تدور به وتدور ...تزداد شدة دوران الأرض به ... يحاول أن يتماسك ... لا يستطيع ... يهوي مكانه).***

(تصرخ أم سامر وهي ترى زوجها أمامها بلا حراك .. تعقد الدهشة لسان سامر وتعطل كل ملكاته، فيقف مشدوهاً فاغر الفاه يحملق في جسد أبيه المتمدد على الأرض.. يندفع أبو هيفاء تتبعه زوجته وابنته باتجاه أبي سامر..).

أبو هيفاء ـ *(بارتباك)* خير إن شاء الله !!

(يشتد اللغط حول أبي سامر وتزداد حيرة الملتفين حوله).

هيفاء ـ *(وهي تبعد الجميع عن أبي سامر)* ابتعدوا عنه !! ناوليني زجاجة الكولونيا يا أمي.

(تخرج أم هيفاء وتعود بسرعة.. تتناول هيفاء الزجاجة .. ترش بعض الكولونيا على يدها وتقربها من أنف أبي سامر.. تمر لحظات صمت ثقيلة يبدأ أبو سامر بعدها باستعادة وعيه).

أبو هيفاء ـ *(وهو يتنفس الصعداء)* الحمد لله على سلامتك !! ما الأمر ؟!

أبو سامر ـ *(وهو يفتح عينيه يجول بهما من حوله)* الله يسلمك .. لكن ما الذي حدث؟! ***(تتجه عيناه حيث طبق القش والسيف والصورة).***

سامر ـ *(وقد انحلت عقدة لسانه)* نحن الذين نسألك !!

أم سامر ـ لقد أفزعتنا يا رجل.. ***(وهي تخاطب هيفاء)*** أين قهوتك يا عروس؟

هيفاء ـ جاهزة يا عمتي.

(تغادر هيفاء المكان لتعود وهي تحمل صينية القهوة تطوف بها ضيوفها وقد أخذ الجميع أماكنهم)

هيفاء ـ *(وهي تقدم القهوة)* تفضل يا عمي..

أبو سامر ـ شكراً يا ابنتي.

هيفاء ـ تفضلي يا عمتي. *(تتناول أم سامر قهوتها)* تفضل يا سامر *(ترتج الصينية بين يديها وسامر يتناول فنجان القهوة من علي الصينية، ولا تكاد عيناه تنزل عن عينيها)*.

(تلكز أم سامر زوجها .. تبتعد عيناه عن الطبق والصورة والسيف)

أبو سامر ـ خير يا مستورة ؟!

أم سامر ـ أنطق !! تكلم !! أنسيت الهدف الذي جئنا من أجله؟! *(يصمت أبو سامر ولا يلتفت إليها)*.

أم سامر ـ *(بصوت هامس ضجر)* أنطق يا رجل!! أخرج هذه الجوهرة من فمك!!

ابو سامر ـ *(موجها حديثه لأبي هيفاء، بصوت مترجرج مضطرب)* هل لي أن أسألك عن شيء يا أبا هيفاء؟!

أبو هيفاء ـ بكل سرور.

أبو سامر ـ *(مفاجئاً الجميع)* كيف وصلت تلك الصورة إليكم؟

أبو هيفاء ـ الصورة ؟! أية صورة؟!

أم سامر ـ *(وهي تنفجر في وجه زوجها)* أجئنا هنا لتسأل عن صورة يا رجل؟!.

أبو سامر ـ *(غير ملتفت لاحتجاجها)* الصورة تلك *(وهو يشير باتجاه الصورة)* المعلقة هناك في الإطار الخشبي القديم.

أم هيفاء ـ *(باستغراب)* هذه الصورة هي كل ما تبقى لي من رائحة أمي وأبي.

أبو سامر ـ *(بذهول شديد)* أمك؟! أبوك؟! أمك وأبوك؟!

سامر ـ *(فزعاً)* ما بك يا أبي ؟!

أم هيفاء ـ *(وهي تنظر وجه أبي سامر وتشعر بشيء يتحرك بداخلها يجذبها نحوه)* ما بك يا أخي ما بك؟!

(ينهض أبو سامر من على مقعده.. ينهض الجميع.. يتحرك باتجاه الصورة المعلقة على الجدار والعيون كلها ترقبه بدهشة واستغراب.. يواجه أبو سامر أم هيفاء وعيناه تفيض بالدموع..)

أبو سامر ـ *(بصوت مترجرج)* انظري في عيني .. تأملي وجهي جيداً!!

أم هيفاء ـ *(بدهشة وهي لا تصدق أن ما تفكر به قد يكون الحقيقة)* أيعقل أن تكون أنت .. *(تتوقف عن الحديث)* أيعقل..!!

أبو سامر ـ يعقل يا ابنتي .. يعقل... ويجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كل الظن ألا تلاقيا.. الرجل الذي في هذه الصورة هو أنا، وهذه المرأة هي زوجتي، بهيجة، أمك!!

(تحتضن أم هيفاء أباها ويحتضنها والعيون المحيطة بهم تحملق بدهشة ولا تكاد تصدق ما ترى وما تسمع)

أم هيفاء ـ أبي !! حبيبي !! أبي !!

أبو سامر ـ ابنتي !! حبيبتي !! ابنتي !!

أم هيفاء وتلك *(وهي تشير لامرأة ضئيلة الحجم احتواها كرسي متحرك)* تلك *(والعيون كلها تتجه نحو المرأة)* تلك هي أمي *(وهي تنتحب)* أمي يا أبي !! أصيبت بالشلل حزناً عليك، وما تزال في ثياب الحداد وقد ظننا بأنك مت مع من ماتوا قبل سبعة وعشرين سنة!!

أبو سامر ـ *(يخطو أبو سامر باتجاه الكرسي الذي كان هو أيضاً يتحرك باتجاهه.. يرفع بهيجة من كرسيها ويحتضنها..)* بهيجة؟! بهيجة؟! *(يحتضن بهيجة وخديجة)* ما أكرمك يارب!! ما اكرمك يارب!!

(تنسدل الستارة وصوت الأرغول الحزين يغمر المكان والناس من جديد).

الموت تحت أقدام وردة

بالأمْس .. فرّتْ
من سُجون البغْض .. وردة ..
هيْهات .. أنْ تجد المفرَّ..
أو المقرّ ..
لحق العذابُ هروبها
بلْ حلَّ في الأهداب وحْده ...
فتناثرتْ وتجرَّحتْ
وتحطَّمتْ فيها مساماتُ المودَّهْ...!!!
فهفوتُ نحو أنينها ..
أجري حصاناً سابق الأصداء ..
ليس يضيرهُ من أجلها..
لو مال من جفو الطَّريق ..
ومات من أهْوالها ..
عجَّ استباقي واشتباكي
بالمتاعب والمصاعبْ ..
وتهافتتْ ضدِّي النوائبُ والمصائبْ ..
هذا يهونْ .. وكُلُّهُ من أجلها ..
من أجْل خاطر وردتي كلُّ يهونْ ..
فلكمْ حزنْتُ لحُزنها ..؟؟
حين ارتمتْ دون الغُصونْ ..؟

* * * *

أوقعتُ رأسي في أسى
وتربَّصتْ «بدمي» المنونْ..
ووقفْتُ صدْري للحماس
لوردتي مثْل الجنونْ..
من أجْل خاطر وردتي
كلُّ يهــونْ ..
شابتْ لهوْل الكرْب
أهدابُ العيُونْ ..
وتخلخلتْ منِّي العظامُ
لعبْء حملي والشُّجونْ ..
وتأرَّقتْ من أجْل
خاطر وردتي منِّي الجُفونْ ..
قبْل احتضاني وردتي ..
ناديتُها ... طمأنْتُها ...
وجمعْتُها ..
لَملمتُها ...
لا تفزعي .. فأنا ـ لها ...!!!

* * * *

قلتُ : ألملمُ وردتي
ليعود سابقُ عهدها
في الحبِّ ... والمودَّه
وتعيش بيْن الورد ورْدهْ..
فلعلَّها عاشت ..
وأضْحتْ شبْه باقي ما أمامي ..
منْ زُهورْ ..
ولرُبَّما حنَّت عليَّ بغُرْبتي ..
لشهامتي ..
أو أغدقتْ بأريجها
فوقي العُطورْ ..

* * * *

فنفخْتُ من روحي ببرْعُمها ..
المكسَّر في مرافيء جانبيها ..
قرَّبْتُ وجهي وجهها
ولثمْتُ جبهة مقلتيها ..
فتململتْ وتنفسَّتْ ...
واستغربتْ وتساءلتْ ...
كيف الحياةُ..؟
وذي الحوافرُ .. والمشاةُ .. مع الرُّماة..
تدوسُها .. تطغى عليها ؟؟
خبَّأتُها في جوف كفيَّ ..
كي أدفئها لبرد نالها ..
حتى إذا أحييتُها ..
أو حان موعدُ نُطقها

عائشة الخواجا الرازم

- الاردن -

نامتْ وقالت: هئتُ لك
فشممتُها ..
الله .. ما أحلى سكونك بالأريج.. !!
إذنْ خُلقْت لمهجتي ..
ما كدْتُ أنعشُ وردتي ..
حتى اختليت بوحدتي ..!
صارحتُها : لستُ مُطيقاً محنتي
وتألقتْ مثل النجوم .. تُشعُّ حُبّاً حضرتي ..
وفجأة ..
أحسستُ بالألم العنيف ..
حسبْتُهُ الألم الطَّفيف
يهزُّ من قلبي الضَّعيف ..
فصرخت من وجعي بآه..
وصرختُ من وجعي بآه ..
وانجدتاه ..
يا وردتي ..
من عُمق روحي جئت آه ..
رُحماك قد أدميتني
فلم العراك؟؟ .. لم العراك؟؟

لستُ أنا يا وردتي
من كان قد أدماك ..
أتجرحين رضى المغيث بقبلتكْ..؟
أعميت في رأس المغيث رُؤاه..
وانجدتاه ...
فزهتْ على عظمي ..
وهزَّت جيدها .. مع خصرها..
طرباً .. ورقصاً ..
فاندثرتُ بشوكها ...
وصرخْتُ قبل الذَّبح آه ..
وصرخْت قبل الذَّبح آه ..
وصرخْت قبل الذَّبح آه ..

راح التمزقُ والخُواء
بقدر آفاق الرَّجاء ...
مع اللقاء .. وحل في الجو النداء ...!!
كمْ طالبتْ مني رذاذاً
من عيوني تستقيه لها غذاء أو غزلْ
قالت نمارسُ قُربنا
فتشوقُ أنفُسنا القُبلْ ..
سامرتُها بالحب والغزل المضيء ..
ودفنتُ رأسي وسط مهجعها الهنيء..
وتنازعت مني الضلوعُ..
كما استُبيح صدى الخشوع
فعرفتُ أن بوردتي عطشاً وجوع ..
ومن دوافع وردتي ..
خفتُ المسير أو الرجوعْ ..

* * * *

نفحتها أحلى الكلام ...
أضاء في الليل الظلام ..
فتأهَّبتْ .. وقفتْ كعود البان
وانتصبتْ ورددت الكلام مع الغرام ..
ما هكذا يا وردتي أبغي وأحتقنُ الأملْ..
ما كان بالبال الغرامُ .. أو التوحُّدُ بالقُبلْ..
هذا يفوقُ تصوُّري ..
هذا كثير ...
فنسيمُ عطرك ..!!
هاجني .. كوني طهارة عالمي ..
نامي على صدري الوثير ..

* * * *

أو تعلمينْ ؟؟
أمضيتُ دهري في اغتراب وانحباسْ
ما كُنْتُ للأزهار يا محزونتي ..
أنوي التعرُّض والمساسْ..
أحقيقة يا وردتي أنت الأملْ؟؟
تُهدين لي أغلى النفائس بالقُبلْ..
أنا لا أصدقُ مسمعي
حُطي بقلبي واهجعي ..
حقّاً ؟؟ أيصدقني الفلكْ ؟؟
أنت الملاكُ مع الملكْ !!

تراثنا الشعري وحركة اللغة الشعرية



سعيد السريحي

شهد النقد الأدبي عامة اهتماماً خاصاً بالنص ولغته وتراكيبه وسياقاته بعد أن بالغت بعض المناهج النقدية المعروفة بأطر النص وظروف تشكله وشخصية مبدعه لا سيما انها نظرت في كثير من الأحيان الى النص من خلال الظاهرة التاريخية أو الاجتماعية أو النفسية كما هو شأن النقد التاريخي أو الاجتماعي أو النفسي.

وإذا كانت هناك مبالغة في الاهتمام بما يُدعى بـ «أطر النص الخارجية» في هذه المناهج فان ردّ الفعل على هذه المبالغة يتشكل من خلال الاتجاهات النقدية التى استندت الى النص بوصفه عالماً قائماً برأسه منفصلا عن أطره بل مقطوعاً من جذوره في بعض المناهج النقدية كالنقد البنيوي الذي يصرّح بموت المؤلف على أنه نقطة انطلاق مبدئية لا تتنازل عنها البنيوية بكل تفرعاتها، بل إنها تعد موت الانسان مسلّمة أوّلية[١]، مما يذكرنا بمثلث هيجل القائم على رؤية منطقية للظواهر الفكرية عامة. إذ أن المبالغة الأولى بأطر النص بديلا عن عالم النص ذاته لابد أن تقود بالضرورة الى مبالغة أخرى تقف على النقيض منها، بيد أن المحصّلة النهائية لمثل هذا التضاد هو الرؤية المعتدلة للنص وعلى وجه الدقة بعد أن هدأت الزوبعة واستقرت الموجة.

وثمة ضرورة حضارية تحفزنا على أن نفيد من المناهج النقدية المعاصرة منعكسة على تراثنا الأدبي وإن كانت هذه المسألة لا تطرد تماماً في كل الأحيان، فلكل عصر سياقاته ومنطقه بيد أن ثمة ما يدرس على وفق رؤية معاصرة، ذلك أنه لا يخص عصراً دون سواه، ولا بأس في أن نعكس بعض معطيات المناهج النقدية المعاصرة على تراثنا الأدبي عامة وتراثنا الشعري خاصة من أجل زحزحة بعض القناعات الراكدة وتأسيس قناعات أخرى تستمد رسوخها من طبيعة النص ولا سيما فيما يخص لغته ونموّها وتلونها بألوان السياق الشعري للقصيدة العربية وبما ينسجم مع المراحل والانتقالات التى شهدتها عبر مسيرتها.

ولقد حاول الباحث السعودي سعيد السريحى أن يرصد الظاهرة اللغوية في القصيدة العربية في العصر العباسي وتخصيصاً لدى الشعراء المحدثين في كتابه «حركة اللغة الشعرية» لا سيما أن الكتاب صدر عام ١٤٢٠هـ، ومعنى هذا إنه ينسجم مع أحدث ما طرح من أفكار وآراء بشأن الاحتفاء بالنص والاهتمام به، ولذلك يصرّح الباحث السريحي بمنطلقه الأساسي في «ضرورة الاستفادة التامة من المناهج النقدية الجديدة بما انتهت إليه من استثمار للدراسات المختلفة في مجال العلوم الانسانية وما خلصت إليه من سبل علمية في تناول الظاهرة الأدبية، فإن من شأن هذه المناهج إن أحسنّا تطبيقها والاستفادة منها أن تكشف لنا ما يحتضنه تراثنا من قيم إنسانية وحضارية خالدة، وأن تنزّه هذا التراث العظيم عن أن يؤخذ مأخذ الزينة والزخرف والطلاء، فينفصل بذلك عن أصالة اللغة التى منحته قوتها فمنحها إشراقه»[٢].

وفي تقديم الكتاب يشير مؤلفه الى أن المحدثين جسّدوا تياراً شعرياً مستقلا تبلور على يد بشار بن برد وإبراهيم بن هرمه وسواهما من الشعراء، وقد وصل هذا التيار الى مداه عند أبي تمام ممّا دفع عالماً مثل ابن الأعرابي الى أن يقول محتجاً ساخطاً «إن كان هذا شعراً فما قالته العرب باطل»[٣]، مما يعكس موقفاً مشهوداً للنقاد والبلاغيين وعلماء اللغة ضدّ شعر المحدثين وكثيراً ما وصف شعر المحدثين بأنه مغرق في الصنعة وفاسد

د. صبري مسلم

نائب عميد كلية الآداب والالسن - جامعة ذمار - اليمن

ويلجأ الى أقصى المبالغة. ذلك أن النقد القديم ينطلق من رؤية لا تستسيغ اللغة الجديدة التى صيغ بها ذلك الشعر ولا تستوعبها، لذلك يحاول هذا الكتاب أن يقرأ شعر المحدثين على وفق منهج يؤمن بأصالة اللغة الشعرية وقدرتها على أن تحلق في آفاق جديدة بعيداً عن المعيارية التى تحكمت بهذه اللغة وحاولت حصر عالمها بمجموعة من القواعد والقوانين فضلا عن أن الانطلاق من مبدأ استقلال الظاهرة الشعرية عن أن تكون مجرد انعكاس لظاهرة تاريخية أو بيئة جغرافية بحيث لا يفسر التجديد في لغة الشعر على انه محض صدى لمظاهر الترف والبذخ في العصر العباسي - كما درج الدارسون المعاصرون على ترديد مثل هذا الكلام - ولذلك فان كتاب حركة اللغة الشعرية للباحث سعيد السريحي ينصرف الى لغة شعر المحدثين، ويحاول أن يستمد أحكامه من تحليله لها والغوص في أعماقها.

وعلى هذا الأساس قُسّمت الدراسة الى بابين، الأول منهما: مضايق اللغة الجديدة، وبما أن أزمة شعر المحدثين تتجلى من خلال موقف النقد القديم منها لذلك كان عنوان الفصل الأول: موقف النقد من شعر المحدثين لا سيما ان الشعراء المحدثين وجدوا أنفسهم أمام إرث شعري هائل لا يمكن تجاهله من

جانب ومن الجانب الآخر ينبغي التميز عنه، وهو ما عبّر عنه الكتاب بـ «الازمة» التى هي عنوان الفصل الثاني. وقد أدّت هذه الازمة الى موقفين أحدهما: الثورة على رموز القصيدة القديمة - وهذا هو موضوع الفصل الثالث - والموقف الآخر: «تكثيف اللغة الشعرية» وهو عنوان الفصل الرابع.

وأما الباب الثاني فانه يدرس معالم اللغة الشعرية التى يطل الغموض بوصفه الملمح الأول فيها، لذلك فقد تصدّر فصول الباب الثاني، ويحتل التشبيه الفصل الثاني، وقد جاء تحت عنوان «تجاذب الأكوان الشعرية».

والتشبيه من شأنه أن يميز الصورة الشعرية لدى المحدثين بحيث ينسجون نسيجاً شعريا خاصاً بهم مع أن بعض خيوط هذا النسيج قد تكون مستمدة من ذلك التراث الشعري العريض.

ويخصص المؤلف فصله الثالث من بابه الثاني للاستعارة، وقد جعلها تحت عنوان «تداخل الأكوان الشعرية» منطلقاً من طبيعة العلاقة بين المستعار له والمستعار منه إذ يتداخلان تماماً بل ينصهران حين يخلقان الصورة الاستعارية المتميزة في حين أن هذا قد لا ينطبق على الصلة بين المشبه والمشبه به إذ يظل طرفا التشبيه محتفظين بكيانهما قياساً بما يحصل في الصورة الاستعارية الحية.

**** الشعراء كانوا يهدفون إلى إطلاق الطاقات الكامنة في اللغة.**

ويقصد المؤلف سعيد السريحي من عنوان فصله الرابع من الباب الثاني «بلوغ الغاية» ان الغلو والمبالغة التى عرف بهما شعر المحدثين إنما كان هدفهما إطلاق الطاقات الكامنة في اللغة والوصول بها الى آفاقها القصوى. وقد تلمس المحدثون هذا المنحي في الشعر العربي القديم وفي اللغة نفسها، فمضوا به الى غاياته حتى انتهوا الى الخروج عن العادي والمألوف.

ويختم السريحي بابه الثاني بالفصل الخامس «جدل الأشباه والنظائر» حيث يعرّج من خلاله على ظاهرتين متداخلتين، الأولى منهما هي: التضاد أو الطباق وربما دعيت بـ (التكافؤ)، والظاهرة الأخرى هي: الجناس الذي قد يُدعى بـ (التجنيس) وهما مما يصبان في علم البديع. والجناس لدى المحدثين - وهو ينطوي على تضاد ضمني - إنما يؤخذ بوصفه إطلاقاً لهذه القدرة الايحائية في اللغة تتراوح فيها بين دلالات تتجاذبها الأصوات وأصوات تترامى الى مستوى يتجرد من المعنى المحدد. والكشف عن قيمة ما قاموا به لا يمكن أن يتحقق ما لم ننزه عملهم عن أن يؤخذ مأخذ الزينة والطلاء وأن ننظر إليه باعتباره عملا شعرياً ثابتاً في اللغة.

وينتقي السريحي طرائف الأخبار والأشعار التى

** الرؤية المعتدلة للنص تقتضي الإفادة من المناهج النقدية الجديدة.

تعزّز منطلقاته ومن ذلك: «ما رواه أبو عمرو الطوسي من أن أباه وجّه به الى ابن الأعرابي ليقرأ عليه أشعاراً، وكان أبو عمرو معجباً بشعر أبي تمام، فقرأ عليه أشعار هذيل ثم قرأ أرجوزة أبي تمام على أنها لبعض شعراء هذيل.

وعاذل عذلتُهُ في عذْله
فظنّ أنيّ جاهلٌ في جهله

حتى أتمها، فقال له ابن الأعرابي: أكتب لي هذه، فكتبها له ثم قال له أبو عمرو: أحسنة هي؟ قال ابن الأعرابي: ما سمعتُ بأحسن منها، وعندما أخبره أبو عمرو أنها لأبي تمام، هتف به ابن الأعرابي: خرّق، خرّق»[٤]. مما يعكس حجم التعصب وأسلوبه الظالم في التعامل مع رقة النص وجماليته بحيث يمكن أن ينسحق الجانب الفني تحت وطأة تجاهل مرير مبعثه انتماء النص لشاعر محدث كأبي تمام.

وفي المقابل فقد شكا بعض الشعراء من جهل نقاد الشعر وعلمائه وتعصبهم واقتصارهم على رواية الشعر وترداده دون فهمه وتذوقه واستيعاب جمالياته.

يقول ابن الرومي معرّضاً بالأخفش:

قُلْتُ لمنْ قال لي: عَرَضْتَ على الـ
أخفش ما قُلْته فما حمده
قصَّرْت بالشّعر حين تعرضُهُ
على مُبين العمى إذا انتقده
ما قال شعراً ولا رواه.. فلا
ثعلبة كان ولا .. أسده
فإن يقلْ: إنني رويتُ فكالدّ
فتر جهلا بكلّ ما اعتقده
أنشدتُهُ منطقي ليشهده
فغاب عنْهُ عمى .. وما شهده
وقال قولا بغير معرفة
إفكاً فما حلّ إفكُهُ عُقده

ويورد المؤلف نماذج من أسلوب النقاد القدامى في التعليق على شعر المحدثين ممّن طار صيت أشعارهم فطبقت الآفاق كقول الآمدي معلقاً على بيت أبي تمام:

قد عهدْنا الرّسوم وهي عُكاظٌ
للصبا تزدهيك حُسْناً وطيبا

يقول الآمدي «قوله (قد عهدنا الرسوم وهي عكاظ) معنى ليس بالجيّد لأنه إنما أراد: قد عهدنا

** النقد القديم ينطلق من رؤية لا تستسيغ اللغة الجديدة لشعراء العصر.

** الصنعة والتصنع حجبتا القيمة الرمزية للغة.

** كتاب (حركة اللغة الشعرية) مقاربة أولى لشعر المحدثين في العصر العباسي.

الرسوم وهي معدن للصبا أو مألف أو موطن فقال عكاظ أي سوق للصبا يجلب إليها. ولو قال: (سوق) لكان أجود من قوله (عكاظ). وإنما ذهب الى أن عكاظ من أعظم الأسواق التى تجتمع إليها العرب، وقد كان يكفيه أن يقول: سوق، فيأتي باللفظة المستعملة المعتادة وإن السوق قد تكون عظيمة آهلة، وعكاظ أيضاً سوق، فما وجه التخصيص في موضع العموم، والعموم أجود وأليق؟ وقد يجوز أن يكون احتذاه على مثال، والرديء لا يعتبر به»[٦].

حيث يطالعنا التعصب في تعليق الآمدي على البيت مرتدياً رداء المنطق. وقد انتبه الشريف المرتضى الى هذا وهو يتعقب نقد الآمدي لبعض أبيات أبي تمام حيث وصف ذلك النقد بأنه «من قبح العصبية»[٧].

ويصدّر سعيد السريحي فصله الثاني الذي حمل عنوان «الأزمة» بخبر ينقله عن ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد إذ يورد «ان الربيع حاجب المنصور قال: قلتُ يوماً للمنصور: إنّ الشعراء ببابك وهم كثيرون طالت أيامهم ونفدت نفقاتهم، فقال: أخرج إليهم فاقرأ عليهم السلام وقل لهم: من مدحني منكم فلا يصفني بالأسد فانما هو كلب من الكلاب ولا بالحيّة فانما هي دويبة منتنة تأكل التراب، ولا بالجبل فانما هو حجر أصمّ، ولا بالبحر فانما هو غطامط لجب. ومن ليس في شعره هذا فليدخل، ومن كان في شعره فلينصرف فانصرفوا كلهم إلا ابراهيم بن هرمه»[٨].

ودلالة هذه القصة تكشف عن مدى ما تعرضت له الألفاظ الشعرية من استهلاك حتى انها لم تعد تحمل من القيمة الرمزية ما كان لها في أشعار الأوائل، إنها الأزمة أو المأزق الذي يتطلب لغة أخرى جديدة تكشف عمّا يكمن في اللغة من طاقات حجبتها مقولة الصنعة والتصنيع والتكلف وسواها مما كان يردّده البلاغيون القدامى والنقاد.

ولم تكن ظاهرة الثورة على أسلوب الشعراء القدامى في الوقوف على الأطلال مقتصرة على شعر أبي نواس، فقد ورد في شعر أشجع السلمي قوله:

مالي وللرَّبع والرسوم
هُنَّ طريق الى الهموم
للحظُ طرف وغمْزُ كفّ

وخـــــمــــرة مـن بـنـات ريم
أحـــسنُ منْ خـــيْـــمـــة وربع
تجـــرحُـــهُ الرّيحُ بالنّســـيم

ومــا ذلك إلا لأن الشــعــراء المحـدثين يحــاولون إحـلال رمـوز شـعـرية جديدة مـحل رمـوز رثت عـبـر تكرار استعمالها من جانب وغياب دلالاتها وتجاوز العصر لها من الجانب الآخر٠

وبشأن الغموض في شعر المحدثين يبدأ المؤلف حديثه بخبر أبي سعيد البصير وأبي العميثل الأعـرابي «حين هتـفـا بأبي تمام وهو يقـرأ مطلع قصيدته:

هنّ عـوادي يوسف وصـواحـبُـه
فـعزْماً فقدماً أدرك السُّؤل طالبُه

قـائلين له: لم لا تقول مـا يفـهم»[٩]، الأمر الذي يكشـف عن أن الذائقـة الأدبيـة السـائدة لم تسـتطع استيعاب هذه القصيدة الجديدة ذات الطابع المكثف والمركب، ولا ريب في انها تحتاج الى نمط آخر من الرؤية النقدية التى تتجانس مع طبيـعـة القـصيـدة الجـديدة٠ ويعزو السريحي هذا التعقيد الذي يصل حدّ الغموض في قصيدة المحدثين الى رغبة الشعراء المحدثين في أن يعيدوا تشكيل صورة العالم وبلبنات لغوية، وأدوات فنية ذات طابع جديد٠

ومن المؤكد أن نهج الباحث سعيد السريحي في هذه العودة النقدية الى تراثنا الشعري في كتابه «حركة اللغة الشعرية، مقاربة أولى لشعر المحدثين في العـصـر العبـاسي» مما يعزز الصلة بين تراثنا العـربي العـريق من جانب ومن الجانب الآخر روح هذا العصر وما يستجد فيه من آراء ونظريات هي خلاصة الفكر الانساني ونتاج جهده الحثيث الدائب٠

الهوامش :

(١) روجيه غارودي، البنيوية فلسفة موت الانسان، ترجمة: جـورج طرابيـشي، دار الطليـعـة ط٣، بيـروت ١٩٨٥، ص١١٢٠

(٢) سعيد السريحي، حركة اللغة الشعرية، مقاربة أولى لشعر المحدثين في العصر العباسي، النادي الأدبي الثقافي، جدة ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م ص ٣٣٧٠

(٩٣ أبو بكر الصولي، أخبار أبي تمام، تحقيق د٠ خليل عساكر، عبده عزام، نظير الاسلام، المكتب التجاري للطبع والنشر، بيروت، دون تاريخ ص ٢٤٤٠

(٤) أبو بكر الصولي، أخبار أبي تمام، ص ١٧٦٠

(٥) ابن الرومي، الديوان، تحقيق د٠ حسين نصار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٤م، جـ ٢ ص ٧٤٣٠

(٦) الآمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، ط ٢ القاهرة ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م جـ ١ ص ٥٠٩٠

(٧) الشريف المرتضى، طيف الخيال، تحقيق حسن كامل الصيرفي، الحلبي ط ١، ١٣٨١هـ ـ ١٩٦٢م، ص ١٩٠

(٨) ابن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد العريان، منشورات دار الفكر بيروت، دون تاريخ جـ ١ ص ٢٢٤٠

(٩) التبريزي، شرح ديوان أبي تمام، تحقيق محمد عبده عـزام، دار المعــارف ط ٤، القــاهرة جـ١ ص ٢١٧٠

أغرودتي الشَّرود

د. حليم الجندي

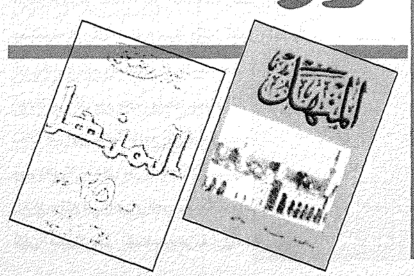
- مصر -

(ذات ليلة جمعت رسائل الهوى القديم وأسلمتها الى فم النيران، بعد أن أنعم الله عليَّ بمن أحببتها وأحبتني واتخذتها زوجاً لي).

أحرقتُها غير أني لست أبكيها
والنار ترقص فرحى في حواشيها
أسلمتها الموت جذلانا، وفي أمس
أسلمتها النفس تلهو في مناحيها
كم عذبتني! وكم في سكرتي نفثت
في القلب من سحرها زيفا وتمويها!
ألقت إليه بحبل من توددها
والغرّ في جهله صَبٌّ يجاريها
رسائلا من رُقَى الشيطان زينها
صوت الخطيئة في أشهى معانيها
غنَّى: هو الحب فانهل من منابعه
ما شئت، إن لهيب النفس يظميها
لكنَّ صوتا من الرحمن أيقظني
وصاح في حيرتي يجلو دياجيها
قم يا صريع الهوى واحرق تمائمه،
وخالف النفس إن شاهت مراميها
ما ألهب الشر في نفسي مكامنه
إلا أتت كلمات الله تطفيها
هن الصفاء لمن في نفسه كدر
هن الشفاء إذا أعيت مداويها
إشراقة النور تهدينا إذا انحرفت
بنا الركاب وقاد الزيف حاديها
سبحان ربي! أيعمى القلب عن سبل
للحب لا تلتوى والله يحميها؟!
هناك يحيا به في خير عافية
نشوان يختال في روض الهوى تيها
في حضن زوج أحل الله عشرتها
أستعذب الحب تسقيني وأسقيها
قرت بها العين، والنفس ارتضت سكنا
بالود أركانه ترسو ونعليها
يا رحمة من فيوض الله أرسلها
فاخضر ما جف في أنحاء واديها
زكية القلب، عذراء الهوى، ملكا
يرف طهرا على روحي يزكيها
كم عشت في خاطري أغرودة شردت
أصارع الدرب تلو الدرب أبغيها
واليأس يطوي جناحي، والخطى ثقلت،
حتى انبرى طيفك المأمول يحكيها
يا أحسن الناس، يازوجي، وياقدري،
ياروضة الحب قد ضاعت أقاحيها
أنت الحلال، فما أحلاه من لغة،
يارب بارك لنا دنيا سنبنيها
اليوم أرسم أشعاري بلا حذر
- خوف الرقيب - وتزهو فكرتي فيها
اليوم أشدو بها لا إثم يلجمني
كالأمس، إني نزعت الإثم من فيها
عفيفة حيث يرضى الله، خالصة،
في أبحر الحب مجريها ومرسيها

للقديم روعته

أسطر في الفن والابداع والكلمة المنتقاه.. نستخرجها من صفحات (المنهل) عبر عقوده الماضية.. نعيد قراءتها معاً.. نستعيد بها إبداع السالفين ممن مضوا.. والباقين ممن احتضنت المنهل أقلامهم.. ما أروع وأبدع وأجمل أن يقلب المرء صفحات ظنها طويت، وكم تكون القراءة الثانية أعمق دهشة من الأولى.





الحمد لله الذى نزل الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد اشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين..

أما بعد فان القرآن كلام الله العظيم وصراطه المستقيم وحجته البالغة ومنهله الصافي تَردُهُ العقول ظماء فلا تصدر عنه إلا وقد رويت من سلسبيل المعرفة وتفجرت منها ينابيع الحكمة، فينبغى لنا معشر المسلمين أن نأخذ ما أوتينا من القرآن العظيم بجد وعزيمة، ونكثر من تلاوته بالتدبر والاعتبار مع العمل بأوامره واجتناب نواهيه، ولا ينبغى لنا التثاقل عنه والتهاون به بحيث تمر بنا السنة كلها ولا نختمه مرتين على الأقل، فقد روى عن الإمام أبى حنيفة - رحمه الله تعالى - أنه قال: «قراءة القرآن كل سنة مرتين اعطاء لحقه لأن النبي {صلى الله عليه وسلم} عرض على جبريل - عليه السلام - في السنة التى قبض فيها القرآن مرتين»، وكان جماعة من الصحابة رضى الله عنهم يختمونه في كل اسبوع مرة، وكان كثير منهم يكره أن يخرج يوم ولم ينظر في المصحف، فاذا قرأ أحدنا في كل يوم حزباً واحداً يختم القرآن في العام ثلاث مرات، فما المانع أن نجعل ذلك ورداً في كل يوم وهو لا يشغل من الوقت إلا يسيراً، وكم يضيع الغافل وقته في اللهو واللعب وفيما لا فائدة فيه؟ ومن كان أمياً لا يقرأ فليسمع من قارىء فان السامع شريك القارىء في الأجر..

أخرج الامام ابن حبان باسناده عن أبى ذر رضى الله عنه قال قلت يارسول الله زدني قال: «عليك بتلاوة القرآن فانه نور لك في الأرض وذخر لك في السماء» وعند مسلم عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: «اقرؤا القرآن فانه ياتى يوم القيامة شفيعاً لاصحابه» وعند مسلم وابى داود عن النبي {صلى الله عليه وسلم} قال: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده»..

وينبغى أن تكون التلاوة بالترتيل وهو التمهل وعدم الاستعجال لقول الله تعالى لنبيه {صلى الله عليه وسلم} (ورتل القرآن ترتيلا)، قال ابن عباس رضى الله عنهما: أى بينه تبييناً، وقال الضحاك: اقرأه حرفا حرفا.. وعن على رضى الله عنه قال: الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف، ووصفت ام سلمة قراءة النبي {صلى الله عليه وسلم} فاذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا، كما أخرجه أبو داود، وقيل ان عباس رضى الله عنهما: قال «لأن أقرأ البقرة وآل عمران ارتلهم أحب إليَّ من أن اقرأ القرآن كله هذرمة»..

وقراءة القرآن بالاصوات الحسنة، أوقع في القلوب وأشده تأثيرا وأرقّ لسامعيه لكن هذا اذا لم يخرج عن حد القراءة بالتمطيط فان خرج عن حد

القراءة بالتمطيط والنقصان مراعاة للالحان كان ذلك حراما تنزيها للقران عن التشبه بأحوال أهل المجون والباطل، إنه لقول فصل وما هو بالهزل، وقد اخرج ابن ماجة باسناد جيد عنه عليه الصلاة والسلام قال: «اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا»‥ قال النووى: وطريق تحصيل البكاء أن يتأمل ما يقرأ من التهديد والوعيد الشديد والمواثيق والعهود ثم يفكر بعد ذلك في تقصيره فان لم يحضره عند ذلك حزن وبكاء فليبك علي قسوة قلبه فان ذلك من أشد المصائب.

قال الشاعر :

على نفسه فليبك من كان باكيا

وليس له فيها نصيب ولا سهم

وينبغى أيضا حضور القلب عند التلاوة وتدبر المعانى ليفهم عن الله مراده وما فرض عليه وهذه هي الثمرة من التلاوة، قال على كرم الله وجهه: لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا خير في قراءة لا تدبر فيها»‥ واذا لم يتمكن القارىء من التدبر الا بالترديد فليردد الآية فقد اخرج النسائى وابن ماجة بسند صحيح عن ابى ذر رضى الله عنه أن رسول الله {صلى الله عليه وسلم} قام ليله بآية واحدة يرددها وهي: {إن تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم} أما العوام‥ والنساء الذين يقرؤون القرآن من غير فهم معانيه وان كانوا يثابون ويؤجرون على تلاوتهم فان الله سبحانه لا يضيع أجر من أحسن عملا الا أنه دون الأجر المضاعف الذى يفوز به المتدبرون، فينبغى لكل مؤمن اذا قرأ أو سمع آية من كتاب الله عز وجل أن يبحث عنها إما بمراجعة كتب التفسير ان كان عالما أو بالسؤال ان كان عاميا فان القرآن العظيم إنما أنزل للتدبر والتذكر:

قال الله تعالى: {كتاب أنزلناه إليك ليدبروا آياته وليذكر أولو الألباب} وليحذر المؤمن أن يكون كتاب الله تعالى أهون عليه مما اذا جاءه كتاب من بعض إخوانه إذ تراه يقرأه ويتدبره حرفا حرفا واذا اغلق عليه فهم شيء من معناه تراه يسأل القراء الحاذقين لئلا يفوته شيء من فهم مراد أخيه، فهل كتاب الله تعالى أهون علينا من ذلك؟!‥

وقد كان السلف يتكبدون العناء الطويل في فهم آية واحدة فقد روى الشعبي عن مسروق أنه رحل في تفسير آية من البقرة الى البصرة، فقيل له: إن الذي يفسرها رحل الى الشام فَتَجَهَّزَ ورحل الى الشام حتى تعلم تفسيرها.

فينبغى الاعتناء بفهم معانى كتاب الله تعالى وعلى الخصوص حفظة القرآن العظيم فقد قال القرطبي ما أقبح بحامل القرآن أن يتلو فرائضه واحكامه عن ظهر قلبه وهو لا يفهم معنى ما يتلوه ولا يدر به. وينبغى أيضا

عليك بتلاوة القرآن الكريم فإنه نور لك في الأرض وذخر لك في السماء».

للقـارىء عند تلاوته أن يعلم أنه هـو المقـصـود لكل خطاب قرآني، فاذا سمعت ايها القارىء الكريم وعدا فـارغب في ثواب ربك الكريم، واذا سـمـعت وعـيـدا فارهب من بطش سريع الحساب، واذا قرأت أمرا أو نهيا فـاعلم أنك أنت المنهى والمأمور، واذا سـمـعت قصص الاولين فاعتبر بها واشهد كمال قدرة المنتقم الجبار، فمولاك منزل القرآن يناجيك بكتابه ويشرفك بتلاوة خطابه فعند تهديده تضاءل حتى تكاد تموت من الخوف. وعند ذكر مغفرته استبشر فرحا برحمته وعند ذكر اوصافه تواضع خضوعا لكبريائه وجلاله. وعند ذكر الكفار وعقائدهم ووصف الله بما لا يليق نزه إلاهك واستحى من مقالتهم، وعند ذكر الجنة وحورها تكاد تطير شوقا اليها، وعند ذكر النار ونكالها واغلالها ترتعد فرائصك خوفا منها.

قـال تعـالى : {ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق} واخرج الترمذى عن بهـز بن حكيم قـال: «صلى بنا زرارة بن أوفي صلاة الفجر فلما تلا: (فاذا نُقرَ في الناقور) شـهق شـهـقـة فـمـات. وقد قـال تعـالى: {الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله} وليشترك في تلاوتك لسانك وعقلك وقلبك فحظ اللسان من ذلك تصحيح تجويد الحروف ومعرفة الوقوف وحظ العقل تفهم المعانى لما تتلوه، وحظ القلب التدبر والتأثر، فاللسان يرتل والعقل يترجم والقلب يتدبر والعين تدمع والجوارح تخشع والله لقراءتك يسمع..

هذه تلاوة القرآن حق تلاوته.

هذا وقد أظلنا شـهر القرآن وهو شـهر رمضـان، وان شهراً أنزل فيه كتاب عظيم يملأ العقول حكمة والقلوب طهارة لذو طلعة مباركة ومقدم مبارك كريم:

فلنقرأ القرآن ولنزهو به ... لنهيء الجيل الجديد المقبلا

ولنحفظ القرآن ولنحرص على ... ما فيه من خير وأن حدنا فلا

وكتابنا دستورنا وعلومه ... تروى العقول ثقافة وتكافلا

ما جاء نظما للعبادة وحدها ... بل للحضارة والسعادة والعلا

أما الكرامة في الحياة فانها ... اهدافه العليا وسنة من خلا

السلم والاسلام معنى واحد ... روحان في جسد الحياة تمثلا

ومن الكرامة أن نكون أعزة ... بديارنا متعاونين تكتلا

ونذود عن اعراضنا ونفوسنا ... بدمائنا لننال حظا اكملا

وفق اللهم المسلمين لتلاوة كتابك الكريم على الوجه الذى به ترضى

(علوى ابن السيد عباس المالكي)

المنهل / شعبان ١٣٧١هـ

حكمة الصوم

في هذا الشهر المبارك يصوم المؤمنون في سائر الاقطار والامصار. ولو اجتمع من في الارض على اجبار اضعف الامم واصغرها على صيام شهر كامل لعجزوا عجزا تاما ولباءوا بالفشل ، ولكن المسلمين بعشرات الملايين قد آتاهم الله تقواهم ولذا تراهم يحرصون من تلقاء أنفسهم، بدافع اطاعة ربهم، على رؤية هلال رمضان، ويبتغون الرضا والغفران من ربهم بصومهم هذا الشهر الميمون.

فهنيئاً لكم أيها الصائمون بما يثيبكم الله به من دخول جنات النعيم.

وأنت إذا سألت أى واحد من المسلمين عن الصوم وحكمته أجابك بأنه ركن من اركان هذا الدين؛ نصوم رمضان ونسأل الله القبول ومع فريضته علينا ففيه منافع كثيرة لنا، فالامساك عن الطعام والشراب والملذات طول النهار كامل رياضة عظيمة المنافع للجسم البشرى الذى انهمك في الاكل والشرب والملذات احد عشر شهرا كاملة. ثم ان الصيام مع ان فيه رياضة جسمية مفيدة فكذلك يحتوى على رياضة روحية منعشة ففيه تحتفل ارواح المؤمنين بتلاوة القرآن المجيد والتأمل في معانيه السامية وهذه الدنيا بالنسبة الى المؤمن هى مدرسة دروسها اليومية هى الصلوات الخمس المفروضة التى يقرأ فيها المصلون ما تيسر من القرآن، واختبار هذه المدرسة السنوى الذي يفوز فيه الناجحون المخبتون؛ في شهر رمضان فالمواظبون على المدرسة المؤتمرون بأمر ربهم يصومون نهاره ويقومون ليله، يتلون القرآن نهارا ويتلونه ليلا. وصلاة التراويح فيها يعقد مجلس الاختبار العام، والمتفوقون يتبتلون في العشر الاواخر. وفي عيد الفطر يهنيء المؤمنون بعضهم بالفوز والنجاح، وهكذا في كل عام، حتى ينالوا شهادة الفوز العالية في ختام العمر.

الصوم سموّ للروح وإماتة للشهوات والرغبات.

وبعد فلو تسامت عقول الأمم لتسابق الناس في ارضاء حياتهم الأخرى الخالدة، اكثر من الانهماك في ارضاء شهواتهم الدنيا الفانية. فهل يتسامون؟.

(عثمان حلمي)

المنهل/ رمضان ١٣٥٧هـ

منهل الشعر



يا عيد يا وضح السنين
يا فرحة العام المشوق إلى الحنين
يا بسمة الانواء في حلك الليالى
يا باقة الأمل الطروب الى العباد
يا عيد يا رمز السلام
ماذا بكفك من نوال وابتسام؟
يا ابن الترف ..
ماذا بصدرك من هناء أو جمال
يستافه الروح المضيم
ماذا تهيئه لشاعرك السجين
هذا الذى يحيا كئيبا لا يبين
يرنو اليك بقلبه وبحسه
ورؤى الحياة تثير فيه اسى الحياه
أعيته فكرته وضل به سراه
ومشى بلوعته على وجه الوجود
ظمآن يلهب جوفه الحلم الكبير:

ـ حرية الوطن الطهور
ونجاته من مستعمريه الادنياء
والنفس في أحزانها تهوى السكوت
ظمآن للنبع المقدس للأمل
لا يدرك السر الخبىء
حتى ولا في العيد عيد الابرياء
العيد ـ أعياد تغاير وصفها
العيد للناس المراح
ولنا بحرياتنا وحياتنا
وسمو كل ديارنا
العيد للأرض الأمان
للعابس المحزون بسمة حظه
للبائس المحروم بعض مراده
وللسقيم نواله التاج المضاع
وللفقير حيازه الخير اليسير
وللغريب بعودة الالف الحبيب
أعياد لو هنىء البشر
في ظلها العذب القرير
لكنت في حسبانها يا عيد عيد
غامت معانيك العذاب
ودمدمت بالذعر أصوات البشير

فيم المشاعر تستفيق مع الشروق
وبم الخواطر تنتشى
وترتل الانغام باللحن الجديد
ان طاف بالافق الغريب

* * *

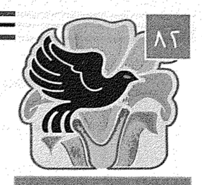
ويجوب فكرى في عوالم ساحره
ويهيم قلبى في المرائى الشاعره
يستلهم الحسن النضير وروعة النصر
الخبىء
لجهاده في الحق والحلم الكبير
ومناه تحرير الشعوب
ايمانه بالله يفتك بالشرور
ويبيد أعداء السلام وضلة المستعمرين

* * *

لا عيد يا شعب العروبة والخلود
حتى نسود على الوجود
شعب العروبة يا لهيب الحق والفجر
السديم
أيقظ جوارحك التى كادت تخور
أشعل لنا الاضواء في الدنيا بايمان الضمير
فالعيد بعد الثورة الكبرى لتحرير
الشعوب
ونضالنا لحقوقنا حتى نجلل بالدماء
أرضا بها نقضى وتحيا في علاء
فقد انتهى عهد السيادة والعبيد
ومضى الظلام وأشرقت شمس الجهاد
اليوم نشعلها على الطغيان في أرض
المعاد
نستخلص الاوطان من ظلم العباد
ونطرد الاذناب والدخلاء والمستكبرين
وهناك ندعو العيد.. عيد الظافرين
عيد الاباة العاملين
من يعرب والعالم الحر البرىء
نحيى بأعياد ونفنى بينها
حرية الوطن الطليق هى الحياة
وكرامة الشعب الأبى هى الوجود
اسمى حياه.. اسمى وجود
والنصر عيد ..
في النصر عيد المسلمين العاملين
في النصر عيد الأمة اليقظى وتحرير
الوطن ..

(عبد السلام هاشم حافظ)

المنهل/ المحرم وصفر ١٣٧٦هـ



الطرائف

كتاب ألّف للمطالعة في أوائل العشرينيات من القرن العشرين، ألفه الأستاذان الكبيران أحمد زكى صفوت، ومصطفى السقا، فجاء دائرة معارف تجمع شجونا من الأدب والعلم والتاريخ، وهو بتعدد معارفه، واختلاف أثماره يعطى القارىء من المعارف مالا يجده في كتب شتى، ونختار من ثماره هذه النوادر.

(ذكاء الإمام على)

جاء رجلان إلى امرأة من قريش فاستودعاها مائة دينار، وقالا لها، لا تدفعيها لأحد منّا دون صاحبه، فلبثا حولا، ثم جاء أحدهما فقال إن صاحبي قد مات فادفعى إليَّ الدنانير، قالت: إنكما قلتما لا أدفع المبلغ إلا للاثنين معا، ولست بدافعة لك، فأخذ يبكى ويجمع الجيران، حتى أثَّروا على المرأة، فدفعت إليه الدنانير على اعتقاد أن الرجل الآخر قد مات، ومضت مدة وجاء الآخر يطلب المال، فقالت له إن صاحبك قد زعم أنك مت، وأنه أحق بالمال من بعدك، فأخذ يصرخ، حتى جمع حوله الناس، فقالوا له قد جاء صاحبك من قبل، وأخذ المال أمامنا، فرفعا الأمر الى أمير المؤمنين على بن أبى طالب، فتأمل الشكوى، وأيقن أن الرجلين معاً ماكران وقد تآمرا على المرأة، فقال للشاكي! ألست قد اتفقت على ألا يُصْرَف المال إلا بوجودكما معا، قال نعم، قال الإمام على: إن مالك عندى لا عند المرأة، واذهب فأحضر صاحبك لتأخذاه معا، والا فلا شيء لك.

(حيلة قائد)

لما توجه الاسكندر الأكبر المقدونى الى محاربة الهند، بعد أن قهر فارس واستولى عليها، وأمَّر أحد أتباعه لإدارة شئونها، خرج إليه صاحب الهند، ومعه ألف فيل عليها السلاح والرجال، وفي خراطيمها السيوف والأعمدة، فلم تقف لها خيوله، إذ لم تر الفيلة من قبل، وفرّت هاربة وهزم الجيش.

واجتمع الاسكندر مع قواده يتحادثون في أمر الفيلة، فأمر بصنع فيلة من نحاس أجوف، وربط خيله بتلك التماثيل حتى ألفَتْها ولم تعد ترهبها، ثم أمر بهذه التماثيل فملئت نفطاً وكبريتا وألبسها الدروع، وأخذت تجرى على العجل، وكأنها الفيلة، وبين كل تمثالين جماعة من أصحابه فلما نشبت

د. أبـــو حســـــام
- المنصـــورة -

الحرب أمر باشعال النار في جوف التماثيل، فلما حميت، وجاءت فيلة الهند لتضربها أحست وهج النار المشتعلة ففرت هاربة، وتقدم جيش الاسكندر فربح المعركة بهذه الحيلة، وقد كلفته كثيرا من المال والعتاد والزمن، ولكنه لم يعبأ بذلك كله إذ كان هدفه الأسمى هو الانتصار على الخصم وإن طال الأمد.

(طمع أشعب)

كان أشعب بن جبير أحد المشهورين بالطمع، مع أنه كان من قراء الكتاب، وله صوت حسن في الترتيل والتجويد، ومن نوادره في هذا الباب، أن رجلا من موسرى أهل المدينة، دعا نفرا من أصحابه الى مأدبة يقيمها كل عام حافلة بما لذ وطاب من المآكل، وعلم أشعب بميعاد الطعام فدخل دون استئذان، وكان الطعام من الحيتان ما بين صغيرة وكبيرة، فقالوا: لنُبْعدَ الحيتان الكبيرة عن أشعب، ونترك له الصغار، ثم سألوه: ما رأيك في الحيتان؟ فقال إن لي عليها لغضباً شديدا لأن والدى قد مات في البحر، وأكلته الحيتان، فقَدَّموا له الصغار، وقالوا: هيا، خذ بثأر أبيك، فجلس مفكرا، ثم مد يده الى حوت صغير وحمله حتى وضعه جوار أذنه، ثم قال للقوم أتدرون ماذا قال لي هذا الحوت؟ قالوا لم نسمع ما قال، قال أشعب إنه يقول إنه حوت صغير مات أبي قبل ميلاده، ولم يشترك في أكله، إنما الذى أكله هو الحوت الكبير وأصحابه، فعليك بها ودعني، ثم مد يده الى القصعة المليئة بالكبار، ووضعها أمامه، وجلس يأكل دون اهتمام باعتراض من اعترض.

(اقتناء السباع)

ولع خمارويه بن أحمد بن طولون باقتناء الوحوش الضارية، وعنى بترويضها وتدريبها، وبنى لها داراً خاصة تعرف بدار السباع، وصنع لها بيوتا محكمة متجاورة، وفي كل بيت سبع ولبوة، وله باب يفتح من أعلاه، وفيه طاق صغير يدخل منه العامل الموكل بخدمته طعاماً وشرابا ونظافة، فإذا أراد العامل تنظيف المكان ووضع وظيفة اللحم، رفع الباب من أعلاه، وصاح بالسبع ليخرج، ثم يأتى المكان فينظفه، ويبدل الرمل برمل جديد ويضع اللحم، ويغسل الحوض ويملأه بالماء ثم يخرج ويرفع الباب من أعلاه فيدخل السبع وصاحبته.

وكان من جملة هذه السباع سبع أزرق العين يقال له زريق قد استلطفه خمارويه وأنس به، وجعله مدربا على الاستئناس، فصار مطلقا في الدار، لا يؤذى أحدا وتقام له وظيفته من الغذاء كل يوم حين تنصب مائدة خمارويه فيأكل منها كما يأكل سيده وقد يرمى له بالدجاجة وقطع اللحم من مائدته فيأكلها السبع في غبطة، وكان خمارويه إذا نام جعله حارساً عليه، وقد ألف هذه الحراسة وتدرب عليها، حتى لم يكن أحد يقدر على أن يدنو من سرير

خمارويه وهو نائم رهبة من الأسد، ولكنَّ الرجل سافر الى دمشق وترك حارسه بمصر، فاغتيل هناك، ولم يستطع الأسد إنقاذه، وهكذا شاعت إرادة الله تعالى أن يُقْتَل دون أن يحميه صاحبه.

(عاقبة أليمة)

كان اسكندر الثاني ملك اليونان، يجمع الحيوانات في قصره، ولكن كلبه الأمين يصحبه في تجواله وفي ذات يوم، رأى الكلب قردة مربوطة بين حيوانات القصر، فانقضَّ عليها، ونشب بينهما عراك شديد، ولم تستطع القردة الدفاع عن نفسها وهي مربوطة، ونهض الملك وحاجبه يحاولان الفصل بينهما، وفجأة حضر أليف القردة ليذبَّ عنها، فهجم على الملك وعضه في فخذه اليسرى فجرحه جرحا بليغا، وخف الخدم الى الملك فأقصوا القرد، ولكنه ظن أن الملك هو الذى سلط الكلب على أليفته، فهجم عليه بضراوة، وصادف ذلك مقتلا من الملك بعد أيام لشدة الجرح وعجز الأطباء عن ملافاته!.

(حروب النمل)

النمل من الحشرات الاجتماعية ذات النظام الدقيق في مزاولة الحياة، وبعض طوائف النمل لا يقتصر على المكان الذى بنى به قريته، بل يندفع الى غزوات حربية تعود عليه بالغنائم فيحملها وفق خطط مرسومة. وقد وصف أحد علماء الحشرات حرباً شاهدها بين فريقين من جيوش النّمل، فقال عنها:

«وقفت بين قبيلتين عظيمتي العدد، وكان بينهما نحو مائة خطوة، ولم أعلم السبب الذى أثار الفتنة، ثم رأيت الفريقين أخذا في الزحف الى أن التقى الجمعان في منتصف المسافة، ورأيت خلف كل جيش عدداً مستعداً للمدد والمعونة كما تفعل الجيوش الإنسانية، ثم حمي الوطيس، والتقت الألوف بالألوف، وصار كل من الفريقين ينتفع بما يصادفه من حجر ومدر، فيتترس به، ويتحصن خلفه من عدوه، وكان فريق يضرب، وفريق يحوز الغنيمة، وفريق يأسر، وعلى المهزوم منظر الكآبة والحزن، ثم رأيت المسرح قد غُطى بجثث القتلى، وكان ابتداء القتال أن برزت نملتان، كل منهما للأخرى، ثم أتى لكل واحدة مدد من ناحيتها، حتى صار كل فريق أشبه بحبل طويل، يشد أحد طرفيه الى جهة، والآخر الى الجهة المقابلة لها، حتى يفلت أحد الفريقين فيشد غريمه الى جهته وقد ينفصلان دون أن يتغلب أحد، ولكن القتال يبدأ متواليا، فإذا جاء الليل انفصل الفريقان وانقطعت الحرب الى الصباح حيث تُستَأنف من جديد، واذا تمت المعركة وسيق الأسرى الى الأعداء، كان هؤلاء الأسرى خدماً تبنى المنازل في الأرض وتحمل الطعام للسادة!

هذا ما قاله الرحالة عما شاهده ! فهل هناك فارق كبير بين حرب الإنسان وحرب الحشرات!.

(طفيلي)

أقبل طفيلي الى حفل غداء لكبار القوم، فوجد الباب موصدا، ولا سبيل الى الوصول إليه فسأل عن صاحب هذا الصنيع فعلم أن له ولداً غائبا وأنه ينتظر منه رسالة ويكثر من الحديث عنه، فأخذ ورقة فطواها وختمها، وليس بها شيء، وكتب في ظاهرها

(من الأخ الى العروس) ثم أقبل متدللا، فجعل يقرع الباب قرعا شديدا، حتى أثار من بالداخل، فلما كلمه أحدهم صاح: أنا رسول من ولدكم، ففتح الباب على عجل، وتلقاه صاحب العرس فرحا مسرورا، وقال له: كيف فارقت ولدى، فقال: بأحسن حال، وما أقدر أن أكلمك من الجوع الشديد،، فأمر بالطعام فَقُدِّم إليه، ثم قال له الرجل: أما كتب معك كتابا؟ فقال نعم: ودفع إليه الكتاب، فقرأ الرجل العنوان فوجده من الأخ الى العروس، فقال له: ليس هذا عنوان أحد، قال نعم، وأزيدك أنه كان متعجلا فلم يكتب حرفا واحدا به، فقال الرجل مستهزئا: أأنت طفيلي؟ فقال نعم: أصلحك الله، قال: فكل ، لا هنَّأك الله.

(شنّ .. وطبقة)

أما النادرة الشهيرة عن شنّ وطبقه فقد أحسن المؤلفان تلخيصها حين قالا:

«كان شنّ من دهاة العرب، فقال والله لأبحثنَّ حتى أجد امرأة داهية مثلى فأتزوجها، فسار حتى لقى رجلا يريد قرية يقصدها شن، فلما انطلقا قال له شن: أتحملنى أم أحملك؟ فقال صاحبه: يا جاهل، كيف يحمل الراكب الراكب؟! فسكت عنه شنّ، وسارا حتى رأيا زرعا قد آن له أن يُحْصَد فقال شنٌّ، أترى هذا الزرع قد أكل أم لا؟! فقال صاحبه، يا جاهل أما تراه قائما فكيف أكل؟! فسكت عنه شن حتى إذا دخلا القرية قابلتهما جنازة، فقال شن، أترى صاحبها حيا أو ميتا؟ فقال صاحبه: ما رأيت أجهل منك أتراهم حملوا الى القبور حيا؟!، ثم سار به الرجل الى منزله، وكان له ابنة تسمى طبقة، فلما دخل عليها أبوها سألته عن ضيفه، فأخبرها بمرافقته إياه، وشكا إليها جهله، وحكى لها ما دار، فقالت له يا أبي، ما هذا بجاهل، أما قوله أتحملنى أم أحملك؟ فأراد أتحدثنى أم أحدثك حتى نقطع الطريق، وأما قوله: أترى هذا الزرع أكل أم لا؟ فأراد أباعه أهله فأكلوا ثمنه أم لا؟، وأما قوله في الميت، فإنه أراد أتراه ترك عقباً يحيا به ذكره أم لا!

فخرج الرجل فجلس مع شن فحدثه ساعة، وقال له: أتحب أن أفسّر لك ما سألتنى عنه فقال نعم، فجعل يعيد قول ابنته طبقة، فقال له شنّ والله ما هذا من كلامك، فأخبرنى من صاحبه؟ فقال: ابنة لي، فخطبها إليه وزوجه إياها، وحملها الى قومه، فلما عرفوا ما كان قالوا «وافق شنّ طبقة».

(من مقدمة الطرائف)

قال المؤلفان في المقدمة: عمدنا الى وضع كتاب يجمع بين دفتيه تالداً وطارفاً من ممتع كلام البلغاء، وروائع حديث الفصحاء، وتوخينا أن تكون موضوعاته طريفة ذات مغاز نبيلة متعددة المناحى والفنون من أدبية وخلقية واجتماعية وفكاهية وتاريخية وجغرافية.

وهو عمل يتراءى في الأول سهل المطلب، ميسور المنال، ولكن من اقتحم مفازته، تبين وُعُورَته وآده ما يحمله فيه من الأعباء، وقد مست الحاجة الى تصرف في بعض العبارات التى نقلت من الآثار، مع الاحتفاظ بجوهر المعنى، والله يتولى العاملين، ويمدنا بروح منه أجمعين.

مسك الختام

الأمانة الأدبية

يضيق الكلام الوجيز عن مدلول الأمانة لأنها كبيرة وخطيرة وقد صورها بيان القرآن الكريم في ضخامة الجبال التى أشفقت منها وأبت أن تحملها وحملها الإنسان.

هذا التقدير لجسامة الأمانة نزل بمسماها ومفهومها في حياة الإنسان وسوقه ومرافق عيشه، فعاش على هداها وهي له وازع وعليه رقيب، وقد احتلت أول ما احتلت أعماله وسلوكه وخصاله، فكانت مقياس مكانته بين الناس ثم ارتقى أمرها الفكري فدخلت عالمه الفسيح، وكان العلماء حراصاً عليها حتي شاعت في تعبيرهم وتأليفهم كلمة «الأمانة العلمية» كشعار لجهود الذين يعيشون للعلم، مخلصين للحقيقة ومفهومها ولم يحرم الأديب نعمة هذه الكلمة فكانت النصوص والثبوت التى تنقل من لغة الى لغة ثانية يعوزها هذا الوصف، فشاع التعبير الآخر «الأمانة في الترجمة».

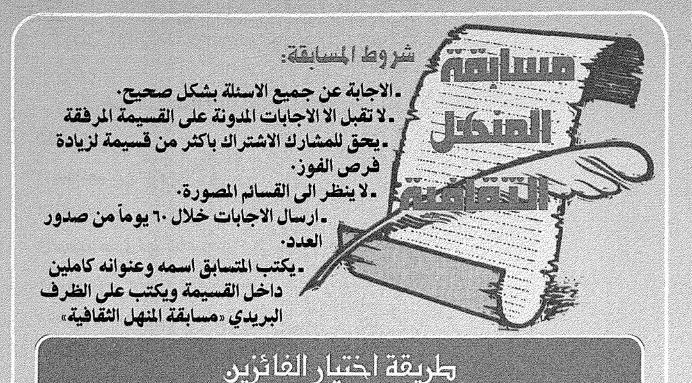
أما الأدب نفسه فلم يتداول هذا القول المأثور وإن التزم الصدق في فنونه ورسالته وطالب ذويه بأن لا يخيبوا كرامته الإنسانية في ممارسته ومعاودته، وإن دنياه لأكبر من دنيا الناس ولولاه لما ثبتت صورها في أذهانهم وتغلغلت في شعورهم فهو المرايا لأشكال حياتهم ومعايشهم وألوان فنونهم ومواهبهم والمورد الباقي لتفكيرهم ونظرتهم عبر الوجود.

على أنى سألت نفسى وكيف تكون الأمانة الأدبية، فجال الخاطر في كل مجال ليجد الجواب وفصل الخطاب، إذ عدت إلى ذات الإنسان الأديب والمتأدب، فهو إذا كان مسؤولا صادقاً مع نفسه وموهبته والمجتمع الذى يعيش فيه، كان نتاجه ناضحاً بالأمانة الأدبية، ولو محصنا أغراض الأدب وفنونه من القصة الى الشعر والمقال فالدراسة، لوجدنا فيها كثيراً من التحريف والتزييف، خاضعاً لعوامل شخصيته وزمنيته، خلال العصور حين كان التكسب والملق والتميز ينساب مع مداد الأقلام واضطراب النفوس وقد وقف التاريخ بالمرصاد حين تناوله الأمناء بالتجرد والإنصاف.

وبقي الأدب في مدّه وجزره تواقاً إلى عهد يتحرر فيه من عبث الوجدان والميزان حتى جاء عصرنا بالحرية والشعبية، فكان على الأديب أن ينزل من بروجه العاجية الى السوق والطريق، وإلى الريف والجمهور ليرى فيه صوره الصادقة وشعوره وتطوره في وعيه وحياته، فانطلق الأديب من عقال الكبراء ليؤدى رسالته الحقيقية بالأمانة التى هي من شمائل الأديب الصادق وطبعه ومزاجه، وصار بالإمكان اليوم أن نقول بالأمانة الأدبية كما قال العلماء بالأمانة العلمية.

(*) من كتاباتها التى لم تنشر.

وداد سكاكيني
- رحمها الله -



شروط المسابقة:

- الاجابة عن جميع الاسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل الا الاجابات المدونة على القسيمة المرفقة
- يحق للمشارك الاشتراك باكثر من قسيمة لزيادة فرص الفوز.
- لا ينظر الى القسائم المصورة.
- ارسال الاجابات خلال ٦٠ يوماً من صدور العدد.
- يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملين داخل القسيمة ويكتب على الظرف البريدي «مسابقة المنهل الثقافية»

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التى ترد من المشاركين.
- يتم استبعاد القسائم ناقصة الاجابة.
- تجمع القسائم الصحيحة الاجابات ويعمل لها قرعة لاختيار الفائز الاول والثاني والثالث وهكذا الى الثامن .
- ترسل الجوائز الى اصحابها فور الوصول الى النتيجة وتدفع بالريال السعودي او ما يعادله.

جوائز المسابقة

الجائزة الاولى :	١٠٠٠	ريال	الجائزة السادسة:	٣٠٠	ريال
الجائزة الثانية:	٧٠٠	ريال	الجائزة السابعة:	٢٥٠	ريال
الجائزة الثالثة:	٥٠٠	ريال	الجائزة الثامنة:	٢٠٠	ريال
الجائزة الرابعة:	٤٠٠	ريال	الجائزة التاسعة:	٢٠٠	ريال
الجائزة الخامسة:	٣٥٠	ريال	الجائزة العاشرة:	١٥٠	ريال

الاسم : .... السن: ....

العنوان : ....

المنهل

نتيجة سحب جوائز مسابقة المنهل الثقافية العدد (٥٩٠)

الفائــــزون :

١ـ **عبدالمجيد بن الهادى طواعي** ـ تونس

٢ـ **محمد ضياء محمد يوسف** - مصــر

٣ـ **محمد هادى عبدالله صلواتي** ـ السعودية

٤ـ **سنية بابكر حسين** - السودان

٥ـ **هاشم محمد علي حريري** - السعودية

٦ـ **السيد إسماعيل راغب** - المغرب

٧ـ **أيمن جاد عبدالرحيم عبدالرحمن** - مصــر

٨ـ **أحمد دحلان بن صالح** ـ مصــر

ترسل الاجابات خلال ٦٠ يوماً من صدور العدد

ستنشر نتائج مسابقة المنهل الثقافية للعدد (٥٩١) في العدد (٥٩٣) .. وذلك لاتاحة اكبر فرصة للمشاركين.

قسيمة مسابقة العدد (٥٩٢)

ضع علامة ✓ امام الاجابات الصحيحة..

١ـ حكم الامويون العالم الإسلامي من :

□ العام ٦٦١ هـ الى ٧٥٠ هـ   □ ٦٦٣ هـ الى ٧٥٣ هـ

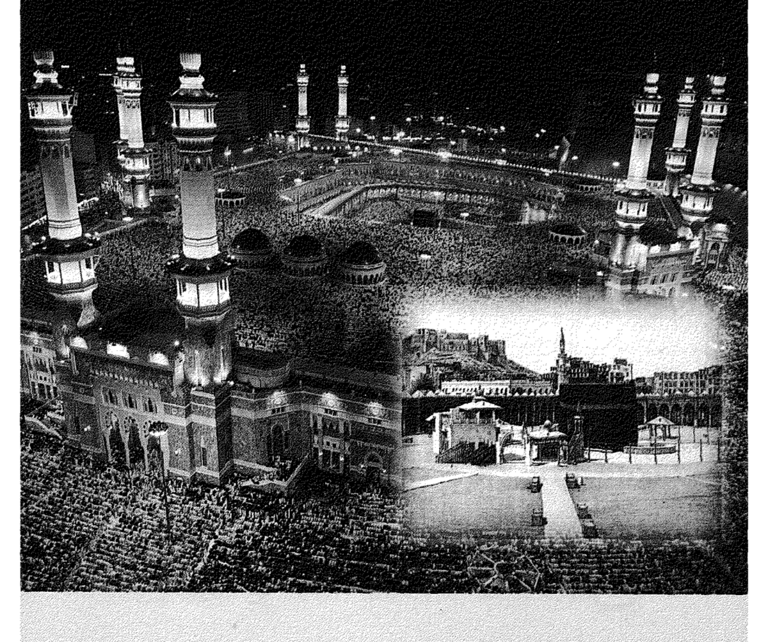
٢ـ شمال سيناء اقليم يحتل :

□ الركن الجنوبي الشرقي لمصر   □ الركن الشمالي الشرقي لمصر

٣ـ صدرت الطبعة الاولى من كتاب «بين التاريخ والآثار» لعبد القدوس الانصاري :

□ في بيروت سنة ١٣٨٩ هـ   □ في مصر سنة ١٣٩١ هـ

ابحث عن الإجابات داخل هذا العدد..



كل عام


بخير

